المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
« فرع اللغة »

قامت الطالبة بإجراء التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة .

مناقش مناقش المشرف

اللغات العربية في تفسير البحر المحيط

لأبي حيان الأندلسي

(الجانب النحوي)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والنحو والصرف

إعداد

الطالبة / دينا محمد بن حمود بن الحسين الحارثي

إشراف

الأستاذ الدكتور / عليان بن محمد الحازمي

١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ

١٩٩٥م



الإهـــــــــداء

إلى اللذين قال الله تعالى فيهما : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1]

إلى أبي وأمي اللذين اعتز وأفتخر بذكرهما وإنه ذكر يعطر ويزين.

ثم إلى الذين يطلبون العلم من المهد إلى اللحد قاصدين به وجه الواحد الأحد .

أهدي هذا العمل المتواضع

دينـــا

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة: اللغات العربية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(الجانب النحوي)
الدرجة العلمية : ماجستير
الطالبـــــــة : دينا محمد بن حمود بن الحسين الحارثي

ملخص الرسالة

يقع البحث في بابين مشتملين على عدد من الفصول تحتها مباحث يسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهما خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

أما التمهيد فذكرت فيه أقسام القبائل العربية وأنها قسمان : قحطانية وعدنانية، وبينت مواطن القبائل التي ذكرت لغاتها معزوة في البحر ، وذكرت مصادر لغات القبائل العربية وأشرت إلى الصلة بين القراءة واللغة ، كما تعرضت لذكر معنى اللغة واللهجة والفرق بينهما ، ثم ذكرت أهمية دراسة اللغات العربية قديما ومصادرها ، ثم قمت بترجمة لصاحب البحر المحيط وبيان منهجه في إيراد اللغات في البحر والارتشاف وموقفه من الشواهد اللغوية ، ومنهجه في القياس والسماع.

أما الباب الأول فقد جعلته في التراكيب ، والباب الثاني : في الإعراب . أما الخاتمة ، فلخصت فيها البحث في عرض موجز ثم بينت ماتوصلت إليه من نتائج كان من أهمها النتائج التالية :

أولاً – أن الناظر في لغات العرب الواردة في القرآن الكريم يلحظ شمول هذا الكتاب العظيم المعجز لمعظم تلك اللغات ، سواء كان ذلك في ناحية الإعراب ، أو الصيغ والمعاني .

ثانيا – لوحظ ميل اللغات البدوية كتميم وأسد وبعض قيس وبعض هذيل بصفة عامة إلى التفخيم في جميع ظواهر لغاتها واستعمال الحـــــــــروف بما ينسجم مع طبيعة الأداء البدوي

ثالثا – كثيراً ما تتفق لغات القبائل في ظاهرة لغوية والاختلاف قليل، فيدل ذلك على أن اللغات العربية ليس بينها تباين إلا يسير ، بل هو نادر ، وأكثر ما يكون في الأصوات والبنية والدلالة .

والحمد لله رب العالمين ،،،

عميد كلية اللغة العربية	المشرف	الطالبة
أ.د/ حسن بن محمد باجودة	أ.د/عليان بن محمد الحازمي	دينا محمد الحارثي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

المقدمة

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا علما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا يا كريم ، اللهم أغننا بالعلم وزينّا بالحلم وأكرمني بالتقوى .

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[1]

الحمد لله رب العالمين منزل الكتاب العظيم بلسان عربي مبين تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، والصلاة والسلام على السراج المنير سيدنا محمد ، النبي الأمي الهاشمي العربي أفضل خلقه وأكمل عباده صاحب المعجزات الناطق بأفصح لسان ، والمبعوث بأوضح بيان صلى الله عليه وعلى آله وذريته وسائر الأصحاب والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحساب وسلم تسليما كثيرا ، وبعد :

فلا ريب أن اللغة العربية قد قطعت نحو التطور شوطاً كبيراً حتى وصلت إلى هذا الطور الراقي وأصبحت هذه اللغة المثالية التي تمثلت في لغة الشعر الجاهلي ، وقد زادها رقيا وتشريفاً نزول القرآن العظيم المعجز بها ، وكما كان نورا للقلوب تهتدي به، قال تعالى:

---

(١) سورة الروم ، آية ٢٢.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (١)
كان نورا للعربية وحياة لها فجاءت ألفاظها مهذبة فصيحة ومعجزة ، وأصبحت بـــه أعلى اللغات وأجودها. وعمل على توحيد اللغات في الجزيرة العربية فتوحدت لغة العرب لغة ولسانا ، كما أنه حفظها من الضياع والاندثار ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٢). فالفترة التي أوشكت أخواتها السامية كالعبرية والآرامية على الإندثار ، بقيت العربية شامخة تأخذ اللغات الأخرى بألفاظها وحافظت على ملامحها اللغوية التي تزداد قوة وثراءاً يوماً بعد يوم.

ومن نعم الله سبحانه وتعالى أن يسر هذا الذكر لمن أراد أن يتذكر فجعله على سبعة أحرف كلها شاف كاف، رحمة بأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقرأ كل واحد على حسب لغته وعادته التي جبل عليها تيسيراً وتسهيلاً . وهي لغاتٌ متفرقة في القرآن ، ومعان في ألفاظ تُسْمْ في القراءة مختلفة في السمع متفقة في المعنى أو مختلفة في السمع والمعنى نحو تبديل كلمة موضع أخرى وصورة الخط متفقة أو مختلفة نحو يسيِّركُمْ وينْشركُمْ ، ونحو صيحة وزقية ، فالعرب أرباب الفصاحة والبلاغة وقد تحداهم الله بمثل ما نبغوا وبرعوا فيه.

وقد كان لعلماء العربية اليد الطولى في بيان لغات العرب وحفظها، نجد ذلك متناثرا في كتب اللغة والأدب والتفسير ، فلقد تركوا لنا كنوزاً ثمينة ، وثروة علمية في شتى أنواع العلوم والمعارف ، كما نجدها في بعض الرسائل التي تعنى بلغات العرب . ومن يقرأ كتب التراجم يجد كماً هائلاً من المصنفات التي تتحدث عن لغات القرآن التي هي لغات القبائل العربية(٣).

---

(١) سورة الحديد ، آية ٩. (٢) سورة الحجر ، آية ٩.

(٣) انظر الإبانة عن القراءات لمكي بن أبي طالب ، حموش القيسي ، تحقيق : د . عبدالفتاح شلبي ، وانظر الفهرست لابن النديم ص ٥٩ – ١٧١.

فالقرآن الكريم قد حظي بنصيب وافر من هذه المعارف التي تركها العلماء الأجلاء ، الذين ألفوا الرسائل والمعاجم والموسوعات في شتى علوم القرآن، منها المُسْهَب والموجز. ومن بين تلك المؤلفات ما ألف في لغات القرآن التي نجد قدراً كبيراً منها قد ضاع ولم يصل إلينا منها شيئ فقد عني علماء العربية بهذا النوع من التأليف عناية ظاهرة(١).

لقد كان من نعم الله تعالى عليّ أن جعل في نفسي الرغبة لدراسة لغة القرآن العظيم وأوجد فيها الميل لهذه الدراسة لهذا استعنت بالله بعد أن أشار عليّ أستاذي المشرف د. أحمد علم الدين الجندي أن أبحث اللغات في تفسير البحر المحيط فصادف ذلك ميلاً ورغبة في نفسي فاخترت اللغات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان النحوي الأندلسي، وكتاب البحر هذا اسم على مسمى ، فهو بحر يزخر بضروب من العلم والمعرفة ، ناهيك عما فيه من لغات العرب ، ولقد قمت بقراءة الكتاب كاملاً ، وجمعت مادة البحث ملمة بما احتواه البحر من نواحٍ صوتية وصرفية وتراكيب ودلالات وقد أخذ مني ذلك جهداً ليس بقليل نظرا لأن البحر ليس له فهرس أرجع إليه.

وقد اتضح لي أثناء البحث أن ما حواه البحر في جانب اللغات كبير، لذا رأيت أن أقصر دراستي على بحث الجانب التركيبي والإعرابي وتناولهما .

---

(١) انظر الفهرست ٥٩ - ١٧١، إنباه الرواة للقفطي : ٢٢٦/١، ٢٢٧، ٢٠٣/٢، ٢٧١، ٢٩٧، ٢٢٠/٣، معجم البلدان لياقوت الحموي ٥٣/١٩ - ١٦١، ١٤٨/١٢ ، ١٩٦/١٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٤٩/٢.
وينظر معجم مصنفات القرآن الكريم ج١٧٣/١ ، ١٨٦ ، و ج ٢ / في القراءات و ٣ في لغات القرآن .

وقد أدت طبيعة البحث أن يقع في بابين مشتملين على عدد من الفصول تحتها مباحث يسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهما خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ويجب التنويه إلى أنني استفدت من كتاب " ارتشاف الضرب من لسان العرب " وهو أحد مؤلفات أبي حيان في النحو ، كما أشار عليّ بذلك أستاذي الفاضل الدكتور المشرف أحمد علم الدين الجندي، جزاه الله عني خير الجزاء.

أما التمهيد فذكرت فيه أقسام القبائل العربية وأنها قسمان : قحطانية وعدنانية ، ومواطن القبائل التي ذكرت لغاتها معزوة في البحر ، وذكرت مصادر لغات القبائل العربية وأشرت إلى الصلة بين القراءة واللغة ، كما تعرضت لذكر معنى اللغة واللهجة والفرق بينهما ، ثم ذكرت أهمية دراسة اللغات العربية قديما ومصادرها ، ثم قمت بترجمة لصاحب البحر المحيط وبيان منهجه في إيراد اللغات في البحر والإرتشاف وموقفه من الشواهد اللغوية ، ومنهجه في القياس والسماع.

أما **الباب الأول** فقد جعلته في **التراكيب** ،

ويشتمل على أربعة فصول تحوي عدداً من المباحث .

الفصل الأول - الأدوات النحوية :

أولاً - نواسخ الجملة الإسمية :

المبحث الأول : الأحرف المشبهة بـ « ليس » :

١ - « ما » بين الإعمال والإهمال .

٢ - زيادة الباء في خبر ليس .

الباب الثاني - الإعـــراب :

الفصل الأول - الإعراب بالحركات .

المبحث الأول : صرف الممنوع من الصرف في بعض اللغات .

أولاً - زكرياء ولغات العرب فيها .

ثانياً - سنون وبابه .

ثالثاً - " أمس " بين المنع والصرف .

رابعاً - " تترى " بين المنع والصرف .

خامساً - " فرادى " بين المنع والصرف .

الفصل الثاني - الإعراب بالحروف :

المبحث الأول - اختلاف لغات العرب في إعراب المثنى والملحق به ، وحركة نونه .

المبحث الثاني - إعـــراب الاســـم الموصـول عند الجمع وإعراب المحذوف اللام المعوض عنها تاء تأنيث :

- إعراب لفظ " شيطان " إعراب جمع المذكر السالم .

الفصل الثالث - ما يتردد بين الإعراب والبناء :

المبحث الأول - الظروف :

أولاً - : " أمس " في لغة الحجاز وتميم .

ثانياً - " حيث " .

ثالثاً - " لدنْ " .

رابعاً - " قبلُ وبعدُ " .

المبحث الثاني - الاسم الموصول المفرد في لغة طيئ .

[" ذو " الطائية بين الإعراب والبناء] .

وقد كنت أقدم نص أبي حيان في أية مسألة في كثير من المواضع لأبين رأيه محاولة الموازنة بين رأيه في أي مسألة عزى منها لغة ورأي غيره لأنتهي إلى نتيجة عامة .

أما الخاتمة ، فقد بينت فيها مدى ما حواه تفسير البحر المحيط من لغات العرب على كثرتها واختلافها وعزو كل لغة لأصحابها مما ورد مفرداً وإهتمام أبي حيان باللغتين الحجازية والتميمية إذ هما موئل الفصاحة وكثرة العزو لهما وتفضيلهما على غيرهما من لغات العرب الأخرى « خاصة لغة قريش » . واحتوى البحر على الكثير من القراءات القرآنية وإهتمام أبي حيان بها والقياس على السبعية منها والرد على منكري قراءة بعض القراء وإعتبارها مما يقاس ويبنى القواعد بجانب أشعار العرب وخاصة شعر الطبقات الثلاث التي اعتمدها النحاة في الاستشهاد والاستدلال . ثم بينت ماتوصلت إليه من نتائج .

وبعد هذا العرض الموجز، فما أجمل أن ينسب الفضل إلى أهله ، فالفضل والمنة لله جل جلاله إولا وأخيرا، ثم لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد علم الدين الجندي الذي كان لي نعم المرشد المخلص الوفي يخلص في نصحه ويرعى الأمانة في توجيهه وإرشاده ، وكان لي خير معين في تذليل ماصعب عليّ بتزويدي بكل ما أفادني من مصادر في دراستي ، وكان دائما يشير عليّ بالبحث عن كل ماجد من بحوث في مجال دراستي ويحثني على الاطلاع الواسع ويشجعني كلما لمس مني مللاً ، ويعاتبني إن وجد مني قصوراً، كان رفيقا معي يسمع لي وأنا أقرأ عليه بصبر وأناة ويرشدني إن استشرته إلى خير ما يرى ، فلقد أفدت من علمه وفضله اللذين أفاض بهما عليّ عن جود وبذل . ولقد أخذت من وقته وجهده الكثير ، فهو الذي كان له أكبر الأثر في إظهار هذه الدراسة فجزاه الله خير الجزاء وأظهر فضله عند أهل الفضل .

كما أني أقدم شكري وعظيم امتناني لأستاذي الدكتور عليان بن محمد الحازمي، بماقدمه ليّ من عون صادق وجهد كبير ، فقد انتفعت بنصحه وتوجيهه، وأفدت من علمه في إتمام بحثي ، وتزويده لي ببعض المراجع التي أفدت منها ، كما أنه كان خير معين في قراءة ما كتب ، وكان صبورا عندما كنت أقرأ عليه وأستشيره ، فقد كان يسمع ليّ بكل رحابة صدر ويمحضني النصح ويحسن التوجيه والتصويب وهو أهل لذلك كله فجزاه الله عني أوفى جزاء وأظهر فضله .

وختاما لا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل لكل من بذل لي نصحاً وقدم عوناً ، والحمد لله الذي أعانني وسددني في ابتدائي واختتامي.

١

التمهيـــــــد

أولاً : أقسام القبائل العربية

ثانيا: مصادر اللغات العربية

ثالثا: أهمية دراسة اللغات

رابعا: ترجمة أبي حيان

أولاً : أقسام القبائل العربية:

لا شك أن دراسة لغات العرب تقتضي أن أتحدث عن أقسام القبائل العربية والبيئات المختلفة التي عاشت فيها تلك القبائل والمناطق التي نشأت فيها لغات تلك القبائل، وهذا يقودنا إلى فهم العلاقات بين هذه اللغات على أرض الجزيرة العربية، ولنطلع على أهم أسباب تعدد اللغات ، لذا سيكون اهتمامي مقتصرا على ذكر مواطن القبائل التي ورد ذكرها عند أبي حيان في البحر والإرتشاف وذكر ذلك بإيجاز لأنني قد سبقت في دراسة مواطن هذه القبائل.

فقد روت كتب التاريخ أن العرب قسمان:

(١) العرب البائدة : وهم الذين بادوا وانقطعت أخبارهم.

(٢) العرب الباقية : وينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول : العرب العاربة: وهم بنو قحطان(١) بن عامر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهم عرب اليمن وأشهر قبائلهم:

(١) جرهم الذين انتقلوا من منازلهم في اليمن إلى الحجاز .

---

(١) أختلف في نسبته هل هو من ولد اسماعيل عليه السلام فقيل ليس منهم، وقيل من ولد هود عليه السلام ، وقيل هذا باطل بدليل قوله تعالى : (إلى عاد أخوهم هود) ، وقيل ولد سام بن نوح .
جمهرة أنساب العرب ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
انظر قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان للقلقشندي : ت : إبراهيم الأبياري : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ .

(٢) يعرب ومنه تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين، وهما: حِمْير وكَهلان.

فحمير تفرعت منها : قضاعة ، وأحياؤها : بِلى، وجُهَيْنة ، وكلب ، وبَهراء ، وبنو نَهْل.(١)

-١- كهلان وبطونها : الأزد وهم ثلاثة أقسام :

أ - أزد شَنُوءَة ومنازلهم بالسَّراة.

ب - أزد السَّراة ومنازلهم الموقع المعروف باسمهم.

جـ - أزد عمان ومنازلهم بالبحرين.

ومن الأزد :غَسّان ملوك الشام ، والأوس ، والخزرج.

-٢- طيء ومنازلهم اليمن ثم انتقلوا إلى نجد والحجاز على مقربة من بني أسد.

-٣- مَذْحِج وبطونه : خَولان وبنو الحارث بن كَعْب.

وبنو الحارث بن كعب ديارهم بنواحي نجران من اليمن وهم مجاورون لبني ذهل(٢).

-٤- هَمَدان.

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندي ٣١٥/١، معجم قبائل العرب ٩٩١/٣، عمر رضا كحالة، صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١١٦.

(٢) انظر صبح الأعشى ٣٢٦/١١، معجم قبائل العرب ٣٦٦/١، صفة جزيرة العرب ص٥٣ ، القلائد : ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

-٥- كِنْدة.

-٦- مُراد، منازلهم إلى جانب منازل زَبِيد من بلاد اليمن.(١)

-٧- أنْمار ، وأشهر بطونها : خَثْعَم . يقول الهمداني :"بلد خثعم أعراض نجد وبيشة وترّج(٢) وتبالة والمراغة.

-٨- جُذَام ، مساكنها بين مَدْين ، تبوك فإلى أذْرُح إلى اللَّحْوُن والباقون إلى ناحية عكا(٣) .

-٩- لخم.

-١٠- الأشعريون ، ديارهم من حدود بني مجيد بأرض الشقاق فإلى قيْس فزبيد(٤) .

-١١- عَامِلَة.

وكل تلك البطون مساكنها متناثرة ما بين اليمن والبحرين والحجاز لا يستحيل اتصالها بعضها ببعض(٥)

---

(١) صبح الأعشى ٣٢٩/١ ، معجم قبائل العرب ١٩٦/٥.

(٢) وادي بيشة . انظر المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ٣٠٥/١ ، ٣١٦.

(٣) معجم قبائل العرب ١٧٤/١ .

(٤) نفس المرجع ٣١/١ .

(٥) صبح الأعشى ٣٢٩/١ ، صفة جزيرة العرب ١٢٩ ، نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤١١ .

القسم الثاني: العرب المستعربة، وتُعرف بالعدنانية وهم أولاد عدنان ومنهم : مَعْد، ولمعد أربعة من الأولاد : إياد ، نزار ، قنص ·

نزار بن معد : مضر وربيعة ، وإليهما ينتهي نسب عدنان·

وقد قسم النسابون عدنان إلى فرعين كبيرين هما : مضر وربيعة ومنهما تفرعت البطون·

فَربيعة له بطنان هما : أسْد وضُبيعة·

وديارهم بالجزيرة الفراتية وتعرف بديار ربيعة(١)·

وأسد تفرعت منها جذيلة وبنو عنزة ، ومن جُديلة عبدالقيس ·ومن أشهر بطون قيس :(بنو دُبَير) و (بنوفَقْعَس)(٢)·

ومن قبائل ربيعة وائل ومنه بَكْر بن وائل وتَغْلِب، وديار بكر بن وائل ، كما حددها الهمداني من اليمامة إلى البحرين إلى سيف إلى البحر بأطراف سواد "العراق" فالأيلة فهيْت(٣)·

---

(٢) صفة جزيرة العرب ص ١٧١·

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٩٥/١، الناشر دار الكتب العلميـة بيروت لبنان·

(٣) انظر معجم اليمامة لابن خميس ٤٦٣/٢، وينظر منه جزيرة العرب ص٧ ٥·

وكان لتجاور مساكن تلك القبائل كبير الأثر في تكوين لغاتها وتقاربها، كما أن ماحدث بينها من حروب نتج عنه تفرق بعضها وتشتتها في أنحاء جزيرة العرب له أثره الكبير أيضاً في اختلاف لغاتها وتباينها أحياناً عن بعضها البعض.

القسم الثاني من أبناء نزار بن معد بن عدنان مضر، وتنقسم مضر إلى:

(أ) خُندف(١) بن الياس بن مضر.

(ب) قيس بن عيلان بن مُضْر(٢).

- ومن إلياس بن مضر قبائل عدة، منها :

(١) تَميم : وهـي قبيلة كبيرة ذات بطـون عديدة منـهم: (بنوالْعَنْبر) و (بنويَربوع) و (بنو طَهْية) و ديار تميم عامة من الوشم إلى الخليج العربي شرقاً، ومن "يَبْرين" جنوبا إلى "سَغْوان" شمالاً.

---

(١) نسبة لأمهم "ليلى" بنت حلوان بن عران من قضاعة ، انظرجمهرة أنساب العرب ١/١٠.

(٢) المراجع السابقة وينظرتاريخ ابن خلدون ٢/٣٠٥ ، وانظـر الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب للمقبري ١٦٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٦٨ .

ومن ديارهم الدهناء والصمَّان والجواء والوشم ، وهذه لا تزال معروفة بهذا الاسم الآن(١)٠

(٢) القبيلة الثانية : الرِّباب وهم ولد (عبد مناة) بن (أُد) بن (طابخة) ٠ وهم : (عَدِيّ) و (تيم) و (ثَوْر) و (أشْيَب) و (عوْف) ٠

سموا بالرِّباب، لأنهم تحالفوا مع بني عمهم ضَبَّة على بني عمهم تميم بن مُرّ، فغمسوا أيديهم في رُبّ٠(٢)

وديارهم قريبة من ديار تميم بالوشم ماعدا بعض (ثَور) فإنهم قرب (مكة) فديارهم كما قال ابن خلدون : (بلادهم جوار بني تميم) بالدهناء"٠(٣)

(٣) القبيلة الثالثة : هُذَيل ومساكنها "عُرَنة" وبطن "نَعْمَان" و

---

(١) ينظر خصائص لغة تميم : رسالة ماجستير ، د ٠العمري ٠ ٢٤ ، معجم البلاد السعودية لحمد الجاسر ١/٥٦٥، صفة جزيرة العرب ٦٦٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب ١/١٩٨.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/٣١٨.

"نخلة"(١) و"رَحيل" و "كَبْكَب" و "البوباة"(٢) و "أنْطاس" و "غَزْوان"(٣).

(٤) كِنانة : وديارها "سقيا" بالقرب من ديار هذيل(٤).

(٥) قُرَيْش: وهم قسمان: قريش البطاح ، وقريش الظواهر. ومساكن قريش البطاح " وادي مكة" يسمى الأبطح، وقريش الظواهر مساكنها "بظهر مكة"(٥).

---

(١) هناك ما يسمى بنخلة اليمانية ونخلة الشامية ونخلة اليمانية تعرف اليوم باليمانية على الطريق المار بالسيل (قرب المنازل).ونخلة الشامية : واد ذي قرى يسمى اليوم (المضيق) . انظر معجم البلاد السعودية للجاسر١٤٦٥/٣، وقلائد الجمان للقلقشندي٧٢، معجم ما استعجمللبكري١١/١٠.

(٢) البوباة تعرف اليوم بالبُهيْة على الطريق جهة السيل الكبير .ينظر معجم معالم الحجاز لعاتق غيث البلادي ٢٥٨/١ ، ١٨٧/٧ .

(٣) ينظر معجم معالم الحجاز ، عاتق غيث البلادي ٢٥٨/١، ١٨٧/٧.

(٤) صفة جزيرة العرب ١٢٠، قلائد الجمان ١٣٤ ، ١٣٥ ذكر أن ديارهم (ساقية) ، معجم قبائل العرب٨٨٨/٣ ، ٨٨٩.

(٥) معجم قبائل الحجاز للبلادي ٤١٨ ، قريش ، والطبقات الكبرى لابن سعد٧١/١، تاريخ ابن خلدون٣٣٤/٢، قلائدالجمان١٣٨، معجم قبائل العرب٩٤٨/٣، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٢٢.

أما قيس عيلان فقبائل عدة ، منها :

(١) ثَقيف (قبيلة كبيرة).

(٢) هوازن(١) وبطونها :(بنو عَامْر) بن (صَعْصَعة) ومن عامر بن صعصعة تفرعت: بنوكِلاَب، ونُمير، وكَعْب، سُلَيم وغطَفَان، وغَنِيّ، ومن كعب بنوعُقَيْل و بنو قُشير و بنو عَجلان.

وديار كعب تمتد من ديار "نمير" إلى بلاد " الأفلاج"(٢) . وعقيل كما ذكر المؤرخون عنهم أنهم رحلوا إلى البحرين، ثم إلى "الكوفة" ثم عادوا إلى البحرين مرة أخرى(٣)، وبنو عامر ديارهم "ضَرِيَّة" من نجد(٤).

ديار سُليم(٥) تقع فيما يُسمى "بعالية نجد" بالقرب من خيبر، ومن منازلهم حرة سليم وحرة النا بين وادي القرى وتيماء(٦)و غَنِيّ ديارها بين ديار (طيىء) و (أسد)(٧).

---

(١) ديار هوازن بسراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ.
ينظر قلائد الجمان ١١٠ ،وجمهرة أنساب العرب جـ١/٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢، جـ ٢/٢٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ .

(٢) ينظر بلاد العرب للأصفهاني ٢٢١-٢٣٥.

(٣) القلائد١١٢-١٢٠.

(٤) معجم ما استعجم للبكري٣/٨٦٥، انظربلادالعرب للأصفهاني٣٩١.

(٥) سُليْم من قيس عيلان سليم بن منصور بن عكرمة ، وهناك قبيلة يمانية من جذام تسمى سُليم .

(٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٤، وينظر القلائدص ١٢٥ .

(٧) بلادالعرب ٣٨٦، صفة جزيرة العرب ٣٢٥-٣٢٩، صبح الأعشى١/٣٤٥، معجم قبائل العرب ٢/٥٤٣.

وغَطَفان تفرعت منها (عَبْس)، و (ذُبْيان) و (فَزَارة)، وديارهم (الرِّمة في نجد مجاورة لديار طَيِء)و (سُلَيْم) وديار قَيْس قاطبة(١)٠

ومن قبائل قيس :عَدْوان(٢)٠

---

(١) صبح الأعشى ٦١، صفة جزيرة العرب ١٢٩٠

(٢) ينظر صبح الأعشى ٣٤٦/١، ومعجم قبائل العرب ٧٦٢/٢، معجم ما استعجم ٩٠/١.

ثانياً: مصادر لغات العرب:

الصلة بين القراءات واللغة:

تعتبر القراءة من أوثق المصادر لدراسة اللغات ، فهي كما عرفها الزركشي فقال : « والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها ؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما ش (١) . وهي متصلة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد أباح الله عز وجل لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن بأوجه مختلفة تيسيراً عليهم فكل قوم يقرؤون بلغتهم وما اعتادته ألسنتهم ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أنه قال:"أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"(١)٠

كان هذا منه صلى الله عليه وسلم تخفيفاً على أمته وتيسيراً عليهم، ومعنى أحرف سبعة أي لغات متفرقة في القرآن ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة مختلفة في السمع وفي المعنى، نحو: " يسيركم" و "ينشركم" في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ٠(٢)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١٠

(٢) سورة يونس ، آية ٢٢ . قراءة ابن عامر وأبوجعفر " ينشركم " والباقون "يسيركم ". انظر الإبانة في معاني القرآن ٤٦ لمكي بن أبي طالب ، حموش القيسي ، تحقيق د. عبدالفتاح اسماعيل شلبي .

انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع لإبن الباذش : ٦٦٠/٢ ت : د . عبد المجيد قطامش والنشر في القراءات العشر ١٠٤/٣ لإبن الجزري ، ت : د . محمد سالم محيسن . ن : مكتبة القاهرة ، وانظر التبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي : ٢١٩ ت : د. محيي الدين رمضان .

وألفاظ مختلفة في السمع متفقة في المعنى نحو: "جِذوة" و"جَذوة" ، وجذوة في قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(١).

لأن من أنزل عليهم القرآن أهل لغات مختلفة، وألسنتهم شتى يصعب على كل صاحب لغة رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف فكان من تيسير الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن أمره أن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت به عادتهم، فالتميمي يهمز، والحجازي لا يهمز ، والهذلي يقرأ "عتى حين" في "حتى"، ومن يقرأ بالفتح ومن يـقرأ بالامالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم.(٢)

والقراءات الصحيحة على اختلافها وتعدد أوجهها هي كلام الله، فلا دخل لبشر فيها، فكلها منزلة من عند الله مأخوذة بالتلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرجعون فيما يقرؤون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المتعارف فيما بينهم ألا ينكر أحدهم قراءة الآخر المخالفة لقراءته، لقوله صلى الله عليه وسلم:" أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ماشئتم"(٣) لأنهم جميعهم تعلموها من الرسول وتلقوها منه مشافهة، ويكون رد المخالف في القراءة لصاحبه الذي ينتقده بقول :"أقرأنيها رسول الله"، والرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما يسمع قراءة المعترض عليه، والمعترض يرد"كذلك انزلت". وماحدث بين هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) خير دليل على ماذكر.

---

(١) سورة القصص، آية ٢٩. ينظر الابانة ص ٧١.

(٢) ينظر الابانة في معاني القراءات ، ص ٨٠ ـ ٨١.

(٣) وفي رواية أخرى " ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه ، انظر صحيح صحيح البخاري ، المجلد الثالث جـ : ٥/١٠٠ .

خلاصة القول أن ما اشتملت عليه القراءات القرآنية من اختلافات كثيراً مايرجع إلى اختلاف لغات العرب لأن القرآن العظيم نزل بلغتهم جميعا لا بلغة قبيلة دون أخرى(١) . ومن هنا نقول أن المصادر التي يعتمد عليها في معرفة لغات القبائل العربية ترجع إلى مايلي:

(١) القرآن الكريم .

(٢) كلام العرب.

(٣) روايات الحديث الشريف (٢) .

أولاً - القرآن الكريم وقراءته:

لقد صنف كثير من العلماء في لغات القرآن الكريم، ومن يقرأ كتب التراجم يجد أسماء ومصنفات عديدة ألفها العلماء مثل كتاب "لغات القرآن" للفراء، وكتاب "لغات القرآن" لأبي زيد الأنصاري(٣).

فلقد كان القرآن الكريم مدعاة للبحث والتدبر وسبباً من أسباب نشوء علوم العربية، لذا فالقرآن هو أوثق وأول مصدر يعتمد عليه في معرفة اللغات لأن نصوصه محفوظة لم يلحقها أي تحريف ولا تبديل.

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ج ١ / ٢٨٣ للزركشي ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) اختلفت مذاهب النحاة البصريين والكوفيين ومن تبعهم من المتأخرين من ومصريين وأندلسيين في الأخذ بروايات الحديث واعتبارها مصدراً للغات .

(٣) انظر الفهرست لابن النديم ص ٥٩.

قال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾(١)، وأصبحت اللغة التي ينظم بها العرب أشعارهم ويعملون بها عقودهم ويتعاملون بها فهو مصدر موثق وحجة على اللغة لأنه نزل بلغة مثالية معجزة إلا أنه أبيح في قراءته أن يخرج عن تلك اللغة تيسيرا على العرب، وجمعاً لكلمتهم، تقرأ كل قبيلة بلغتها، قال صلى الله عليه وسلم: "هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منها"(٢).

فالقراءات القرآنية كانت مصدراً مهما في تعريفنا بلغات العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم جميعاً، روي عن ابن عباس أنه قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، خمسة منها للعجز من هوازن، سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف"(٣).

فالقرآن لم يأت على لغة واحدة ، فكما فيه من لغة الحجازيين فيه من لغة التميميين وغيرهم، والأحرف السبعة المذكورة في الحديث السالف فسرت بأنها لغات متفرقة في القرآن(٤).

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٦٨/١، انظر صحيح البخاري الجزء السادس/ ١٠ .

(٣) من كتاب اللهجات في التراث ، د.أحمد علم الدين الجندي، قسم أول ١٠٦ نقلاً عن كتاب (مقدمتان في علوم القرآن) ص ٢١١. وينظر ٢٦٩ ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٣٦/١ . وينظر البرهان في علوم القرآن : ٢١٧/١ ، ٢١٩، ٢٨٣ -٢٨٦ ، وينظر الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٢٨ ، المزهر للسيوطي ١٢٧ .

(٤) ينظر الابانة عن معاني القراءات ص٧١.

واختلاف القراءات يدل على تعدد لغات القبائل لأن القاريء وإن كان لا يمثل دائما إلا أنه قد ترد قراءة له على لغته كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه "عتى حين" يقصد بها " حتى حين"(١).

وليست القراءات السبع وحدها مصدراً من مصادر اللغات بل الشاذ أيضاً، لأن منهج علم القراءات موثوق به لغة فهو يعتمد على الأداء والنقل يختلف عن طرق النقل التي نجدها في المصادر الأخرى، كالنثر والشعر، بل ويختلف أيضا عن طرق نقل الحديث. فمنهج النقل في القراءة يعتمد على السماع والتلقي ثم العرض، ولأن لها سنداً من صحة الرواية كما أنها موافقة للعربية بوجه من الوجوه. يقول الدكتور أحمد الجندي: "وما القراءات الشاذة في نظرنا إلا صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل العربية – ولكن هذه القبائل – لم تنل نصيباً من المجد والجاه – فحكموا بشذوذ قراءاتهم التي هي صورة حية للهجاتهم، وأرى أن القراءة وإن شذت – هي أقوى من تراث النثر والشعر على السواء"(٢).

وأوافق ما ذهب إليه الدكتور الجندي في ذلك لأن القراءة الشاذة وإن شذت عن رسم المصحف فهي قد توافق العربية في وجه من الوجوه (٣).

---

(١) ذكر أنها لغة هذيل . ينظر لغات العرب ، لهجة هذيل، عبد الجواد الطيب ٣٤٢.

(٢) من كتاب اللهجات في التراث، قسم أول، ١٠٨.

(٣) ينظر الابانة في معاني القراءات القرآنية ، ص ٥١ ، ٥٢ ، وانظر النشر في القراءات لبعشر لابن الجزري ٦٣/١ .

كما أن أصحاب القراءات كانوا مشهورين بالضبط والدقة، والاتقان إضافة إلى معرفتهم الواسعة بالعربية ووجوهها، يقول أبو حيان في ذلك:(قرأ الجمهور {أن رآه} بألف بعد الهمزة وهي لام النقل وقنبل بخلاف عنه بحذف الألف، قال هو غلط لا يجوز، وينبغي أن لا يغلطه بل يتطلب له وجهاً، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها)(١)٠

وقال:(إن نقل القراءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه)(٢)٠

ثانياً : كلام العرب :

ولقد أظهرت لنا الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب والتاريخ والنحو(٣)، بعض إشارات إلى لغات كثيرة أهمل عزوها إلى قبائلها٠ هذه اللغات لا نشك بأنها تساعدنا في دراسة لغات العرب لأنها روايات مأخوذة عن فصحاء العرب الذين لم تفسد ألسنتهم بمخالطتهم غير العرب من الأمم وهم كثير، وفي ذلك يقول الفارابي في كتابه المسمى بـ" الألفاظ والحروف " :(والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :

---

(١) البحر ٤٩٣/٨.

(٢) البحر ٣١٤/٢.

(٣) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د.عبده الراجحي٠

قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، فانه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ عن لخم، ولا جذام لمجاورتهم أهل النبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، لأن أكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا عن تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا عن بكر لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا عن عبدالقيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة سكان اليمامة، ولا عن ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا عن حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم"(١).

ومن النص السابق نستدل على تشعب القبائل العربية وكثرتها مما سبب في تعدد لغاتها، وأؤيد ما رآه الدكتور الجندي(٢) والدكتور صبحي عبدالحميد من معارضة النحاة في الإحتجاج بلغات القبائل التي رأوا الأخذ عنهم .

---

(١) الاقتراح للسيوطي ١٩ - ٢٠ ، والمزهر للسيوطي ٢٢٨/١ .

(٢) اعترض الدكتور الجندي على منهج اللغويين في ذلك، لأنهم عزلوا عن مجال الاستشهاد معظم القبائل ، اللهجات في التراث ص ١١٥. وقد رأى الدكتور صبحي أن سلامة المنهج يقتضي الأخذ عن الجميع ثم الموازنة والترجيح ، ثم التقعيد ، اللهجات العربية في معاني القرآن ، للفراء، ٨١.

لأنهم إنما منعهم من الأخذ عن غيرهم ما رأوه من فساد ألسنتهم فشكوا في فصاحتها ، وهذا لا يعني أن لغاتهم فقدت بعض الصفات التي تربطها بأخواتها من لغات القبائل الأخرى المعتد بها فكان عليهم أن يأخذوا عن الجميع ثم يقارنوا بين تلك اللغات ولغات القبائل المعتد بها ويقيسوا على فصاحة لغة قبائل قلب الجزيرة، فإذا ظهر أن عربياً أنكر بعض الصفات في لغة ما أو شكوا فيه أنه ملحون رفضوه أو اعتبروه هو الخارج عن لسان العرب .

ومن المصادر التي يعتمد عليها أيضا الأمثال الشعبية واللهجات الحديثة، فالأمثال تدعيها وحديثها تمثل لغة الشعوب أصدق تمثيل ، فهي صورة حية عن اللغة، لأن نطقها يكون على السجية دونما تكلف وقيد .

واللهجات العربية الحديثة تعد أيضا مصدراً يستدل به على معرفة اللغات العربية القديمة لأنها لا تزال تحتفظ ببعض الآثار والصفات القديمة التي ترجع إلى لغات عربية قديمة وإن كانت هذه اللهجات في البيئات العربية المختلفة اليوم ٦فيها تقارب وفيها تباعد أرجعهما كثير من الباحثين إلى سبب التوسع في انتشار اللغات القديمة ، فاللغات العربية القديمة في أثناء نزوح أصحابها قبل الفتح الاسلامي ومعه وبعده انتشرت في بيئات مختلفة في لغاتها تنطق بغير العبرية كالقبطية، والرمية، والفارسية، والتركية، والآرامية، والبربرية، لأن اتساع الفتوحات أدى إلى هذا، فحدث صراع لغوي بين اللغة العربية و اللغات غير العربية نتج عنه تأثر اللغة العربية الوافدة من شبه الجزيرة العربية بلغات البلاد المفتوحة، وهذه الآثار تمثلت في إنشعاب لغات من الصفات العربية وهذا هو سبب التقارب و التباعد ، فالتقارب سببه أن العربية الفصحى كانت مستعملة في الكتابة والقراءة وفي نظم الشعر والنثر

وفي التعامل العام لأنها لغة القرآن، والتباعد بسبب انتشار العربية في مناطق شاسعة مما جعلها غير قادرة على الحفاظ على صورتها الأولى زمناً طويلاً، يضاف إلى ذلك تطورها الداخلي وما أحاط بها من ظروف اجتماعية مختلفة في كل بيئة من بيئاتها المختلفة(١).

---

(١) ينظر اللهجات العربية في التراث ض ١٢٨ - ١٣٠، وفي اللهجات العربية، د. ابراهيم أنيس ص ١٢، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ص ٣٨.

اللغة واللهجة والصلة بينهما:

لا شك أن هناك فرقاً بين اللغة واللهجة، فاللغة أعم وأشمل من اللهجة، ويلحظ هذا في تناول علماء العربية لها عند بيان حدودها وتعريفها.

فاللغة : جمعها لغات ولغون ولغين ولغى(١). يقول ابن جني عنها :"أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٢).

ويقول ابن فارس:"إنها من لغى بالأمر إذا لهج به"(٣).

ويقال : لغوت بكذا لفظت به وتكلمت(٤).

ويراد باللغة : الألفاظ التي تدل على المعاني من أسماء وأفعال وحروف ويراد بها النحو ، وهو طريق تأليف الكلمات وإعرابها للدلالة على المقصود. وكذا يراد بها كل ما يتعلق باشتقاق الكلمات وتوليدها وبنية الكلمات ونسجها(٥).

---

(١) انظر الجمهرة لإبن دريد : ١٥١/٣.

(٢) الخصائص:٣٣/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٤٤٥/٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الناشر : دار الفكر.

(٤) ينظر أساس البلاغة، مادة (لغو) للزمخشري.

(٥) القراءات واللهجات، د. عبدالوهاب حمودة، ص ٥٠٤.

وهي أيضاً نظام من الرموز المتواطأ عليها يتفاهم بها جماعة من الناس ينتمون إلى مجتمع خاص يسهمون في حضارته· فهي لا تختص بإقليم ولا بأناس معينين، وإنما تكون لمجتمع بأسره(١)، يقول د·إبراهيم أنيس:(وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة)(٢)·

أما اللهجة، فلغة اللسان أو طرقه أو جرس الكلام(٣)·

واللهج بالشيء الولوع به، لهج يلهج إذا أغرى به فثابر عليه(٤)·

وفي اصطلاح المحدثين هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة·

وصفات اللهجة التي تتميز بها منحصرة في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ماقد يدور بينهم من حديث·

---

(١) ينظر في "اللهجات في معاني القرآن" للفراء، بحث د·صبحي عبدالحميد ص٢٧، تعريف اللغة واللهجة·

(٢) في اللهجات العربية، الفصل الأول، ص١٦·

(٣) ينظر اللسان، ٤٤٩/٨ .

(٤) معجم الصحاح للجوهري ٣٣٩/١٢·

فالبيئة الأوسع والأشمل هي ما اصطلح على تسميتها باللغة(١) وما ورد في التراث العربي يشير إلى أن علماء اللغة القدماء كانوا حينما يشيرون إلى الإختلاف في لغات القبائل العربية لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو الذي تعرف به عند علماء اللغة المحدثين، وكل ماذكر عن اللهجة أنها اللسان أو طرقه أو جرس الكلام كما هو الحال في المعاجم(٢)، وإنما كانوا يطلقون على اللهجة لغة أو لغية، سأل إعرابي أبا عمرو بن العلاء قائلاً: أخبرني عما وصفت مما سميته عربية أيدخل في كلام العرب كله؟ فقال له أبو عمرو:لا. فقال له: كيف تصنع فيما خالفت منه العرب، وهم حجة؟

قال أبو عمرو: أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات(٣).

و العلاقة أو الصلة بين اللغة واللهجة، فالعلاقة بينهما علاقة العام بالخاص(٤)، فاللغة تكون في مجتمع معين رقعته واسعة يفصل بين أجزائه مسافات متباعدة وتؤثر في كل جزء بيئته وتقاليده، فيتباعدون عن اللغة الأم في بعض الإستعمالات نظراً لهذه الظروف وتصير عادة نطقية خاصة في هذه الألفاظ أو الأصوات، وما ذاك الطور الأخير إلا اللهجة(٥).

---

(١) ينظر"في اللهجات العربية"، ص٢٣.

(٢) ينظر المعاجم اللغوية كالجمهرة والصحاح واللسان، لم يذكر فيهالفظ لهجة.

(٣) المزهر للسيوطي:١/٢٦٠.

(٤) انظر فصول في فقه اللغة د.رمضان عبدالتواب، ص ٥٨.

(٥) ينظر: في اللهجات العربية، ص٢١.

والتغير الذي حدث بين لغات القبائل العربية المتباعدة في المسافات، وفي النواحي الإجتماعية قد حدث في مخرج الأصوات اللغوية أو في التفاعل بين الأصوات حين يتأثر بعضها ببعض أو في مقياس بعض أصوات اللين(١).

فبيئة اللهجة تتميز بصفات صوتية تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، كما تتميز أيضا بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمات ونسجها أو معاني بعض الكلمات ، ولكن يجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التي مرجعها الكلمات ودلالتها، من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها عسيرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى.

وإذا تطورت لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أرضها العوامل الجغرافية والإجتماعية، نستطيع أن نحكم على هذه اللغة بأنها تشعبت إلى لهجات عدة(٢).

وهذا ماحدث للغة العربية، فقد عاشت القبائل العربية متناثرة متفرقة منهم البدو الرحل، ومنهم الحضر المستقرون تفصل بينهم مسافات ليست بالقصيرة ويصعب معها أحيانا الإتصال فيما بينهم، كما أن للظروف الإجتماعية التي كانت تعيشها القبائل تلك أثرها في الحيلولة دون مداومة الإتصال، وهذا كله كان من أسباب ظهور اللهجات.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) بتصرف من اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، ص ٢٣.

ومن الصلات الأكيدة بين اللغة واللهجة إتصالهما بالصوت، وإن كانت جهة الإتصال مختلفة، فإتصال اللغة به من حيث وفاؤه بالمطلوب منه في إفادة المعنى الموضوع له وتمييزه عما عداه، وإتصال اللهجة به من حيث الصورة التي تصحبه في النطق.

ومن الصلة الهامة بينهما أن اللهجة إذا ما تهيأت لها من الأسباب تنمو وتكتمل حتى تصير لغة كما حدث للعربية حينما انفصلت عن أخواتها الساميات، وكما أن اللغة تشعبت إلى لهجات، كذلك اللهجة تستقل وتشيع وتثبت أقدامها حتى تصير لغة.

فاللهجة ما هي إلا لغة، وما اللغة إلا مزيج من اللهجات لكل خصائصها لكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر إتصال أفراد بيئات اللهجات ببعضها البعض.

ويجب أن أشير هنا إلى أن القبائل العربية كانت لها لغات، وتلك اللغات لم يكن الإختلاف بينها كبيرًا، فهو يكمن في طريق نطق بعض الأصوات أي في طبيعة الأداء حيث ذكرت لنا كتب اللغة والمعاجم الفرق في نطق أهل الحجاز مثلاً وتميم لصوتي : القاف والجيم، أو الإختلاف في بنية الكلمة مثل "حَصاد" بالفتح و"حِصاد" بالكسر وجَهْد وجُهْد. ومن هنا يجعلنا نقول : إن الإختلاف لم يكن كبيراً ودليلنا على ذلك إن قريشاً، كما ذكر ابن فارس، كانت تختار وتصطفي من لغات القبائل الأخرى التي تفد إلى مكة المكرمة في موسم الحج، يقول ابن فارس:" أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة... وكانت قريش - مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك

اللغـات إلـى غـرائزهـم وسـلائقـهم التي طبـعـوا عليـهافـصـاروا بذلك أفـصـح العـــرب"(١)٠

وكانت القبائل العربية في الأسواق الموسمية التي كانت تقام في أماكن معينة في مناظراتهم وفي أشعارهم وخطبهم لا يتحدثون إلا بلغة واحدة لا إختلاف فيها، ذلك وإن كان بين القبائل العربية شيء من البعد في المسافات بسبب طبيعة التكـوين الجـغـرافي لأرض الجـــزيرة الذي كـان له كـبـيـر الأثر في الإخـتـلاف في لغـاتهـا إلا أن هنـاك عـوامل أدت إلى الإخـتــلاط بين القـبـائل والإتصـال في بعض الأحيان، فكثير من القبائل العربية تتجاور نظراً لطبيعة أرض الجزيرة، فالحدود بينهـم ليســت قاسية تمنع الإتصـال تماماً، ثم إن مـوارد الميـاه والرعي والأسواق التـي كانت تقـام كل عـام ومـوسم الحـــج ، كل ذلك كـان له الأثر الفـعـال في تقليل نسـبـة الإخـتـلاف اللهـجي بين القـبـائل العـربيـة جـمـعـاء ، مـثل مـا نجد الآن في اللهـجات المحلـية٠

فاللغة المستعملة في معاملاتهم وشئون حياتهم هي اللغة الفصحى التي كانوا يحرصون على اتقان النطق بها واللغة التي يتحدثون بها في قبائلهم كل فرد ينطق على ماعتاد في قبيلته، فالبدوي يسرع في نطقه ولا يهتم بالأداء الكامل للفظه، وقد تكفي الإشارة وتغني عن الكلام نظراً لطبيعة بيئته، والحضري يحرص على الأداء الوافي لما يتطلبه منه المقام ، فكل مستوى من الأداء اللغوي في البيئتين له ظواهره المميزة له٠

---

(١) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٣.

ثالثا : أهمية دراسة اللغات في البحث اللغوي:

منذ زمن ليس ببعيد ظهر اهتمام الباحثين الغربيين بدراسة لغات العرب ، وأدركوا قيمة ذلك في ميدان الدرس اللغوي وتحدثوا عن أهميته في الكشف عن بعض ظواهر اللغة سواء ماكان يتعلق بنحوها وصرفها أو أصواتها ودلالتها، ولعل أول دراسة قام بها الغربيون وصلت إلينا تهتم باللغات كتاب "اللهجات العربية الغربية القديمة"(١)٠

يبين صاحب هذه الرسالة مايلي:

(١) إن الإهتمام بدراسة اللهجات العربية القديمة التي سبقت الفصحى لا يلقي الضوء على العربية واللهجات الحديثة فحسب، بل على المجموعة السامية بأسرها، وذلك لأن العربية حافظت على المميزات السامية القديمة(٢)٠

(٢) أن الفصحى مزيج من لغات شرق الجزيرة وغربها حيث يرى أن التطورات التي حدثت لهذه اللغات ترتبط برباط وثيق بالفصحى٠

(٣) أن كتابة القرآن كانت تمثل تمثيلاً أميناً النطق الحجازي وأن من الطبيعي أن يتناسب النطق الحجازي المحلي مع نطق اللغة الأدبية، كما أنه اعتبر لغة الشعر الجاهلي غير اللغة الأدبية(٣)٠

---

(١) للأستاذ رابين شايم ترجمة د.عبدالرحمن أيوب، وهو دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه سنة١٩٣٧م. لعل هناك دراسات سبقت هذه الدراسة ولكني لم أطلع عليها .

(٢) ص٢١ من مقدمة المؤلف. (٣) ص ٢٥.

(٤) أن لغات الحجاز أو لهجات الحجاز لا تمثل الواقع اللغوي للعربية الغربية لأنها خليط من اللهجات الأخرى التي نشأت عنها الفصحى ويعتبر أن المادة التي بين أيدينا مما سجله اللغويون العرب بلهجة أهل الحجاز هي العربية الغربية في مرحلة انحلالها.

ثم يتحدث عن نظرة اللغويين العرب للهجات وكيف كان منهجهم في جمعها ثم المؤلفات التي تشمل في طياتها إشارات عن اللغات المعزوة وغير المعزوة(١).

ثم يطرح الآراء التي دارت حول العلاقة بين اللغات العربية القديمة والعربية الفصحى فيذكر أن بعضهم يرى أن الفصحى قد تطورت عن لهجات البدو في نجد واليمامة والحجاز، وبعضهم يربط نشأتها بلهجة مملكة كندة(٢)، وهؤلاء هم العلماء الأوربيون. أما علماء المسلمين فعندهم أن أصل اللغة العربية الفصحى كانت صورة مطابقة للغة البدو ، ولذا اعتبر البدوي قياساً للصواب اللغوي.

ويخلص من ذلك كله أن الفصحى في رأي علماء اللغة العرب تحتوي على عناصر من لغات متعددة(٣)، منها: لغة قريش، ومعظم ما في القرآن منزل بها، ولغة هذيل، ولغة هوازن، ثم يذكر السبب في تغلب لهجة قريش ونزول القرآن بها أو أن معظم مافي القرآن منزل بها، فينقل رأي ابن فارس في كتابه الصاحبي الذي يقول :

---

(١) ينظر ص ٣٠ - ٣١.

(٢) ينظر ص ٤٧ فقرة (ب).

(٣) ينظر ص ٥٠، مرجعه الإتقان للسيوطي، ص ١١٠.

" أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم، وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغةً، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً، صلى الله عليه وسلم فجعل قريشاً قُطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم ، وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"(١). لغات القبائل العربية في القرآن الكريم تصور لنا الواقع اللغوي الذي ساد في شبه الجزيرة قبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم أن لغة الشعر الجاهلي هو اللغة الأدبية لا فرق بينهما كما وصفت ذلك جميع المصادر . وما رآه الباحث من أن لغات الحجاز والتي منها لغة قريش لا تمثل الواقع اللغوي للعربية الغربية لأنها خليط وهذا صواب لكنه ناقض ما رآه أن كتابة القرآن تمثل النطق الحجازي وأن النطق الحجازي يتناسب مع اللغة الأدبية التي هي اللغة الفصحى لغة الشعر الجاهلي والتي رأى أنها تكونت من خليط من لهجات الحجاز واللهجات الأخرى ، وما رآه من أن العربية الغربية خليط من لهجات الحجاز وغيرها يناقض ما رآه من أن المادة التي سجلها اللغويون لهجة أهل الحجاز هي العربية الغربية مرحلة انحلالها فيه تناقض ؛ ثم كيف يصفها بالانحلال وهي اللغة العليا النموذجية التي نعتها كثير من العلماء واللغويون بالفصحى ؟

أما اهتمام الباحثين العرب المحدثين بدراسة اللغات العربية فإنه لا يقل عن اهتمام علماء اللغة في أوربا، فقد ساهم كثير منهم ببحث ودراسة لغات القبائل، فقدمت دراسات علمية جادة لنيل درجات الماجستير والدكتوراه، ومن أبرز الدراسات العلمية كتاب "في اللهجات العربية" للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الذي عرض فيه للغات العربية القديمة معتمداً على الروايات القديمة التي سجلها اللغويون العرب في كتب اللغة والأدب والتاريخ، واعتبر الطريقة العلمية الصحيحة التي تبنى عليها دراسة اللغات العربية القويمة تعتمد على ثلاث دعائم:

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٣-٤٠. القرآن نزل معظمه بلغة قريش ولكن ليس كل ما في القرآن لغة قريش. انظر البرهان في علوم القرآن ٢١٧/١ ، ٢١٩ . وانظر البيان والتبيين للجاحظ ١٣٧/٣ نقل فيه رواية تؤيد أنها أفصح العرب.

أولها: دراسة اللهجات العربية الحديثة في كل البيئات العربية دراسة مستفيضة.ويقتضي ذلك جهد جماعات وهيئات لا فرد، والسفر إلى تلك البيئات والإقامة فيها للتعرف على خصائصها، ويذكر في معرض حديثه السر في تباين اللهجات الحديثة مع اعتراضه باحتفاظ هذه اللهجات لبعض الآثار القديمة التي يرى أنه من السهل إرجاعها إلى لهجات عربية قديمة، وإن كان يرى صعوبة ذلك في بعض الأحيان ويضرب الأمثلة على ذلك(١).

ثانيها: دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة وتطبيق روايات القراءات على ما يسمع من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة باستخدام النظريات الصوتية الحديثة والمقاييس والآلات المستخدمة في معامل الأصوات لأن القراءات القرآنية احتفظت بعناصر هامة مرجعها اختلاف اللهجات العربية القديمة(٢).

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة، وتحقيقها وتمحيصها وإصلاح مافسد منها على طريقة تتبع السند التي عنى بها علماء الحديث، هذا إلى جانب دراسة تنقلات القبائل العربية قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها وبيئاتها الإجتماعية وما خالطت من أمم أو شعوب. وبعد هذا كله تأتي مرحلة المقارنة واستنباط القوانين التي خضعت لها اللهجات العربية في عصورها الأولى، وقوانين تطورها بعد الفتح الإسلامي، كما عرض لمدلول اللهجة في الاصطلاح الحديث والقديم واللغة والعناصر التي تتكون منها اللهجة والصفات التي تتميز بها والعناصر المشتركة بين لغات الفصيلة الواحدة(٣).

---

(١) ينظر ص ١٢-١٣.

(٢) ص ١٤.

(٣) ينظر ص ١٨-١٩، ٨٢.

وذكر أسباب نشوء اللهجات وعزاها إلى عاملين رئيسيين هما:

(١) الإنعزال بين بيئات الشعب الواحد.

(٢) الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات ، وكيف كان حال اللغة العربية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث رأى أن النقوش التي عثر عليها في شمال شبه الجزيرة في العهود التي سبقت الأدب الجاهلي والتي عدها كثير من المستشرقين صورة للغة العربية قبل العصر الجاهلي، لا يمكن الاعتماد عليها في دراسة واقع اللغة العربية أو كما سماها طفولتها قبل العصر الجاهلي، وأن الاكتفاء بدراسة النصوص الأدبية في العصر الجاهلي لأنه لا يشك في صحتها لتوضيح حال اللغة العربية قبل الإسلام(١).

وهذه النصوص التي تمثل لغة الأدب الجاهلي أو ما يسمى باللغة النموذجية المشتركة بين القبائل العربية في ذلك العهد والتي بها نزل القرآن الكريم(٢).

ثم صور لنا كيف كانت تنظر القبائل إلى لهجة التخاطب الخاصة بكل قبيلة حيث كانوا لا يتحدثون بها إلا في بيئاتهم بين أفراد القبيلة ، أما في شئونهم الجدية فكانوا يخطبون باللغة النموذجية التي نشأت في مكة وينظمون بها أشعارهم ثم نزل القرآن بمعظم هذه اللغة النموذجية التي معظمها من لسان قريش .

---

(١) (٢) ينظر ص ٣٦.

وعندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية حرصوا على وحدة الدولة والقضاء على عوامل الفرقة فلم تعط لهجات القبائل العربية عناية كما أعطيت لغة القرآن حتى لا يزيد ذلك من عصبية القبائل على حد قوله ويباعد بينها فلم يهتم بتسجيل تلك اللهجات وكل ما روي عنها قليل في ثنايا كتب الأدب والتاريخ واللغة.

أما في عصر التدوين فقد أخذ الرواة يفرقون بين لغة قبيلة وأخرى وينعتون قبيلة بالفصاحة وينكرونها على أخرى، وآثروا الأخذ عن قبائل قلب الجزيرة(١).

كما تحدث المؤلف عن عوامل التطور والجمود(٢) على أساس تقسيم بيئة اللغة إلى بدوية وحضرية ولكل صفاتهاوخصائصها الخاصة بها، كما تختلف نسبة خضوعها لهذه العوامل، فيرى أن لهجة البدو أسرع إلى التطور والتغير بسبب عوامل عدة أرجعها إلى:

الإنعزال، إنعزال الأجيال الناشئة عن جيل الكبار بسبب ظروف البيئة التي تؤدي إلى عدم تلقي الطفل في هذه البيئة لأساليب النطق الصحيح وتقويم لسانه، كما أن الترحل والتنقل الذي هو دأب القبائل البدوية له أثره في نطق الصغار ونمو لغتهم، يضاف إلى ذلك طبيعة البدوي في النطق وعدم العناية بتحسينه والسرعة في الأداء.

---

(١) ينظر ص ٤٨.
رأى المؤلف أن اللهجات أهملت ولكن لا يعتبر إهمالاً وإنما لأنه لم يكن هناك فروق عظيمة بين لهجات القبائل العربية مما يدعو إلى خشية تباعدها في النطق ثم أنها متداولة فيما بينهم في حياتهم اليومية وهم فصحاء لا بعد شائع بين لهجاتهم واللغة الأدبية التي بها نزل القرآن.

(٢) قد يكون المؤلف أخطأفي التعبير لأن اللغة كائن حي يتأثر بالبيئة فلا جمود في حياة اللغة أو لايوصف مايصيب بعض ظواهرها من استقراء فترة معينة بالجمود فالأنسب استقرار.

أما لهجة الحاضرة فخضوعها لعوامل التطور يقل نظراً لحياة الإستقرار وحرص الحضري على تجويد نطقه ومن ثم تعوده على ذلك(١).

وهذا كله يسبب اختلاف لغات البادية عن لغات الحاضرة فيعرف نطق البدوي ونطق الحضري وأكثر ما يتضح ذلك في الناحية الصوتية.

أما كتاب "القراءات واللهجات" للدكتور عبدالوهاب حمودة فيتحدث فيه المؤلف عن الفرق بين القرآن والقراءات، والفرق بين اللهجة واللغة ومعنى القراءة، فالقرآن هو الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، أما القراءات فإختلاف في ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما(٢)، وهي كما عرفها ابن الجزري فقال:" علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة، ولا بد فيها من التلقي والمشافهة لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة .

أما اللهجة فهي : أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل الإمالة، إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها. واللغة تختلف عن اللهجة بأنها الألفاظ التي تدل على المعاني من أسماء وأفعال وحروف وجمل يراد بها النحو(٣).

---

(١) ينظر ص ٩٠، يذكر أن عوامل التطور في لهجة الحاضرة قليلة أو إن وجدت ، وفي رأيي أن هذا تعبير فيه شبه نفي لعوامل التطور.

(٢) الكتاب ، ص ٤ ، د . عبدالوهاب حمودة .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٧ ، ١٢١ ، الفصل السابع.

كما ذكر الآراء التي قيلت في معنى الأحرف السبعة وتفسيرها التي نزل بها القرآن، وذكر أكثر العلماء من أنها لغات لكنهم اختلفوا في تعيين تلك اللغات فأورد قول أبي عبيد أن قريشاً وهذيلاً وثقيفاً وهوازن وتميماً واليمن هم القبائل التي نزل القرآن بلغاتهم.

أما غير أبي عبيد فقال: " خمس لغات في أكتاف هوازن، سعد، وثقيف، وكنانة، وهذيل، وقريش، ولغتان في جميع ألسنة العرب.

وذكر وقال : " قال أبو حاتم السجستاني(١) : نزل القرآن بلغة قريش ، وهذيل ، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر".

ويقول تعقيباً د . عبد الوهاب حمودة على ذلك أننا لو تتبعنا اللغات الفصحى التي نزل بها القرآن لوجدناها تزيد على سبع وفيها غير القبائل التي ذكروها في تفسير السبعة، وأن السيوطي ذكر قول أبي بكر الواسطي: إن في القرآن من اللغات خمسين لغة "(٢).

ثم تعرض للرأي القائل بأن أفصح اللغات هي في قبائل سبع، وناقشه ورأى أن أقرب مقياس للفصاحة والقبائل الفصيحة التي يؤخذ عنها اللغة هو ما ذكره أبو نصر الفارابي(٣).

---

(١) وافقه في ذلك السيوطي وثعلب والزهري.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٩٣/١ .دار الندوة الجديدة بيروت لبنان .

(٣) مذكور النص في المزهر ١٢٨/١، وينظر كتاب القراءات واللهجات ، ص٣٠ ، وانظر ص ١٧ من هذا البحث .

ويرى أن الأرجح أن اللغة التي نزل بها القرآن هي اللغة النموذجية الأدبية، الذائعة حين نزوله، والتي قُسِّم لها أن تستوفى شروط الغلبة والفصاحة.

ولعل أهم ما ذكره المؤلف هو ظهور اللغة الحجازية والتميمية في القراءات في الفصل السابع من هذا الكتاب حيث تحدث عن القراءات واللغات ، وضرب أمثلة للقراءات التي تمثل اللغات وأمثلة للقراءات التي ليس مرجعها اختلاف اللغات واللهجات، مما قاله:"أن المقصود من اللغات هنا أوسع معانيها، فيدخل في ذلك اللهجات، وأن الاختلاف في كثير من القراءات مرجعه إلى اختلاف اللغات، وتعدد اللهجات، ومثالها قوله تعالى{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ}(١)، قرأ يعقوب السجستاني "ولا الضألين"بإبدال الألف همزة فراراً من التقاء الساكنين.

وقوله تعالى{تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ}(٢)، قرأ نافع وأبوعمرو وأبوجعفر بألف بعدالسين من غير همزة، لغة الحجاز، وقرأ الباقون على الأصل بالهمزةالمفتوحة(٣)، والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لحصرها هنا.

أما الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي في كتابه "اللهجات العربية في التراث"(٤) فوضح لنا إلى أي مدى يمكن الإعتماد في دراسة اللغات العربيـــة

---

(١) سورة الفاتحة ، اية ٧ ، وينظر ص ٣٢ من كتاب القراءات واللهجات .

(٢) سورة سبأ : ١٤ .

(٣) ينظر البحر ٢٥٥/٧ .

(٤) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م . الناشر : الدار العربية للكتاب .

على أماكن القبائل مع الأخذ في الإعتبار أن القبائل العربية كما هو معروف كثيرة التنقل من مكان لآخر، فهم، يتبعون المطر ومواطن الكلأ وقليلاً ما يستقرون بسبب ذلك نظراً لطبيعة إقليم الجزيرة العربية الجغرافي ففيها الصحارى القاحلة والمناطق الجبلية والأغوار والمناطق الخصبة بالكلأ، يضاف إلى ذلك اشتغال العربي بالصيد والرعي والغزو فلم تكن القبائل في عزلة ولا واقعة تحت أرض محدودة ضيقة، وكان النسب والحلف والمصالح المشتركة مما يساعد على تقارب تلك القبائل فيما بينها(١)، وقد عرض الدكتور أحمد لمنهج يتلخص في عرض اقتراحين هامين رأى أنه يمكن أن تقوم على أساسهما دراسة اللهجات وهما: أن تدرس اللهجات واللغات على أساس أصغر وحدة قبلية(٢)، وأن تدرس اللهجات العربية على هدى اختلاف طبقات المجتمع العربي لأن اختلاف مظاهر الحياة الإجتماعية في البيئة يؤدي إلى التمييز في اللهجة ومظاهر الحياة الإجتماعية واسعة متداخلة منها ما يرجع إلى الحضارة ومنها إلى البداوة وما يتصل بذلك من أنظمة اقتصادية ونظام السياسة والتشريع، وحياة الأسرة ، وجميعها لها الأثر الفعال في اختلاف اللهجات في البيئة، فلا شك أن المجتمع البدوي له من ظروفه في حياته ما يدفعه إلى التطور بلغته ، كذلك انعزاليته وتعصبه في خصائصه اللهجية وشدة احتفاظه بتلك السمات وتنقله طلباً للحياة والمرعى، كل ذلك يجعله يتجه اتجاهاً خاصاً في كيفية نطقه وتحددمدى تأثر الأصوات بعضها ببعض، بعكس الحضري المستقر في كلامه وعيشه وبيئته.

---

(١) ينظر ص ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٢) القبيلة فرع من الشعب مثل عدنان هو الشعب وتنقسم إلى قبيلة ربيعة ومضر وتنقسم القبيلة إلى العمارة مثل قريش أو كنانة ومن العمارة يتفرع البطن مثل بني عبدمناف من قريش، والفخذ فرع من البطن كبني هاشم ومن الفخذ الفصيلة مثل بني العباس، ص ٨١.

والتي تتطلب منه حسن الأداء وتخير الألفاظ ، وقد عارض بمنهجه هذا منهج المستشرقين القائلين بدراسة اللغات العربية دراسة قائمة على أساس تقسيمها إلى شرقية وغربية و ما رأوه مظهراً أسباب ذلك (١) في :

(١) التقسيم على هذا الأساس كتلة شرقية وكتلة غربية لا يرضي البحث الحديث لأنه لا يقدم أو يكاد ألا يقدم حدود لهجية بينهما.

(٢) أن الحجاز وتميم كلاهما من القبائل الضخمة ذات الفروع والبطون العديدة، وكثيراً ما تخالف لهجة هذه الفروع لهجة القبيلة الأم(٢) ، ثم أن بعض بطون هذه القبائل تفرعت منها وتفرقت عنها في أماكن عديدة، فالدراسة على هذا الطريق تعتبر خروجًا عن المنهج السليم.

(٣) قصر الدراسة على الخلاف بين الكتلتين الحجازية والتميمية فقط سيجعلها محدودة ولا تمثل اللهجات في الجزيرة تمثيلاً صحيحاً ويضيع نتائج حاسمة في دراسة اللهجات.

(٤) أن أخذ الحجاز وتميم في الإعتبار دون غيرهما يضيع على الباحث لهجات المدن كمكة والمدينة والطائف، وكذلك لهجات العمائر والبطون والأفخاذ والفصائل.

(٥) وهناك أسباب جغرافية تعارض هذا التقسيم وذلك نظراً لتداخل الحدود والمناطق(٣).

---

(١) ينظر ص ٥٥. اللهجات في التراث .

(٢) هذا قليل أي المخالفة .

(٣) ينظر ص ٥٧ – ٥٨. اللهجات في التراث .

كما يضاف إلى ذلك أن هناك ظواهر لهجية متشابهة بين الكتلتين الشرقية والغربية واختلافاً لهجياً بين قبائل الكتلة الشرقية والكتلة الغربية واختلاف بين قبائل الكتلة الغربية كما يظهر الاختلاف اللهجي في القبيلة الواحدة شرقية كانت أم غربية(١).

ومما رآه الدكتور أحمد الجندي أن خير طريق لدراسة اللهجات أن تدرس متصلة بالإنسان لا أن تدرس عن طريق الكتب ، لأن الكتابة العربية لا تمثل اللهجات وإنما هي اصطلاح فقط، بدليل أنها لم تنقل اللهجات كما كان ينطقها أهلها لأنها جامدة هامدة ، واللغة كائن حي متطور، ولهذا كثيراً مايقع سوء الفهم واللبس في اللهجات على عاتق الكتابة(٢).

كما أن معرفة الجو الذي قيلت فيه اللهجة يساعد على فهمها ودراستها.

---

(١) ينظر ص ٦١-٧٩، ذكر فيها الدكتور أمثلة على الإختلاف والتشابه.

(٢) ماذكره الدكتور رأي وجيه وجهة نظر سليمة، ولكن من وجهة نظري أرى ألا نغفل جهود العلماء في وصف تلك اللغات وإن كانت الكتابة كما ذكر الدكتور الجندي أحياناً لا تمثل النطق فهم كانوا يصورون نطق اللفظة بما ذكروه لنا من الكسر والجر والرفع والإمالة والتضخيم والترقيق أو الحذف أو الإعلال أو ذكرهم لنطق اللفظة مع بيان فرع الحركة هي مد أو قصور ولكن هذا كله كما ذكر الدكتور الجندي يضيفه تطور اللغة لأنها كائن حي.

ولعل ما ذهب إليه الدكتور الجندي – إن لم أكن مخطئة في فهم ما رآه – هو أخذ اللغة من أفواه الناطقين بها وأن يوضع في الإعتبار أن اللغة لا يمكن أن تبقى على حالة من الثبات عبر الأزمان والعصور، وإنما تتطور على الدوام لأنها ظاهرة ترتبط بالمجتمع على الدوام وتتأثر به حتى تصبح فيها القدرة على تلبية حاجات المجتمع .

أما الدراسات التي اقتصر الباحثون فيها على دراسة لغة قبيلة بعينها ومعرفة خصائصها المميزة لها عن أخواتها من لغات القبائل الأخرى ، دراسة الدكتور عبد الجواد الطيب (من لغات العرب لهجة هذيل)، فقد درس الفرق بين اللغة واللهجة ورأى أنه إطلاق لفظ " اللسان" كثيراً ما يراد به لغة العرب جميعهم، أو لغة شعب كبير، أما اللغة فأغلب ما كانت تطلق معنى لهجة قبيلة بعينها، كما يرى أن هناك فرقًا بينهما، كما فرق بعض اللغويين المحدثين إلا أنه أمر ليس ذا خطر أو ذا بال بحيث يتغير له وجه الحق أو تتأثر به حقائق الأشياء(١).

يرى أن دراسة اللهجات أو البحث فيها القديمة منها والحديثة له أثره الخطير في الوصل بين القديم – الحديث، وفي تطوير اللغة الفصحى وتيسيرها(٢)، والملاءمة بينها، وبين ظروف الحياة الراهنة في الوطن العربي تكتسب جدة وانطلاقاً لأن الهوة أصبحت سحيقة بين الفصحى وبين اللهجات العربية التي تطورت مع الزمن في بيئاتها فصارت الفصحى في جانب واللهجات العامية في جانب آخر.

---

(١) منشورات جامع الفاتح، ليبيا، رسالة دكتوراه ، وينظر ص ٥.

(٢) هذا سليم لكن ما رآه من تطور الفصحى وتيسيرها لا يوافقه أحد فيه فهي فصيحة سهلة لغة كتاب مقدس قال عنها تعالى (بلسان عربي مبين) . ثم لسنا في حاجة لتيسيرها وتجديدها لأن القرآن هو الرابط بيننا وبينها .

كما أن اللهجات العربية الحديثة وإن كانت قد تأثرت في مواطنها بما توارد عليها من مؤشرات تعاقبت مع الأيام لا تزال تحتفظ في كثير من كلماتها بالطابع العربي(١)٠

وأن دراسة اللهجات العربية خير معين للغة العربية على أن تتحرك في ميدان فسيح حتى تستطيع أن تضيق الهوة التي تفصلها عن اللهجات العربية الحديثة، وبهذا تستطيع الفصحى أن تحافظ على حيويتها ونشاطها ٠ ورأى أن دراسة اللهجات القديمة في منهج علمي سليم ومعرفة مواطن القبائل في مختلف أنحاء الجزيرة وتتبع حركاتها وانتقالها، وظعنها، وإقامتها وتأثرها بغيرها وتأثيرها في سواها كله يساعد على دراسة العربية على أصول ثابتة ويوضح علاقتها بغيرها من اللغات السامية٠ وما رآه الدكتور إبراهيم أنيس من وجوب دراسة اللهجات الحديثة ليعين على تقريب الهوة بين اللهجات وبين الفصحى قد يكون فيه شيء مما ذكر ويأتي بالنتيجة المرجوة من الدراسة على هذا المنهج ولكن في رأيي وصفه للإختلاف اليسير بين الفصحى ولهجاتها بالهوة فيه مبالغة ودليل ذلك ما رآه من أن اللهجات الحديثة لا تزال يحتفظ الكثير من كلماتها بالطابع العربي وأبناء الفصحى الذين لم تفصلهم عنها فواصل وهم على رباط بها بفضل نزول القرآن بلغتهم وهو الذي يحمل شرائع الدين لا يجدون هذه الهوة كما ذكر الدكتور .

أما في كتاب "لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة" (٢)للأستاذ غالب فاضل المطلبي، فيرى أن دراسة اللغات العربية القديمة يمكن الإعتماد عليها في الكشف عن تاريخ العربية ومراحل تطورها ٠ كما أنها تعين على تفسير ما إذا كانت هذه اللغة لهجة قبيلة بعينها سادت أو أنها كانت خليطًا متجانساً من لغات قد توحدت ، كما أنه ربما كان من المهم أن دراسة من هذا القبيل تستطيع أن توضح لنا مدى أثر اللغات العربية القديمة في لهجاتنا الحديثة٠

---

(١) ينظر ص ١٢. من كتاب من لغات العرب لهجة هذيل .

(٢) بحث له، نشر وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨م.

لذا اهتم في دراسته للغة تميم بدراسة خصائص هذه اللغة ومعرفة طبيعتها وميولها الصوفية والصرفية وبيان أهميتها وأثرها في عربية القرآن وصلتها باللغات الأخرى.

وقد رأى فيما توصل إليه من نتائج أن العربية الفصحى لم تكن لهجة قبيلة معينة، إنما هي خليط متجانس من أساليب لهجية قديمة، وأن الاختلافات النحوية بين اللهجات القديمة قليلة جداً، أما الإختلافات القوية فقد ظهرت في الأصوات والنظام المقطعي والمستوى الدلالي. وأن أهم الإختلافات بين اللغات واللهجات انما هو طبيعة الأداء، كما لاحظ أن للهجات القديمة تأثيراً قوياً في اللهجات العربية الحديثة في أصواتها وصرفها خاصة.

وهذا رأي متفق عليه لأن القرآن نزل - كما روت مصنفات علمائنا- بلهجات عدة ، فهذا ابن عباس والفارابي ينصان على أن القرآن نزل بلغة قبائل عدة هي أشهر العرب فصاحة (١) .

وهذا ما رآه الدكتور الجندي من ضرورة الدراسة القائمة على أساس أصغر وحدة قبلية لأن اللهجات العربية القديمة على هذا المنوال تمثل جزءاً من تاريخ العربية. كما رأى أن تقوم هذه الدراسة على ملاحظة طبيعة الأداء من حيث السرعة والتأني بوصفه الأساس في نشوء الظواهر اللغوية، وبما أن اللهجات القديمة لها تأثير قوي على اللهجات الحديثة، لذا يجب أن ينظر إليها بوصفها ظواهر لغوية عربية لا يمكن التغاضي عنها في دراسة اللغة العربية ومراحل تطورها(٢).

---

(١) انظر ص ١٤ - ١٧ من هذا البحث ، وانظر المزهر ٢١٨/١ ، والإقتراح ١٩ - ٢٠ .

(٢) ينظر ص ٢٩٠. من لغة تميم وأثرها في العربية الموحدة .

أما الدكتور ضاحي عبد الباقي في دراسته للغة تميم(١)، فقد تحدث عن خصائص هذه اللغة من الناحية الصوتية والخصائص النحوية بما تميزت به البيئة التميمية فكانت دراسته لها دراسة تاريخية وصفية، درس فيها الخصائص المميزة للغة تميم على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، وكان يعتمد في دراسة الظاهرة اللغوية على عرضها على القراءات، ومعرفة موقفها منها، ثم الشعر وخاصة التميمي منه، ولم يقتصر على القراءة المتواترة بل والشاذمنها، ولاحظ أن الفروق اللغوية بين لغة تميم وغيرها من اللغات العربية ليست بكبيرة، مما يظهر تقارب اللغات إلى حد كبير، وقد عرض الباحث أيضاً لبعض المقترحات التى رأى أنها تعين في دراسة اللغات وهي الإهتمام بطباعة الكتب التي تعزو اللغات إلى ذويها، كما أنه على المحققين للكتب الجامعة للغات القبائل مراعاة ضبط الألفاظ المنسوبة إلى قوم معينين وفق نطق ذويها، وعدم إخضاعها للغة المشتركة، ثم رأى ضرورة دراسة لهجات التميميين المقيمين بالجزيرة في الوقت الحاضر وذلك قبل أن تتطور بتأثير وسائل الإعلام الحديثة ومظاهر الحضارة لأن دراسة هذه اللهجات الحديثة – كما رأى – تفيد في فهم مسائل هامة في اللغة التميمية فقد توضح لنا ما يعرض من الأمور المشكلة في أصواتها وصرفها ونحوها وألفاظها، لأن هذه اللهجة قد تكون محتفظة في ثناياها بخصائص صوتية أو ألفاظ وتراكيب أهمل تدوينها أو اكتفي بأن أشير إليها بأنها لغةٌ دون عزوها إلى قوم معينين أو لغة لغير الحجازيين، فدراسة هذه اللغات قد يعيننا ويساعدنا على فهم هذا المعنى على نحو ماتبين لنا من صور الكشكشة التي ذكرها القدماء مازالت تنطق.

---

(١) لغة تميم: بحث لنيل درجة الدكتوراه ١٤٠٥هـ، ط:الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

وذكر أنه لا يوافق بعض المحدثين الذين يخطئون القدماء في وصفهم لظاهرة الكشكشة والتي اشتهرت قبيلة تميم بالنطق بها ٠

ثم رأى أن هذه الدراسة تعين على فهم ألفاظ وردت في الشعر واكتفى اللغويون بتدوينها دون توضيح ، كأن توصف بلفظ "معروف" ونحو ذلك(١)٠

ومن الرسائل التي اهتمت بدراسة اللغات ، البحث الذي قدمه د٠محمد أحمد سعيد العمري لنيل درجة الماجستير، حيث اهتم بدراسة خصائص اللغة التميمية أصواتاً وبنية ودلالة(٢)٠

كما أنه أيضاً بحث في لغات قيس(٣)، بين أهم ما يميز تلك اللغة عن أخواتها من اللغات العربية الأخرى ومدى العلاقة بينها وبين لغات الفصحى الأخرى ببيان خصائصها ومميزاتها وما اشتركت فيه مع أخواتها من ظواهر لغوية توضح مدى تقارب اللغات العربية ، وأثر البيئة على تلك اللغة٠

---

(١) لغة تميم ٦١٤ .

(٢) خصائص لغة تميم : أصواتاً وبنيةً ودلالة، بحث مقدم من د.محمد أحمد سعيد العمري لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة ، جامعة الملك عبدالعزيز١٣٩٦هـ.

(٣) بحث مقدم من الدكتور العمري بعنوان:" لغات قيس " لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة أم القرى.

وللأستاذ الدكتور يعقوب التركستاني رسالة دكتوراه بعنوان "لغات طيىء"(١) وضح فيها آثار لغات طيىء العربية القديمة في المادة اللغوية التي توفرها النصوص الأدبية الجاهلية.

كما كانت هناك دراسة للغات توضح أهمية دراسة اللغة في البحث اللغوي، فهذا الدكتور عبده الراجحي في كتابه "اللهجات العربية والقراءات القرآنية" رأى ضرورة الإعتماد في دراسة اللغات على دراسة الظاهرة اللغوية عن طريق انقسام البيئة إلى بدوية وحضرية، فالدراسة البيئية أو الجغرافية تعين على فهم أي ظاهرة منسوبة لقبيلة بذاتها فهماً صحيحاً، لأن القبائل التي تعيش حياة تحضر واستقرار، تميل إلى طرائق في اللغة تختلف عن تلك التي تميل إليها القبائل البدوية، كما يرى ضرورة محاولة فهم الواقع اللغوي للعربية قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما تمثله القراءات القرآنية فهي مصدر موثق لأنها وصلت إلينا بالتواتر عن ثقات عدول، وذلك بتحديد كثير من الظواهر اللهجية قبل الإسلام وعزوها إلى أصحابها مما يعين في التأريخ لهذه اللغة تأريخياً يعتمد على المنهج العلمي.

---

(١) دراسة في فقه اللغة العربية من جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ. ينظر الرسالة ص ١٥، وهناك بحثان في لغة طيىء، أحدهما بعنوان "ظواهر لغة طيىء القديمة"، د. رمضان عبدالتواب، والآخر تحدث فيه الباحث عن "ذو" الطائية بعنوان: "ذو الطائية بين الإعراب والبناء" للدكتور عبدالله الحسيني البركاتي، مجلة بحوث كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السنة الرابعة، العدد الرابع ١٤٠٧هـ، ص٧٣، وقد اطلعت عليه.

وقد أكد أهمية دراسة القراءات القرآنية في البحث اللغوي مع الأخذ في الإعتبار أن القراء لا يمثلون بيئاتهم اللهجية تماماً لأن القراءة تقوم على الرواية، وأصدق مثل على ذلك ابن كثير قارىء مكة(١)·

ورأى أن الإختلافات النحوية التي تعود إلى اختلاف اللهجات تعين في فهم تطور الناحية الإعرابية في اللغة، كما تعين على تفهم جديد للظواهر النحوية بعيداً عن التأويل الذي كان يذهب إليه النحاة، ثم لم يغفل أهمية الأطلس اللغوي في الدراسات اللغوية فهو يعين على فهم طبيعة اللغة المراد دراستها فهماً صحيحاً كما رأى، يضاف إلى ذلك أهمية أخذ اللغات من مصادرها المختلفة كما هي معروفة، والإهتمام مع ذلك بالبحث والتنقيب في أرض الجزيرة العربية للوصول إلى ما قد يكون فيها من آثار ونقوش تعين على تصور التطور اللغوي فيها(٢)·

وهكذا أخذت الدراسات للغات تتوالى تبين وتوضح أهمية مثل هذا الدرس· فدرس الدكتور عبدالله الحسيني اللغات الحجازية التميمية من ناحية الصرف والنحو موضحاً أوجه الإختلاف بين هاتين اللغتين الحجازية والتميمية وبيان ما يميز كل لغة عن الأخرى، بما يظهر معالمها واضحة عن سائر اللغات في الجزيرة العربية·كما بين أن لغة الحجاز ليست لغة قبيلة معينة كما يرى بعض الباحثين، إنها لغة قريش بل أنها اللغة التي تكونت على لسان مجموع من القبائل الحجازية اشتركت لغاتها في ظواهر معينة أطلق عليها النحاة وجامعو اللغة الأوائل اسم لغة الحجاز·

---

(١) ينظر الخاتمة، ص ٢٠٦.انظر التبصرة والتذكرة في القراءات ٧٤ ، كتاب الاقناع في القراءات السبع ١/٤٤٦ الهامش (٤) .

(٢) ينظر ص ٢٠٦.

كما بين أن لغة تميم لغة مجموع فصحاء بني تميم لا لغة الجميع٠

كما وضح أسباب الإختلاف بين اللغتين الحجازية والتميمية وهما من أصل واحد يرجع إلى البعد الشاسع واختلاف البيئة والظروف ٠ ثم يرى ما رأى الباحثون قبله مثل الدكتور الجندي أنه من المهم دراسة لغة كل قبيلة على حدة للتعرف على الخصائص الدقيقة لكل لغة ثم المقارنة بين لغتين منها أو أكثر على غرار ما فعل بين اللغتين التميمية والحجازية بمعنى أنه تدرس اللغات على نطاق أضيق وحدة أو أصغر وحدة قبلية ٠

أما دراسة الباحثة صالحة آل غنيم فقد قامت بدراسة اللهجات في كتاب سيبويه وحصر كل ما ذكر منسوباً من لهجة في الكتاب أو غير منسوبة محاولة نسبة ما أهمل سيبويه في كتابه "الكتاب" عزوه ، وذكرت أهمية التعرف على مواطن اللهجات لأن دراسة اللهجات العربية تتطلب ذلك فلا بد من التعرف على أهم القبائل العربية ومنازلها(١)٠

وبعد فالعرض السابق الموجزللدراسات والبحوث اللغوية التي بينت أهمية دراسة اللغات في البحث اللغوي والأسس التي يجب أن تقوم عليهادراسة اللغات للتعرف على خصائص تلك اللغات وإلى أي مدى تفيد دراسة اللغات معتمدين على أماكن القبائل الناطقين بتلك اللغات مع التأكيد أن القبائل العربية كما هو معروف كثيرة الترحل والتنقل بسبب ظروف البيئة الجغرافية للجزيرة العربية ٠ يضاف إلى

---

(١) اللهجات في "الكتاب" لسيبويه، أصواتاً وبنيةً، مقدم لنيل درجة الماجستير ، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

ذلك عدم وجود حدود فاصلة تعتبر بين منازل ومواطن القبائل أصحاب اللغات ، كما أن طبيعة حياة العربي من اشتغاله بالرعي أو الصيد أو الغزو وظروفه الإجتماعية الأخرى كالنسب والحلف والمصالح المشتركة ساعد على تقارب القبائل العربية فلا حدود ولا عزلة بينها .

وأظهر كيف أن دراسة اللغات على أساس أصغر وحدة قبلية له أهمية كبرى وكيف أن مظاهر الحياة الإجتماعية في البيئة يؤدي إلى التميز في اللغة، فالمجتمع طبقات ، فالبدوي له ظروفه التي تدفعه إلى التطور بلغته ، كما أن إنعزال البدوي في بيئته وتعصبه وشدة احتفاظه بسمات لغته وتأثرها بطبيعة حياته القاسية تجعله يتجه في نطقه إلى كيفية تختلف عن الحضري الذي يعيش حياة الإستقرار في بيئته المختلفة التي تتطلب منه والتأني في نطقها .

كما أظهر العرض أهمية دراسة اللغات واللهجات الحديثة لأن تلك اللهجات لا زالت تحتفظ بسمات اللغة العربية المشتركة فينظر لتلك اللهجات بوصفها ظواهر لغوية عربية لا يمكن اغفالها في دراسة اللغة العربية ومراحل تطورها مع أهمية دراسة اللغات القديمة على أساس أصغر وحدة كما سبق لأنها تمثل جزءاً من تاريخ العربية.

ويظهر أيضاً أهمية الإعتماد في دراسة الظواهر اللغوية على عرضها على القراءات القرآنية فهي مصدر موثق لأنها وصلت إلينا متواترة من ثقات عدول مع الأخذ في الإعتبار أن القراء لا يمثلون بيئاتهم اللهجية ، كما ظهر أهمية الأطلس اللغوي في الدراسة اللغوية فهو يعين على فهم طبيعة اللغة المراد دراستها فهماً صحيحاً(١). يضاف إلى ذلك أهمية أخذ اللغات من مصادرها المختلفة كما هي معروفة المتمثلة في مصنفات اللغويين العرب القدماء في اللغات العربية القديمة والتي وضعوا لها عناوين تدل على اهتمامهم بدراسة لغة قبيلة معينة أو بيئة محدودة، ومعظم هذه المصنفات مفقودة، ومنها ما يطلق عليها مسمى لغة، وهي:

---

(١) ينظر اللهجات والقراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ٢٠٦.

(١) كتاب اللغات ليونس بن حبيب. (ت ١٨٣هـ)

(٢) كتاب اللغات لأبي عمرو الشيباني.(ت ٢٠٩ هـ)

(٣) كتاب اللغات لأبو عبيد . (ت ٢١١ هـ) وكتاب الأصمعي . (ت ٢١٠ هـ)

(٤) كتاب اللغات لأبي زيد. (ت ٢١٥ هـ)

(٥) كتاب اللغات لإبن دريد(٢). (ت ٣٢١ هـ)

وكتب اللغات في القرآن من مثل:

(١) كتاب اللغات في القرآن لإسماعيل بن عمرو المقريء.

(٢) رسالة ماورد في القرآن من لغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام. (ت ٢٣٠)

(٣) رسالة في لغات القرآن لأبي حيان(٣). (ت ٧٤٥ هـ)

---

(١) ينظر الفهرس لإبن النديم ص ١٧- ٤٩ ، ١٠٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٧ ، والتهذيب ٢٥/١.

(٢) ذكر الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنه وقف عليها في الخزانة التيمورية مخطوطة ، انظر كتاب « اللهجات في التراث » ص ١٣٧ .

(٤) رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل.

(٥) كتاب في لغات القرآن للهيثم بن عدي(١). (ت ٢٠٧ هـ)

وهناك كتب في لغات هذيل لعبدالعزيز بن الفضل بن فضالة الهذلي(٢).

وكتاب السبب في حصر لغات العرب لحسن بن مهذب المصري(٣).

---

(١) الفهرست : ٥٩.

(٢) الفهرست : ٥٩ .

(٣) انظر الفهرس : ١٥٧.

(٤) الفهرست : ٢٣٦.

رابعاً - ترجمة أبي حيان النحوي

قال الصفدي(١):(محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ فريد العصر، وشيخ الزمان، إمام النحاة أثير الدين أبوحيان الغرناطي النفزي)٠

وقال:(لم أرَ في أشياخي أكثر اشتغالاً منه، لأني لم أره قط إلا وهو يسمع أو يشتغل، أو يكتب، ولم أره على غير ذلك)(٢)٠

وقال ابن الجزري: (أبو حيان الإمام الحافظ ، أستاذ المفسرين)(٣)٠

وقال:(أستاذ العربية والقراءات)(٤)٠

حياة أبي حيان ومنهجه النحوي (٦٥٤ هـ - ٧٤٥ هـ) :

نسبه :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين

---

(١) تلميذ أبي حيان.

(٢) يراجع نفح الطيب : ٢٩٣/٣.بغية الوعاة ٢٨١/١ .

(٣) النشر في القراءات العشر :٤١/١.

(٤) المرجع نفسه :٢١٦/١.

أبو حيان الأندلسي الغرناطي النّفزي(١)، نسبة لنفز قبيلة البربر(٢)، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة من شوال.

كان أبو حيان نحوي عصره ولغويّه ومفسره ومحدثه ، ومقرئه ومؤرخه وأديبه(٣).

وهو أكبر نحاة عصره في الأندلس بعد ابن مالك، تتلمذ على أبي جعفر ابن الزبير وابن الضائع في النحو وأكب بجانب ذلك على التفسير والحديث وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطّباع ، والعربية عن أبي الحسن الأبّذي، وأبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأحوص وابن الضائع، وأبي جعفر اللبْلىّ، وبمصر عن البهاء بن النحاس(٤)حيث لزمه وأخذ عنه كتبه، أقرأ في حياته شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً

---

(١) الجياني، زيادة في بعض المصادر، انظر الأعلام للزركلي خير الدين:٧/١٥٢، ط. دار الملايين. نفح الطيب ٣/٢٩٣ .

(٢) من ولد بربر بن قيس بن عيلان من مضر وهم قبائل زنانة ونفز وهوار وصنهاجة وكنانة ولذاتة ومدينة ومرانة ، انظر بغية الوعاة للسيوطي ١/٢٨٠ ، وشذرات الذهب ٦/١٤٥ .

(٣) البغية : ١/٢٨٠ .

(٤) استاذ أبي حيان بمصر .

منهم أبو الحسن بن ربيع، وابن أبي الأحوص ، والرضيّ الشاطبيّ ، والقطب القسطلاني، والعز الحمداني وأجاز له خلق من المغرب والمشرق منهم الشريف الدمياطي ، والتقي بن دقيق العيد ، والتقي بن رزيق وأبو السُمَّن بن عساكر(١).

جوانب من حياة أبي حيان:

كان أبو حيان واسع العلم غزيره كثير التأليف ، والناظر في مؤلفاته يدرك بذلك ، تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه بغرناطة على شيوخ عصره وروى عنهم وهم كثير ، منهم النحوي واللغوي والمتحدث والفقيه، بدأ بدراسة القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية ثم رحل إلى بلاد المشرق سنة تسع وسبعين وستمائة من الهجرة وقصد مصر في عهد المماليك البحرية(٢) واستقر بها ولقي حظوة لدى

---

(١) ينظر بغية الوعاة :١/٢٨٠ . ٢٨١، أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي / ٢٩ ، ٣١ ، ٥١ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٦/٣١ ، طبقات القراء : ٢/٢/٢٨٥ ، والدرر الكامنة لإبن حجر:٤/٣٠٢، وشذرات الذهب لإبن عماد:٦/١٤٥، نكت الهميان للصفدي/٢٨ ، وفيات الأعيان : ٢/٣٥٢ ، نفح الطيب : ٣/٢٩.

(٢) ذكر سبب رحلته إلى المشرق وأنها بسبب ما وقع بينه وبين الأستاذ الطباع حيث تعرض له وكذلك وقعت بينه وبين أستاذ أبي جعفر بن الزبير وقفة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه ماكان سبباً في الأمر بإحضاره والتنكيل به . بغية الوعاة ١/١٠٨ ، ٢٨١ .

سلاطين مصر وأمرائها وحكمائها، وعين مدرساً للنحو في جامع الحاكم سنة أربع وسبعمائة من الهجرة ، ثم مدرساً للتفسير سنة عشر وسبعمائة من الهجرة في عهد السلطان القاهر الملك الناصر(١).

وقد كان للبيئة التي نشأ فيها والشيوخ الذين أخذ العلم عنهم أثر في تكوين شخصيته وثقافته فهو كما سبق ذكره مقرىء عصره ومفسره ومحدثه ولغويه ونحويه، وأكبر دليل على ذلك مؤلفاته التي تصور وتبين ما كان عليه من عظيم الثقافة ووسع الاطلاع. بدأ بدراسة القرآن العظيم فهو يراه أهم المعارف التي يلزم المؤمن الإلمام بها وقد كان أخذه عن العلماء إما بالرواية مباشرة وهؤلاء هم أشياخه وإما بالإطلاع على الكتب والنقل عنها ، فهو يرى القرآن العظيم أهم المعارف التي يلزم المؤمن بها فيقول : " فإن المعارف حجة ، وهي كلها مهمة، وأهمها مابه الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ، وذلك علم كتاب الله هو المقصود بالذات ، وغيره من العلوم له كالأدوات ، هو العروة الوثقى والوزر الأقوى الأوقى.." (٢).

قرأ على كثير من الشيوخ والعلماء الذين كان لهم الأثر الطيب في حياته العلمية فقد تردد ذكرهم والنقل عنهم في كتبه(٣) فنراه في البحر يذكر شيوخه الذين قرأ عليهم وأجازوا (٤) :

---

(١) انظر شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي : ١٤٦/٦ وانظر بغية الوعاة : ٢٨٢/١.

(٢) البحر:٢/١.

(٣) البحر : ٢٦/٥ ، ٥٥٢/٣ ، ٣٤٢/١ ، ١٧٦/٢ ، ٦/١ ، ٢٤١/٢.

(٤) انظر البحر ٧/١ ، ١١ ، ١٦٣ – ١٩٦ ، ٢٩٤/٢ – ٤٢٨ ، ٤٦٤/٣ ، ٢٦/٥ ، ٦٧ ، ٤٩٧ ، ٨٤/٦.

" وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني عرف بابن الطباع بغرناطة وعلى الخطيب أبي محمد عبد الحق بن على بن عبدالله الأنصاري الوادي"(١)٠

ويقول:" وقرأت القرآن بالقراءات الثمان بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح رشيدالدين بن أبي محمد بن النصير على بن يحيى الهمذاني عرف بابن المريوطي، وقرأت القراءات السبعة بمصر حرسها الله على المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر اسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي٠٠"(٢)

ويذكر أنه قرأ برواية ورش ويسرد أسانيد قراءته(٣) التي بدأت بقراءته على شيوخه بالأندلس ومصر وانتهت بالقراءة المتصلة السند بقراءة أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عدي الملقب بورش في مصر وقراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة نافع قريبة السند برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك :" هذا الإسناد صحيح دائر بين مصري ومدني فمن شيخي إلى ورش مصريون ومن نافع إلى من بعده مدنيون ومثل هذا الإسناد عزيز الوجود بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً"(٤)٠

---

(١) البحر:١/٧، ٥/٦٧، ١/١٦٣-١٩٦، ٥/٤٩٧، ٣/٤٦٤، ٢/٢٩٤-٤٢٨، ٦/٨٤٠

(٢) البحر:١/٧، وينظر :١/١١٠

(٣) البحر ١/١١٠ (٤) البحر:١/١١، ١٢، ٥/٢٦٠

ونجده قد برع في التفسير والحديث والقراءات والتاريخ والأدب واللغة والنحو حيث ألم بهذه العلوم الماماً عظيماً فقد ذكر ذلك في تفسيره البحر فتحدث عن الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم من مقرئين ومحدثين ونحويين ولغويين من مغاربة ومشارقة فعمدته في تفسيره البحر المحيط على كتابي تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل للزمخشري، وتفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لإبن عطية، وقد تحدث عنهما وعن شهرتهما فقال:"أنهما في التفسير الغاية التي لا تدرك والمسلك الوعر الذي لا يكاد يسلك.."(١).

كما اعتمد على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي المعروف بابن النقيب وهو من شيوخ أبي حيان(٢).

فثقافته موسوعية متنوعة إطلع على كثير من علوم عصره وتزود منها بنصيب وافر فقد اطلع في علم اللغة على كتاب ابن سيدة المحكم وكتاب الجامع لأبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بابن القزاز وكتاب تهذيب اللغة للأزهري، والموعب لإبن التياني ، والصحاح للجوهري، والبارع لأبي علي القالي، ومجمع البحرين للصاغاني ، كما حفظ كتاب الفصيح لأبي العباس الشيباني، وكتاب ابن القوطية وابن طريف وكتاب السرقنطي المنبوذ بالحمار ومن أجمعها كتاب ابن القطاع(٣).

---

(١) ذكر أبو حيان تصانيف للزمخشري منها الفائق في لغات الحديث، ومختلف الأسماء ومؤتلفها، وربيع الابرار، والرائض في الفرائض، والمفصل مما يدل على سعة اطلاعه. ينظر رالبحر:١/١٠.

(٢) ينظر البحر:٥/٨٧، ٩١، ٣/٥٠٦. (٣) نفس المرجع :١/٢٠٦.

أما كتب الحديث التي سمعها ورواها عن شيوخه فهي الصحيحان والجامع للترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي وابن ماجة، وسنن الشافعي ومسند الدارمي ، ومسند الطيالسي، ومسند الشافعي، ومسند الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له، ومستخرج أبي نعيم(١)٠

وفي علم أصول الفقه ألم بكتاب المحصول لأبي عبدالله بن الرازي، يقول:
ومن أجمع مافي هذا الفن كتاب المحصول لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي وقد بحثت في هذا الفن في كتاب الإشارة لأبي الوليد الباجي على الشيخ الأصولي الأديب أبي الحسن فضل بن ابراهيم العافري بجامع غرناطة٠٠ وعلى الأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير في كتاب الإشارة ومن شرحها له وذلك بالأندلس، وبحثت أيضاً في هذا الفن على الشيخ علم الدين عبدالكريم بن علي بن عمر الأنصاري المعروف بابن بنت العراقي في مختصره الذي اختصر من كتاب المحصول "(٢)

أما القراءات، فقد رأى أن أحسن ما صنف في هذا الفن كتاب الإقناع لأبي جعفر ابن الباذش في القراءات السبع ، أما القراءات العشر فكتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري(٣)٠

كما كان على صلة وثيقة بكتب الأدب ودواوين الشعراء فحفظ دواوين مشاهير العرب السبعة : امريء القيس، والنابغة، وعلقمة، وزهير، وطرفة، وعنترة، وديوان الأفوه الأودي ، وحفظ كثيراً من اللغات المحتوى عليها نحو الثلث من كتاب الحماسة واللغات التي تضمنها قصائد مختارة من شعر أبي تمام حبيب بن أوس(٤) قال الصفدي : " قرأت عليه الأشعار الستة وكان يحفظها ، والمقامات الحريرية وسقط الزند لأبي العلاء .

---

(١) البحر:١/٦٠ (٢)و(٣) نفس المرجع١/٧ ٠ (٤) نفس المرجع١/٦٠

أما النحو والتصريف فقد ألم بهما إلماماً كبيراً فقد تتلمذ على أبي جعفر ابن الضائع(١)، وكان يرى أن خير الكتب التي وصفها المتقدمون كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، وأحسن كتب المتأخرين من المختصرات كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبدالله بن محمد بن مالك الجياني الطائي ، وفي التصريف كتاب الممتع لأبي الحسن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي(٢).

وفي علم البديع والبيان بحث في كتاب شيخه ابن النقيب، وكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لشيخه وأستاذه أبو الحسن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني(٣).

كل ذلك كان له أثره على شخصية أبي حيان مما جعل العلماء يثنون عليه قال عنه تلميذه الصفدي:" لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في الكتاب ولم أره على غير ذلك، وكان ثبتاً قيماً عارفاً باللغة"(٤).

وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق لهما خدم هذا الفن أكثر عمره(٥).

وقال ابن الجزري عنه في كتاب النشر في القراءات العشر(٦):"أبوحيان الإمام الحافظ، أسناد المفسرين " وقال:"أستاذالعربية والقراءات"(٧).

---

(١) انظر البحر:٦/١، نفح الطيب:٣١٧/٣، ٤٦٤/٣ ، وانظر البغية : ٢٨٠/١ .

(٢) انظر البحر :٦/١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) نفح الطيب : ٢٩٣/٣ .

(٥) انظر شذرات الذهب: ١٤٥/٦ لابن العماد الحنبلي.

(٦) النشر:٤١/١.

(٧) نفس المرجع:٢١٦/١، ٤١.

كما قال تلميذه الإدفَوِيّ: "وكان ثبتاً حجة سالم العقيدة من البدع والفلسفة والإعتزال والتنجيم"(١).

وقد تخرج به جيل من النحاة الذين كانت لهم اليد الطولى في النحو أمثال ابن عقيل وابن أم قاسم(٢).

كما أخذ عنه أكابر عصره وتقدموا في حياته كالشيخ تقي الدين السّبكي وولديه والجمال الإسنّوي وابن قاسم وابن عقيل والسّمين، وناظر الجيش وابن مكتوم، والسّفاقسي(٣) وابن منظور صاحب لسان العرب والصفدي والأدفَوِيّ، وابن فضل العمري وغيرهم.

ولكثرة الشيوخ(٤) الذين تلقى عنهم أبوحيان العلم وقرأ عليهم دلالة واضحة على غزارة علمه ، فهذا أبوجعفر بن الزبير يقول عنه أبو حيان:"لم ترقى أعصارنا من يقارب السلف من ذلك غير رجل واحد وهو أستاذنا أبو جعفر بن الزبير"(٥).

---

(١) الدرر الكامنة لإبن حجر : ٣٠٤/٤ ، وانظر البغية : ٢٨٢/١ .

(٢) من نحاة مصر ، انظر البغية : ٢٨٠/١ ، وشذرات الذهب : ١٤٥/٦.

(٣) ينظر بغية الوعاة : ٢٨٠/١.

(٤) قال أبو حيان : جملة من سمعت منهم نحو خمسمائة ، نفح الطيب : ٣٠٤/٣، ٣٠٦، ٢٦/٥.

(٥) البحر: ٥٢٢/٣ ، ٣٤١/١ - ٣٤٢ .

وابن النقـيب وابن الحكم بن مـالك بن المرحل المالقي وابن النحـاس والسخاوي، أبو الحسن الكتاني المعروف بابن الضائع وأصحابه أمثال أبو جعفر بن رشيد المالقي وابن مضاء ، وشمس الدين الذهبي ، وأبو العباس بن عبد الغني السروجي الحنفي ، وابن دقيق العيد وابن عصفور وابن مالك(١)٠

ولقد ترك أبو حيان تراثاً عظيما نتاج ثقافة واسعة، وعقلية عالية فريدة فهو بحر كلما خضت في أعماقه زادت دهشتك ورغبتك في الإطلاع ، ولعلي في عرضي السريع الموجز لمؤلفات أبي حيان أظهر صفات هذه الشخصية المتميزة وأطلع على بعض جوانب هذه الثقافة الفذة(٢)٠

أولاً – في الدراسات القرآنية والدينية ترك كتابين لهما قيمة علمية كبيرة هما تفسير البحر المحيط وهو من أكبر مؤلفاته في هذا المجال ومن أهم آثاره ، ويقع في ثمانية أجزاء كبيرة(٣)٠

والنهر الماد من البحر المحيط المطبوع على حاشية البحر وهو اختصار لما ورد في البحر لتيسير ما غمض معناه فيه(٤)٠

---

(١) البحر : ٦/١ ، ١١ ، ١٩ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ، ١٩٦ ، ١٦٣/٣ ، ٥٠٦ ، ١٨٧/٥ ، ٦٧ ، ٤٩٧ ، ٨٤/٦ ، ٤٢٩/٢ ، ٤٢٨ ، ١٠٩/١ ، ٨٨ ، ٤٦٤/٣.

(٢) ينظر: أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي ٦٥ ، والبدر الطالع بمحاسن ما قبل القرن السابع : ٢٨٩/٢ ، ونفح الطيب ٣١٩/٣ .

(٣) وضع الشيخ عبد الخالق عضيمة رحمه الله فهرسة له كماذكرذلك في بحث له عن البحر ولكني لم أتمكن من الحصول عليه رغم بذل الجهد.

(٤) البحر :١٣/٤.

ولا يفوتني أن أذكر أنه طبع على حاشية البحر أيضا تلخيص لتلميذ أبي حيان الشيخ تاج الدين أبي محمد الحنفي النحوي والمسمى" الدر اللقيط من البحر المحيط"(١) وقد قصره مؤلفه على مباحث أبي حيان مع ابن عطية والزمخشري(٢).

وثانيا - اهتمامه باللغة والنحو والصرف وتأليفه في هذا المجال صنفان: صنف هو شروح على ما ألف غيره من العلماء في النحو والصرف واللغة كشروحه لكتب ابن عصفور " المقرب"و "الممتع" و "الشرح الكبير"، فالمقرب استفاد منه في كتابه "تقريب المقرب"، والممتع شرح عليه كتابه المسمى "المبدع الملخص من الممتع" وهو تلخيص له ، واختصر كتاب "الشرح" في كتابه المسمى "الموفور في شرح ابن عصفور".

أما مصنفات ابن مالك فقد درسها لتلاميذه وجسرهم على الخوض فيها والاستفادة منها فله على كتاب "التسهيل" لابن مالك ثلاثة شروح مطولة ومختصرة، هي كتاب "التذييل والتكميل في شرح التسهيل" وكتاب "التخييل الملخص في شرح التسهيل"، وكتاب "التكملة في شرح التسهيل"(٣).

وعلى الألفية لابن مالك ألف أبوحيان" منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" قال عنـــــه الصفدي: هو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك

---

(١) البحر : ١٣/٣ .

(٢) ينظر البحر : ٣/١، ٤ ، ٦٥ ، أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي : ٢٣٠ ، وانظر البغية : ٢٨٢/١ ، وشذرات الذهب : ١٤٥/٦ .

(٣) ينظر أبو حيان النحوي : ١٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ونفح الطيب: ٢٩٢/٣ ، ٣٠٧ .

ورغبهم في قراءتها، وشرح مهم غامضها وخاض بهم لججها(١).

والإسفار في الملخص من شرح سيبويه للصفّار والتجريد لأحكام كتاب سيبويه.

أما مؤلفات أبي حيان في النحو والصرف التي لم تكن شرحاً ولا تلخيصاً لمصنفات غيره فكثيرة أولها : كتابه "إرتشاف الضرب من لسان العرب" وهو تلخيص لكتابه " التذييل والتكميل" وقد بلغ هذا الكتاب القمة في الترتيب والتبويب(٢).

وهذا الكتاب يعد سجلاً حاوياً لمختلف آراء النحاة لإعتماده على كتب قيمة كثيرة(٣).

يقول السيوطي عنه :" لم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع"(٤).

وكتاب " غاية الإحسان في النحو" و "شرح الشذا في مسألة كذا"، وكتاب "اللمحة والشذرة" وكلاهما في النحو ، وله كتاب "اللمحة البدرية في علم العربية"و "الهداية في النحو"(٥).

---

(١) ينظر البغية ٢٨٢/١ .

(٢) ينظر الإرتشاف :١/٣٠-٣٢ تحقيق: د. مصطفى أحمد النحاس ط/أولى.

(٣) البغية ٢٨٢/١ .

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) ينظر خديجة الحديثي (أبوحيان النحوي) ١٤٩ ومابعدها ، والبغية ٢٨٢/١ .

والتذكرة في العربية، وهناك كتب لم يكملها كـ "شرح الألفية"، و "نهاية الإعراب في التصريف والإعراب".

ومن مؤلفاته في اللغة "تحفة الأريب عما في القرآن من الغريب"(١) و"الإرتضاء في الفرق بين الضّاد والظّاء".

وفي القراءات القرآنية ألف كتاب "الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية" وكتاب "عقد اللآليء في القراءات على وزن الشاطبية"(٢) وله كتاب "الوهاج في اختصار المنهاج للنووي"، وكتاب " النافع في قراءة ابن نافع" و "الأثير في قراءة ابن كثير"، و "المورد الغمر في قراءة أبي عمرو"، و " الروض الباسم في قراءة ابن عاصم"، و "ورد المزن الهامر في قراءة ابن عامر" و "الزمزة في قراءة حمزة" و "تقريب النائي في قراءة الكسائي" ، و "غاية المطلوب في قراءة يعقوب" ، و"المطلوب في قراءة يعقوب قصيدة"، و "النثر الحلي في قراءة زين بن علي" .

وله في التراجم كتابان هما: " النفار في المسلاة عن نضار" ، وكتاب "مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر"، و"تحفة الندس في نحاة الأندلس"(٣).

---

(١) ذكر الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنه اطلع عليه في المكتبة التيمورية بداية الكتاب بعنوان " لغات القرآن مختصر من مفردات الراغب"، كتاب "اللهجات في التراث"، ص ١٣٦. وانظر شذرات الذهب ١٤٦/٦ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لإبن الجزري، ١٦٢/١. والبغية ٢٨٢/١ .

(٣) الندُس بفتح النون وضم الدال الفهم، يقال رجل نَدُسٌ و نَدِسٌ أي فَهِمٌ. معجم الصحاح ٩٩٣/٣ .

وفي كتابه الأول ذكر مبدأه وأشغاله وشيوخه ورحلته.

وترك أبو حيان في علم البلاغة و القافية كتابان هما "الأبيات الوافية في علم القافية"، و "أرجوزة خلاصة البيان في المعاني والبيان".

ثم أضاف إلى ثقافته العربية ثقافة أخرى فكانت له معرفة ببعض اللغات الشرقية التي اطلع عليها وألف فيها مثل كتاب " الإدراك في لسان الأتراك"(١).

وكتاب " زهو الملك في نحو الترك"، و كتاب آخر اسمه " الأفعال في لسان الأتراك".

وألف في الفارسية " منطق الخرس في لسان الفرس" ، وفي الحبشية كتاب "جلاء الغبش في لسان الحبش"، ويذكره صاحب نفح الطيب باسم "نور الغبش في لسان الحبش"(٢).

يقول تلميذه ابن فضل العُمري في كتابه " مسالك الأبصار" :"أنا ممن قرأ عليه ، وتشرفت لما مثُلت بين يديه وكان شيخنا أبو حيان – رحمه الله – قد ذُللت له صعابُ اللغات، فاقتادها بأعناقها ، وجذبها أخذاً بدائرة نطاقها، وتعدّىَ لغة العرب إلى العجم، فصنف عدة كتب تراجم اللغات المختلفة والتزم فيها بالصحيح. ولقد

---

(١) يقول الشيخ عبد الخالق عضيمة – رحمه الله – أن أحد أساتذة اللغة التركية ذكر له أن هذا الكتاب مطبوع وهو من المراجع الأصيلة في قواعد التركية. أبو حيان وبحره المحيط ص ٢١ .

(٢) ذكر في نفح الطيب :٣٠٧/٣.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر:١٤٣/٤ والصفدي :٣٠٧/٣.

أراني ما صنف من ذلك. فمنه : "الإدراك في لغة الأتراك" ، ومنه "زهو الملك في نحو الترك"، ومنه " منطق الخرس في لسان الفرس"، ومنه "جلاء الغبش في لسان الحبش". هذا ولم يكن – رحمه الله – يعرف هذه الألسنة معرفة يُجيل في ميدانها لَسَنَه ، وإنّما كان قد أكثر التقصي عن كل لسان، والسؤال من أهل المعرفة عن مفردات كلها أسماء وأفعالاً ، وحروفاً ، وتصريف الأفعال، وتركيب الكلم ، ثم نزلها على قواعد اللغة العربية، وأجراها عليها في مصطلح الترتيب، بعد اتقان مافي تلك اللغة من صيغ الجمع والمثنى والمضاف والمضاف إليه، وغير ذلك حتى ضبطه كل الضبط"(١).

---

(١) أبو حيان وبحره المحيط ، عبدالخالق عضيمة ص ٢١ .

تفسير البحر المحيط

يعد تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أمهات كتب التفسير الموسوعية التي اهتمت بالجوانب اللغوية حيث التزم أبوحيان بمنهج متميز تفرد به فقد رأى ألاّ تثقل كتب التفسير بتحميلها مباحث العلوم الأخرى ، يقول:"وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه، وما اتفق عليه منه، وما اختلف فيه ، وفي جوازه عقلاً، وفي وقوعه شرعاً، وبماذا ينسخ ، وهذا كله موضوعه علم أصول الفقه"(١).

كما أكد أن منهجه في إعراب القرآن يقوم على الوضوح وعدم التكلف في التخريجات البعيدة فقال:"وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك به إلا الحَمْلَ على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف ، وأسوغها في لسان العرب"(٢).

والطريقة التي سار عليها في تفسيره هو أنه(٣):

(١) يذكر مفردات الآية التي يفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية.

(٢) يذكر معاني الكلمات وإذا كان للكلمة معنيان أو أكثر ذكرهما ثم يفسر الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبباً للنزول ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها مبيناً توجيه هذه القراءات في علم العربية بذكر أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها(٤).

---

(١) البحر :٣٤١/١.   (٢) نفس المرجع ٣٦/١.

(٣) ينظر نفس المرجع ١/١-٥.

(٤) ينظر أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي/١٦٤، البحر:٥/١.

(٣) يذكر أقاويل الفقهاء الأربعة في الأحكام الشرعية مما له تعلق باللفظ القرآني.

(٤) ثم يختتم الكــلام في جملة من الآيات التي يفسرها إفراداً وتركيباً يذكر ما فيها من علم البيان والبديع ثم يختتم آخر الآيات ببيان المعنى العام أو الإجمالي للآية ، كما أنه قد يلم بشيء من كلام الصوفية ويرد عليه(١)، والغالب في تفسيره الإهتمام باللغة والنحو والصرف لأنه كان يرى أن المفسر لكتاب الله لا بد أن يلم بهذين العلمين وقد أكد ذلك في البحر(٢).

كما اهتم بالقراءات واللغات فاستفاد منها في تفسيره يسعفه في ذلك ثقافته الواسعة(٣) في هذا المضمار فهو يستشهد على المعنى الذي يذهب إليه بالقراءات واللغات المختلفة، وعند استشهاده بالقراءات يذكر آراء المفسرين في القراءة ويقوم بتوجيه القراءات ، ويورد آراء اللغويين ويوجهها التوجيه الصحيح ويبين أثرها في المعنى، وقد يحمل بعض القراءات على اللغات الضعيفة إن لم يجد لها سنداً في المشهور.

---

(١) انظر البحر:١/٥.

(٢) نفس المرجع :١/٦،٧ .

(٣) يقول الدكتور الجندي : " أما أبو حيان فكان يقصد في كتابه إلى القراءات والنحو، واللهجات وثيقة الصلة بكل منها، إذ القراءات تعتمد في أوجه خلافها على مابين اللهجات من فروق وخلاف كما أن لهجات القبائل ماهي إلا نحو من نحو اللغة الفصحى وطريق منه" اللهجات في التراث ص ٢١٦، قسم أول.

ويؤخذ عليه أنه لا يستنكر اللغة الضعيفة لأنه يأخذ بالمنقول من اللغات، ولا يرد القراءات غير المتواترة وقد يرد بعضها ببعض(١).

ومن العلوم التي اهتم بها أبوحيان في تفسيره علم البلاغة فقد كان يراه مهماً للمفسر منها يعرف حسن التركيب ويدرك فصاحة الكلمة وجمالها.

*

مصادر البحر

اعتمد أبوحيان في تفسيره " البحر المحيط" على مصادر عدة في التفسير واللغة والنحو والفقه والقراءات والتاريخ والحديث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تفسير الزمخشري " الكشاف " ، وتفسير ابن عطية(٢) "المحرر" ، وكذلك اعتمد على كتاب " التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير" لإبن النقيب(٣).

وتفسير أبي جعفر الطوسي وتفاسير السدي وأبي البقاء ومكي بن أبي طالب(٤).

---

(١) ينظر أبو حيان النحوي ١٩٠-١٩٦ وينظر منهجه في الشواهد ص ٩٥ .

(٢) هو أبومحمد بن عبد الحق بن غالب بن تمام ابن عطية المحاربي من أهل غرناطة.

انظر البحر:١/١٠.

(٣) شيخ أبي حيان. انظر البحر :١/١١.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

أمـا كـتب اللغـة فنقل عن "المخـصص" و "المحكم" لإبن سـيـدة و "نوادرالزجاجي"، و"معاني القرآن" للفراء، يقول في البحر منوهاً:"وأكثر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن سيده ، فإن الحافظ أبا محمدعلى بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر، بدأ فيه بالعلق وختم بالذرة"(١) ، ويقول:"ومن الكتب المطولة فيه كتاب الأزهري والموعب لإبن التياني والمحكم لإبن سيده والبارع لأبي علي التالي(٢) ومجمع البحرين للصاغاني ، وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني واللغات المحتوي عليها دواوين مشاهير العرب الستة: امريء القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة.."(٣).

واعتمد كذلك على كتاب " الأفعال" لإبن القوطية ، وكتاب ابن طريف وكتاب السرقنطي (٤) وكذلك كتاب ابن القطاع.

أما النحو فقد اعتمد على أمهات الكتب وفي أولها كتاب سيبويه " الكتاب" فقد جعله أهم الكتب التي يعتمد عليها في فهم كتاب الله قال عنه :

---

(١) البحر:١/٦.

(٢) لعله " القالي" والتالي تحريف ، كما أن الشيخ عبد الخالق عضيمة – رحمه الله – ذكر أنه حصل تحريف في اسم " ابن سيد " ، فهو مذكور في البحر ابن سيده، والأصح كما ذكر ابن السيد، ينظر البحر:١/٦.

(٣) البحر :١/٦.

(٤) وقيل أصله السرقسطي ، فهو محرف. يراجع بحث " أبو حيان وبحره المحيط " للشيخ عبد الخالق عضيمة رحمة الله عليه /٢١.

" ومما برعوا فيه علم الكتاب(١) ، انفردوا بإقرائه منذ أعصار، دون غيرهم من ذوي الآداب، أثاروا كنوزه وفكُّوا رموزه، وقرّبوا قاصيَه وراضُوا عاصيَه، وفتحوا مُقفله ، وأوضحوا مُشكِلَه ... فالكتابُ هو المِرْقاةُ إلى فهم الكتاب، إذ هو المُطلع على عِلْم الإعراب، والمبدي من معالمه مادرس، والمنطقُ من لسانه ماخرس، والمحيي من رفاته ما رمُس، والرادُّ من نظائره ما طُمس فجدير لمن تاقت نفسه إلى عِلْم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير أن يعتكف على كتاب سيبويه ، فهو في هذا الفن المعوّل عليه، والمستند في المشكلات إليه"(٢) وكتاب " الشافية الكافية"و "التسهيل" لإبن مالك و"الحلبيات" لأبي علي الفارسي(٣).

وفي التصريف أخذ عن كتاب ابن عصفور "الممتع"(٤) .

كما اعتمد في علم البديع والبيان على ماجمعه شيخه ابن النقيب في مقدمة تفسيره(٥).

وكتاب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لشيخه حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني(٦).

---

(١) يقصد كتاب سيبويه .

(٢) البحر: ٣/١.

(٣) نفس المرجع :٦/١.

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

أما في النقولة الصحيحة في علم الحديث فقد أخذ عن الصحيحين، والجامع للترمذي ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، والشافعي، ومنسند الطيالسي، ومسند الشافعي، ومسند الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له ومستخرج أبي نُعيم على مسلم(١).

وفي الفقه والأصول اعتمد على كتاب المحصول لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي(٢).

وفي الكلام على ما يجوز على الله تعالى، وما يجب له ، وما يستحيل عليه والتقلد في النبوة أخذ ما سمع من مسائل بحثت على الشيخ شمس الدين الأصفهاني وغيره(٣).

وأما في علم القراءات فكتاب الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر بن الباذش وكتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري في القراءات العشر أحسن ما اعتمد عليه.(٤)

وأما أبرز ما ألفه أبو حيان في النحو فكتابه "إرتشاف الضرب(٥) من لسان العرب" ، وهو تلخيص لكتابه " التذييل والتكميل في شرح التسهيل" وقد أثنى عليه السيوطي واعتماده عليه في كتاب " همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"(٦) كبير يظهر ذلك واضحاً جليًا في نقله عن أبي حيان الكثير من آرائه.

---

(١) انظر البحر:٦/١.

(٢)، (٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) انظر البحر:٦/١، ٧. وينظر ١٥٢ دلالة على اطلاعه على كتب الفقه.

(٥) الضرب : العسل الغليظة .ينظر معجم مقاييس اللغة : ٣٩٩/٣ . تحقيق : عبد السلام هارون.

(٦) ينظر ص ٦٠ من هذا البحث ، وانظر البغية ٢٨٢/٢ .

الإرتشاف ومصادره

ومنهج أبي حيان في كتابه هذا أنه تتبع طريقة ابن مالك في العرض للأبواب والفصول غير أنه انفرد بطريقة تدل على أنه أعمل ذهنه ، يقول عنه محقق(١) الإرتشاف :"كتاب الإرتشاف سر محجوب وكنز مدفون لا يقرب منه إنسان إلا أخذه البهر، وأعجزه الوقوف على غوامضه ، وأسراره وما ذلك إلا لأن صاحبه قد ملأه بالتحقيق وأفعمه بالتوثيق وجمع فيه أوابد فن النحو وشوارده فقد حذا حذو ابن جنيّ وتدقيقه وإفاضة المازني وترتيبه وأمثلة سيبويه والسيرافي، واستطرادته وتنظيره.. حتى كان كتابه حرياً بأن ينتجعه طلب الفائدة ويرتشف من رحيقه الزلال كل من أراد أن يبز أقرانه في جمع غوامض النحو ونوادره فقد زاد أبو حيان بعض الموضوعات والفصول الصغيرة في كتابه الإرتشاف والموضوعات التي أضافها هي كفصل في نوادر في التأليف وباب صيغ من التعجب لم يبوب لها النحاة والسابقون، باب الضرائر وما يجوز للشاعر"(٢).

ومصادر الإرتشاف عديدة فقد اعتمد أبوحيان في كتابه هذا على كثير من الكتب أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب سيبويه " الكتاب " و"شرح السيرافي"، و" المستوفى" لأبي سعيد بن علي بن مسعود ، و "التعريف" للمازني، و"المخصص"، و"المحكم" ، و"الواضح" لإبن سيده، و" الأوسط" للأخفش، ، و "الإغراب

---

(١) د. مصطفى النماس.

(٢) الإرتشاف :١/٣٤، ٣٥، باب أول ، فصل ثان ، التعريف بأبي حيان.

في علم الإعراب" للواحدي علي بن أحمد ، و" تجار الصناعة" للحسن بن موسى الدينوري، و" شرح التسهيل" لإبن مالك، و" الجمل " للزجاجي، و "الإيضاح والإغفال، والتذكرة والحلبيات، والعسكريات، والبصريات" لأبي علي الفارسي، و"شرح الكافية الشافية" لإبن مالك و "معاني القرآن" للفراء ، و" إعراب القرآن" للفراء، و "المقتضب" و "المدخل" للمبرد ، و"العين" للخليل، و"طبقات الشعراء" لإبن سلام، وغيرها مما يضيق المقال عن ذكرها وفي ذلك دلالة على غزارة علم أبي حيان مما جعل كتابه هذا سجلاً حافلاً بمختلف الآراء النحوية فهو ثمرة مدارس نحوية متعاقبة وأجيال متلاحقة(١).

---

(١) ينظر الإرتشاف :٣٠/١ - ٣٤ ، والبحر : ٦/١ .

مذهب أبي حيان النحوي

لقد عرفنا فيما سبق أن أبا حيان تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه غرناطة على شيوخ عصره(١) ثم رحل عن موطنه متنقلاً في شمال أفريقية ثم إلى الشرق سنة (٦٧٩) تسع وسبعين وستمائة للهجرة واستقر المقام به أخيراً في مصر(٢). وقد أخذ عن كثير من العلماء مغاربة ومشارقة وكلهم كما ذكر أبو حيان أئمة مشهورين يقول : " وما زلت من لدن ميزت أتتلمذ للعلماء، وأنحاز للفهماء ، وأرغب في مجالسهم وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل إلا ذروة علام، فكم صدر أودعت علمه صدري، وحبر أفنيت في فوائده حبري، وإمام أكثرت به الإلمام وعلام أطلق معه الاستعلام .."(٣)

والمتتبع لاختلاف مذاهب العلماء الذين أخذ عنهم أبو حيان وتلقى علمه عنه والمصادر التي اعتمدها في تصانيفه والتي كان لها كبير الأثر في منهجه فقد كان منهم البصري والكوفي والبغدادي والأندلسي والمصري . وكانت نشأة مايسمى بالمذهب الأندلسي في النحو في بداية القرن الخامس الهجري ، وكان لعلماء هذا المذهب مصنفاتهم القيمة أمثال ابن عصفور وابن الضائع ، ولكنه بلغ الغاية في الفترة التي عرف فيها أبو حيان نحوي بارز مع أمثاله من نحاة عصره ،

---

(١) انظر البحر ٦/١، ١١، ١٦٣، ١٩٦، ٣٢٢، ٣٤٣، ١٧٦/٢، ٢٤١، ٢٤٢ ، ٢٦/٥ ، ٦٧/٣ ، ٥٢٢، ٥٠٦، ٤٩٧، ٨٤/٦.

(٢) المدارس النحوية ، د.شوقي ضيف ٣٢٠ ، ط/دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، وانظر البحر ٤/١ ، بغية الوعاة ٢٨٠/١ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣١/٦ ، طبقات القراء ٢٨٥/٢، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٠٢/٤، نفح الطيب ٣٣٨/٣.

(٣) البحر ٣/١.

فمعاصريه في هذه الفترة ابن أبي الربيع الاشبيلي والقاسم علي الدين اللورفي وابن آجروم الصنهاجي ، والرضي الشاطبي وأبو اسحاق اللخمي الغرناطي ·

وهؤلاء جميعاً كونوا مذهباً مستقلاً في النحو في بلاد الأندلس له خصائصه وأفكاره التي تتميز عن مذاهب المشارقة من بصريين وكوفيين وبغداديين · يرى النشاط العلمي في هذا العصر وأثره فيما بعده من العصور.

ولقد كان لكل مذهب من هذه المذاهب نهجه الذي سار عليه فالبصرة كانت تتشدد في الأخذ بالسماع عن العرب فترفض الشاذ من كلام العرب سواء قل أم كثر، وكان استقراؤهم للمادة التي يستقون منها قواعدهم يشترطون فيه صحة تلك المادة لذا نجدهم يرحلون إلى أعماق البوادي مثل بادية نجد والحجاز وتهامة يجمعون المادة منها حيث السليقة الصحيحة من القبائل المتبدية قبائل تميم وقيس وأسد وطيىء وهذيل وبعض كنانة كما اعتمدوا على الأعراب الوافدين إلى البصرة الذين احترفوا تعليم الفصحى السليمة لأبناء المدن(١)، واعتمدوا على القرآن الكريم وقراءاته في تعضيد قواعدهم النحوية واللغوية·

أما الحديث فكانوا لا يحتجون به لعلة روايته بالمعنى حيث لم يكتب ويدون إلا في المائة الثانية للهجرة · يضاف إلى ذلك أن من رواته أعاجم ، فهذه علتهم في عدم الاحتجاج به ، كما اهتموا بالتعليل والقياس وتوسعوا فيهما حتى طلبوا لكل قاعدة علة وجعلوا كل ما يخرج على القياس شاذاً وبذلك فتحو باب القياس ليقاس على القاعدة مالم يُسمع عن العرب ويحمل عليها حملاً فهي لديهم المعيار المحكم السديد(٢)·

---

(١) انظر المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ، ص ٢٠ ، الفهرست لابن النديم فيه ذكر لأسماء المعلمين، ص ٧١.

(٢) انظر المدارس النحوية ، دشوقي ضيف ، ص ٢٠. وضعوا المعايير التي تبين هذا صواب وهذا خطأ ولا جدوى في هذا إذا ليس فيما يستخدمه أصحاب اللغة خطأ ما داموا يستخدمونه ويقرونه .

أما الكوفة فخالفت البصرة في الاعتداد بالقراءات الشاذة في القرآن الكريم، والتوسع في الرواية والقياس والاعتماد على الشاذ والنادر من كلام العرب خلافاً للخليل وسيبويه مؤسسي مذهب البصرة النحوي وهذا مما ميز مذهب الكوفة عن مذهب البصرة.

أما المذهب البغدادي فقام على الانتخاب من آراء المذهبين الكوفي والبصري لأن أوائل نحاة بغداد تتلمذ للمبرد وثعلب ، وكان نحاة هذا المذهب بعضهم يغلب عليه ويميل إلى الآراء الكوفية وبعضهم يغلب عليه الميل إلى البصرية كذلك نحاة الأندلس ساروا على نهج البغداديين ينتخبون من المذهبين الكوفي والبصري مع أخذ آراء بعض البغداديين فقد خالط نحاة الأندلس جميع النحاة السابقين لهم فأخذوا عنهم أخذوا آراء البصريين والكوفيين وكذلك من لهم اختيارات من آراء البغداديين، وبذلك تكون للنحاة الأندلسيين اتجاه خاص اتضح به مذهبهم الذي أثبتوه بين سابقيه من المذاهب بما انفرد به من اجتهادات وتخريجات وتعليلات مختلفة حتى أصبح مذهباً مستقلاً ذاعت قواعده وانتشرت مع الأيام حتى أن المشارقة قد تأثروا به(١).

إذن العصر الذي عاش فيه أبو حيان عصر نشاط علمي خاصة في النحو ، وقد ساعد على ذلك بعد بلاد الأندلس عن الاضطرابات والفوضى والنوائب التي نزلت ببلاد المشرق في فترة من الزمن، وقد تبين لي من قراءة البحر والارتشاف والمصادر التي ترجمت لأبي حيان أنه من النحويين الذين حاولوا الجمع بين المذهبين الكوفي والبصري مع نقله لآراء من المذهب البغدادي والمصري واختياراته منهما، فشيوخه كانوا من المذهبين .

---

(١) انظر المدارس النحوية ص ٦، ذكر سبب ذلك الاستقلال في المذهب عن مذاهب المشارقة .

كما يلحظ في كتابيه البحر والإرتشاف أنه اعتمد على مصادر بصرية وأخرى كوفية مع عدم إغفال آراء البغداديين وآراء شيوخه من أهل الأندلس ، فالآراء البصرية تتردد كثير عند أبي حيان في البحر والإرتشاف فنراه يثبت آراء أعلام اللغة والقراءات البصريين مثل أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والخليل والأخفش سعيد بن مسعدة ، وقطرب (١) ، وأبو عبيدة(٢) وأبي عمر الجرمي والمبرد والمازني وأبي اسحاق الزجاج(٣).

فمما اختاره عنهم قوله :" وزعم الكوفيون والبغداديون وتبعهم ابن مالك أن الموصول قد يجوز أن يتبع باسم معرفة فيستغنى بذلك عن الصلة ولا يجوز ذلك عند البصريين"(٤).

ويقول :" وأما (كلا) و (كلتا) فذهب البصريون إلى أنهما مفردات لفظاً مثنيان معنىً فإذا أضيفا إلى ظاهر كانا بالألف مطلقاً ، أو إلى مضمر انقلبت ألفهما ياء نصباً وجراً وثبتت رفعاً ، ولا يجيز البصريون غير هذا"(٥).

وقال في قراءة أبي عمرو بن العلاء :" هي قراءة من السبعة وهي متواترة وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء فإنه عربي صريح وسامع لغة امام في النحو"(٦).

---

(١) ينظر البحر ٦٢/١، ٦٣، ١٢٣.

(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ينظر البحر ١٨/١، ٢٢، ٢٣، ٣٢.

(٣) انظر البحر ١٨/١، ٥٧، ٧٧ ، الإرتشاف ٣٣/١.

(٤) الإرتشاف ٥٢٣/١، ٥٢٤.

(٥) الإرتشاف ٢٥٧/١، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥١، ٤٧٩، ٤٨٧، ٤٩٠، ٥١٠.

(٦) البحر ٤٥٩/١ في قوله تعالى" يؤده " قرأها بالإسكان اسكان الهاء.

وقد تبعهم في كثير من المواضع ، ففي السماع نجده يحنو حذوهم في أن ليس كل ما سمع من كلام العرب يقاس عليه فليست القبائل كلها على درجة واحدة من الفصاحة لذا يجب التحري في كل مسموع ولهذا نجد أبا حيان قد عاب على ابن مالك أخذه عن قبائل لخم وخزاعة وقضاعة كما ردَّ على الكوفيين في إتباعهم الشاذ من كلام العرب يقول في البحر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾(١) : " قرأ الجمهور " زين " مبنياً للفاعل بنصب " قتل" مضافاً إلى " أولادهم" ورفع " شركائهم" .. وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه نصب أولادهم وزين مبنياً للمفعول... وجر شركائهم فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخرهم ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن من عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات"(٢).

ونقل مذهب أبي اسحاق وأبي عمرو والخليل وسيبويه وجمهور أهل البصرة في " جواري" أنه ينون رفعاً وجراً و تحذف ياؤه فيهما ويتم في النصب ولا ينون(٣).

وعند ذكره لمذاهب النحاة في ما منع من الصرف للعدل والصفة فيما وازن مَفْعَل وفُعَال في العدد حيث نراه يؤيد رأي البصريين في أخذهم بالسماع ، فيقول: (وفي ذلك ثلاثة مذاهب . أحدها وهو مذهب الكوفيين ، وهو القياس فيما لم يسمع على ما سمع هو المسموع عند الكوفيين والبصريين عُشَار ومَعْشَر وخُماس ومَخْمَس ... فقاس على هذا الكوفيون سُداس ومَسْدَس وثمان ومَثْمَن وتُساع ومُتْسع ، وترك البصريون القياس ، واقتصروا على مورد السماع وقيل يقاس على ما سمع من فُعال لا على ما سمع من مَفْعَل وقيل يقال البناءان، وهو الصحيح بسماع ذلك من العرب)(٤).

---

(١) الأنعا : ١٣٧. (٢) البحر : ٤/٢٢٩ .

(٣) الارتشاف : ١/٤٤٧ وينظر مابعدها إلى ٤٦٧ في أخذه عن سيبويه وأبي عمرو ٤٧٣، ٤٧٤-٤٧٦ أخذه عن أبي عبيدة بن المثنى والأخفش .

(٤) الارتشاف : ١/٤٣٧ .

وقال:" واختلف في إعراب الأسماء الستة على مذاهب ، وهي : أبٌ ، وأخٌ، وحمٌ، وفوك، ذومال، وهنوك ، وأنكر الفراء أن يكن هن مما رفع بالواو ونصب بالألف وجر بالياء وهو محجوج بنقل سيبويه والأخفش: ذلك عن العرب ، والصحيح أنها معربة بحركات مقدرة من الحروف وأنها اتبع فيها ما قبل الآخر للآخر.

وهذا الإتباع وجد نظيره في : امرءٍ وابنم على أجود اللغتين فيهما فنقول : هذا ابنمٌ وامرءٌ ورأيت ابنماً وامرءً ومررت بابنمٍ وامرءٍ ، وهذا مذهب البصريين ، وذهب الكوفيون إلى أن : امرءً وابنماً معربان من مكانين، فالحركة في النون والراء ليست اتباعاً لحركة الهمزة والميم، وَوَزن امرءٍ عند الجرمي فعل، فلو سمي به وجمع قال: مرؤن، وعند أبي بكر بن شقير : مرْءٌ بسكون الراء، واللغة الأخرى فيها فتح الراء والنون في الأحوال الثلاث . ولم يسمع بتأنيث ابنم، ولا جمعه بالواو والنون ولا بتكسيره، وهذا المذهب من إتباع ما قبل الآخر للآخر وهو مذهب سيبويه ، والفارسي والجمهور من البصريين وأصحابنا، وذهب قُطْرُب والزيادي والزجاجي من البصريين وهشام من الكوفيين : إلى أن هذه الحروف هي نفس الإعراب (نائبة) عن الحركات"(١).

وكان أكثر النحاة ملازمة له ونقلاً عنه سيبويه فكتابه " الكتاب" من المصادر التي اعتمد عليها في مصنفاته(٢) خاصة البحر والإرتشاف .

وأود في هذه العجالة ألا أغفل موقف أبي حيان من سيبويه ولا سيما بعد ذكري لموقفه من نحاة البصرة عامة فسيبويه من أعلام البصرة وأبرزهم وتأثر أبي حيان بهذا العلامة واضح يظهر من اعتماده على كتابه " الكتاب " في تفسيره الكبير

---

(١) الإرتشاف :١/٤١٥.

(٢) ينظر نقله عن البصريين ، الإرتشاف ١/٤٨٤، ٤٢٢، ٣٨٠، البحر: ١/١٦، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٣٧ –٦٤.

:" البحر المحيط " فهو يلازمه من بدايته إلى نهايته ، فنراه يحتج برأيه كثيراً لأنه الرأي الصحيح عنده والمسموع من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله :"٠٠٠ وإذا كان (بأل) نحو القاضي فحذف الياء منه رفعاً وجراً ضرورة عند سيبويه لغة عند الفراء"(١)٠

وقوله : " فأما ذراع فمؤنث عند معظم العرب وتذكره عقيل ولو سميت به مذكراً صرفته سماعاً من العرب ، والقياس ترك الصرف، وأما كراع فمؤنث، وحكى الأصمعي تذكيره فإن سميت به مذكراً فمن العرب من يصرفه قال سيبويه : شبهه بذراع ومنع صرفه أكثر٠٠٠"(٢)٠

وقال :" ومذهب سيبويه انها إذا جرت اسم ظرف ولذلك لم يعدها في حروف الجر ووافقه جماعة من متأخري أصحابنا"(٣)٠

وقال :" ومن زعم أن كان الناقصة لا مصدر لها فمذهبه مردود وهو مذهب أبي على الفارسي ، وقد كثر في كتاب سيبويه المجيء بمصدر كان الناقصة"(٤)٠

وقال:"ولم يذكر سيبويه في هذا الجمع إلا هذين الوجهين"(٥)٠

---

(١) الإرتشاف ١/١٣٤ ، وينظر ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٤١.

(٢) الإرتشاف ١/٤٤١، وينظر ٤٤٢، ٤٢٤٠

(٣) البحر ١/٢٦ في الحديث عن (علي) في قوله تعالى "عليهم"، الفاتحة وينظر ٢٩، ٣٦، ٠٣٧

(٤) البحر ١/٦٠، وينظر ٠٦٧

(٥) الإرتشاف ١/٠٤٥٢

وكان يؤيده في كثير من آرائه من ذلك مثلاً قوله :" والذي ورد به السماع مذهب سيبويه "(١)٠

بعد قوله :" فسيبويه لم يذكر إلا الاتصال"(٢)٠

عند ذكره لاختلاف النحاة في الضمير المنفصل المنصوب الموضع للمتكلم، والغائب ، والمخاطب (إياي ، إياك ، إياه) في مثل قول : هند الدرهم أعطيتها إياه، وأعطيته إياها في الاتصال والانفصال حيث جواز الاتصال فيقال : هند الدرهم أعطيتهاه، وأعطيتهوها وقال " ونو المزج إن ختم (بويه) بني على الكسر ، ولم يذكر فيه سيبويه إلا البناء نحو : عَمْرَوَيه، وَنِفْطَوَيه وسيبويه"(٣)٠

ولأبي حيان على كتاب سيبويه " الكتاب" شرح مسماه " الأسفار الملخص من كتاب الصّفار شرحاً لكتاب سيبويه"٠

وكثيراً ما نجده يدافع عن سيبويه بشدة إذا وردت أقوال للنحاة يخالفون فيها سيبويه مثل رده على ابن مالك حينما انتقد رأيا لسيبويه فقال : " قال المصنف : على أن كلام سيبويه لو كان صريحاً في أن المضارع المنفي بـ " لا " لا يكون إلا مستقبلاً لم يجز الأخذ به بعد وجود الأدلة القاطعة بخلاف ذلك كما قدمنا. وقد تكلمنا على أدلته القاطعة على زعمه وبينا أنها ليست أدلة ، وانظر إلى جسارة هذا الرجل على سيبويه وهو المستقرئ العربية عن العرب مشافهة ..."(٤)٠

ومما يستدل به على إكثار أبي حيان في الأخذ بآراء سيبويه الرمز إليه بحرف "س" في الإرتشاف والتذييل والتكميل اختصاراً لاسمه لكثرة ذكره إياه، ونجد كثيراً ما يقدم رأيه على آراء النحاة أجمعين أو يقابل بين رأيه وآرائهم ويرد آراء

---

(١) الإرتشاف ٤٧٧/١٠

(٢) الإرتشاف ٤٧٦/١-٤٧٧٠

(٣) الإرتشاف ٤٩٧/١٠

(٤) انظر " أبو حيان النحوي " لخديجة الحديثي ٢٩٤، والإرتشاف ٤١٥/١(قوله وهو محجوج بنقل سيبويه٠

كثير منهم برأيه من ذلك على سبيل المثال قوله: " ذهب سيبويه والجمهور وذهب الزجاج إلى أنه لا يشترط ذلك فأجاز في تكسير هَبيٍّ أن نقول هُبَايٍ بالإدغام"(١).

ولم يكن أبو حيان ينقل آراء البصريين ليستشهد بها ويميل إليها إنما كان يسلك مسلكهم وينهج منهجهم في بعض الأحيان فنراه لا يستشهد بالحديث النبوي كما هو معروف عندهم من تركهم الاستشهاد به وعلتهم في ذلك أنه لم ينقل باللفظ إنما نقل بالمعنى ، كما أن الذين يروون الحديث معظمهم غير عرب ، كذلك حذا حذوهم في السماع فنراه يتحرى مثلهم في الأخذ بالمسموع ، لهذا عاب على ابن مالك توسعه في الأخذ عن قبائل لخم وخزاعة وقضاعة وردهُ على الكوفيين في اتباعهم الشاذ من كلام العرب(٢).

وكثيراً ما يرجح أقوال البصريين كقوله: " ولا يجوز ذلك عند البصريين"(٣).

ونلحظ وقوف الآراء الكوفية بجانب الآراء البصرية فنرى أبا حيان لا تكاد تمر مسألة إلا ويذكر فيها آراء النحاة الكوفيين مرجحاً إياها حينا وحيناً آخر يتركها دون ترجيح، فآراء أعلام الكوفة متناثرة في كتبه مثل آراء الفراء والكسائي وثعلب وأصحابه أمثال ابن الحامض وأبي بكر الأنباري تتردد آراؤهم وقراءاتهم ، وكثيراً

---

(١) انظر الارتشاف ٤٢٦/١، ٤٢٧-٤٧١.

(٢) سيرد ذلك مفصلاً عن ذكر موقفه من الشواهد.

(٣) الإرتشاف ٥٢٣/١، ٥٢٤ ، وانظر أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي ص ٢٧٢.

ما نراه يذكر رأياً لسيبويه ويقابله برأي للفراء يقول على سبيل المثال :" وزعم أبو حاتم أن إسكان الياء في المنقوص غير المنون لغة فصيحة وقرىء :[مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ](١) بسكون الياء، وتقدر فيه الضمة والكسرة إلا في ضرورة الشعر ، فإذا كان " بأل" نحو: القاضي ، فيحذف الياء منه رفعاً وجراً ضرورة عند سيبويه لغة عند الفراء"(٢).

وقال:" والعدل صرف لفظ أولى بالمسمى إلى آخر فيمنع مع الصفة نحو : مثنى وثلاث، هذا مذهب سيبويه والخليل .. وذهب الفراء إلى أنه امتنع للعدل والتصريف بنية ..."(٣).

وقال " في البسيط يجري مجرى حائض فَعْول ومِفْعال وفعيل بمعنى مَفْعول و مِفْعيل إذا كان معناه مختصاً ؛ لأنه وُضع للمذكر على مذهب الخليل وسيبويه، وذهب الفراء إلى أن فعيل بمعنى مفعول أصله الهاء وتركوها للفرق بينه وبين فعيل بمعنى فاعل..."(٤).

وقال :" أسماء اسم رجل ممنوع من الصرف فعلى مذهب الفراء وهو أنه اسم جمع سمي به فكثر في تسمية المؤنث حتى عُدَّ من أسمائه فامتنع للعلمية والتأنيث وعلى مذهب سيبويه وهو أنه فعلاء وهمزته بدل من واو وأصله وَسْمَاء فامتنع للتأنيث اللازم ويظهر الفرق إذ نكر بعد التسمية منصرف على مذهب الفراء وممتنع على مذهب سيبويه"(٥).

---

(١) المائدة : ٨٩.

(٢) الإرتشاف ٤٢٤/١ ، وانظر الكتاب لسيبويه ١٨٣/٤ ت : هارون ، والهمع :٥٣/١، (أ).

(٣) الإرتشاف ٤٢٧/١–٤٤٠.

(٤) نفس المرجع ٤٤١/١.

(٥) الإرتشاف ٤٤٢/١، ٤٦٨، ٤٥٨، ٤٧٧، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٣، ٤٩٠، ٥١٠، ٥٢٥.

وغير الفراء من الكوفيين من كان يعرض لرأيه منفردا مع أخذه به أو من كان يعرض له مع الآراء الأخرى للنحاة دون تعقيب أو تفضيل وهم كثير يقول : " وقال ابن الأنباري بنو تميم يقولون رَوضات وجَوزَات وعَوَرات وسائر العرب بالاسكان"(١) .

وقال : " وقال الكسائي وأكثر الكوفيين : أواخر الكلم على ثلاثة أحرف على الرفع والنصب والخفض"(٢).

وقوله :" وذهب الكوفيون إلى أن امرءً وابنماً معربان من مكانين فالحركة في النون، والراء ليست إتباعاً لحركة الهمزة والميم.."(٣).

وقال :" زعم ثعلب أن التشديد في (أب) عوض من الواو المحذوفة"(٤).
ويقول:" ومذهب الكوفيين وهو القياس فيما لم يسمع على ما سمع .."(٥).

ومن ذلك قوله:" ذهب أبو الحسن وابن السراج وجماعة من الكوفيين.."(٦).

وكما تبع منهج البصريين في التشدد في السماع وعدم الاستشهاد بالحديث(٧).

---

(١) الإرتشاف ٢٧٤/١، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٩٣، ٣٨٩، ٤٤٠.

(٢) الإرتشاف ٤١٤/١، وينظر ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥١٠(نقل آراؤهم).

(٣) الإرتشاف ٤١٥، وينظر البحر ١٨/١، ٢٨، ٣١، ٤٦، ٤٧، ٦٢، ٩٣، ١٦١.

(٤) الإرتشاف ٤١٧/١، ٥٥٥.

(٥) نفس المرجع ٤٣٧/١، ٤٤٠.

(٦) الإرتشاف ٥١٩/١.

(٧) ينظر الإرتشاف ٣٨٧/١.

كذلك نراه يتبع الكوفيين في الاستشهاد بالقراءات ويحتج بالسبعة المتواترة منها واعتبرها مصدراً صالحاً في الاحتجاج وهو بذلك خالف جمهور البصريين ، كما أنه يخالف بعض البصريين في الاحتجاج بالشاذ منها.

أما البغداديون فقد تردد ذكرهم كثيراً عند أبي حيان مما يدل دلالة واضحة على اهتمامه في التوسع في الأخذ عن كل ممن عاصره وسمع عنه وقرأ له الزجاجي ، وابن جني وأبو على الفارسي وعلى رأس هؤلاء كلهم الزمخشري.

فكتاب الزمخشري " تفسير الكشاف" مصدراً من مصادر البحر المحيط حيث يقرنه بابن عطية الأندلسي ، يقول أبو حيان:" وهذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري، وأبو محمد عبد الخالق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي أجل من صنف في علم التفسير"(١).

ويتحدث عن نقله عن الزمخشري بإجازة استاذه أبو جعفر يقول :" فما كان في كتابي هذا من تفسير الزمخشري رحمه الله تعالى فأخبرني به أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير ثراءة مني عليه فيه، وأجازه أيام كنتُ أبحث معه في كتاب سيبويه"(٢).

وأمثلة نُقوله عنه كثيرةٌ منها على سبيل المثال قوله في " ألا" حرف تنبيه زعموا أنه مركب من همزة الاستفهام ولا النافية للدلالة على تحقق مابعدها ولا تكاد الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقال ذلك الزمخشري"(٣).

وقوله:" وأجاز الزمخشري"(٤).

---

(١) البحر ٥٩/١ ، وينظر ١٧، ٢٤، ٣٥، ٤٠.

(٢) البحر ١٦/١-٤٠.

(٣) البحر ٦١/١ ، انظر النهر الماد : ٦٥ ، والدرر : ٦١ نفس الجزء .

(٤) البحر ٦٣/١ وينظر ٦٧، ٧٣، ٧٨

وقال :"... وقد ألم الزمخشري بهذا الوجه وهذا أولى مما ذكروه لأنه لا يحفظ من كلام العرب جلست مجلساً ما حسناً ولا وقت ما يوم الجمعة والحمل على المعنى محفوظ... والأولى في الآية بعد ذلك أن يكون أضاءت متعدية فلا يحتاج إلى تقدير زيادة لا حمل على المعنى"(١).

وكذا يأخذ عن أبي علي الفارسي وابن جني ، يقول في البحر:" الاملاك ربط عقد النكاح ، ومن ملح هذه المادة أن جميع تقاليبها السبعة مستعملة في اللسان ، وهذا يسمى الاشتقاق الأكبر ولم يذهب إليه غير أبي الفتح وكان أبو علي الفارسي يأنس به في بعض مواضعه"(٢).

ويقول: "... وعلى ما قاله أبو الفتح أنها لغة ينبغي أن ينقاس ذلك"(٣) عند تفسيره قوله تعالى { ولا الضالين} بإبدال الألف همزة فرارا من التقاء الساكنين هل ينقاس عليه قراءة من قرأ ذلك ؟

وقال :" والفارسي لا يرى ذلك قياساً في بنات الياء فلا يجيز في لين التخفيف ويجيزه في ذوات الواو نحو سيد وميت وغيره قاسه فيهما"(٤).

ونقل آراءًا لإبن كيسان في كتابيه البحر المحيط والإرتشاف(٥).

---

(١) البحر ٧٩/١ وينظر ١٦-١١١ نقل فيها آراء الزمخشري منها من أنتقده وخالفه ومنها ما أثبته وأيده".

(٢) البحر ٢٠/١، ٢٩، النهر الماد ٢٨/١.

(٣) البحر ٣٠/١.

(٤) البحر ٣٨/١ وينظر ٤٧.

(٥) ينظر الإرتشاف ٣٨٠/١-٥٣٥ ذلك على سبيل المثال ، البحر ٢٢/١، ٩٣.

وكان كثيراً ما يأخذ بآراء أسلافه من النحاة الأندلسيين ممن اطلع على كتبهم وتأثر بها ممن عاصرهم وفيهم شيوخ له حذا حذوهم وأجازوا له في النحو(١).

فابن مالك وابن الباذش وابن الطراوة وابن الحاج وابن طاهر والسهيلي والجزولي، وابن خروف ، والشلوبين ، وابن عصفور، وابن السيد، وابن مضاء(٢)، وابن الضائع، وابن أبي الربيع والأعلم الشنتمري ، كان يورد أقوالهم كثيراً في تصانيفه إما ذاكراً لها بجانب الآراء البصرية والكوفية والبغدادية وإما مستحسناً إياه على غيرهم، وكما سبق ذكره أنه أخذ عن هؤلاء بقراءة أو سماع أو إجازة بمشافهة وكتابة(٣).

يقول : " وإن كان المعتل اللام بالواو نحو : خُطْوة ففيه اللغات الثلاث، ونحو كُلْيَة ولِحْية فالسكون والفتح وشذ جروات بكسر الراء جمع جرْوة ، وفي الإتباع في لِحْية خلاف بين البصريين منهم من منع وهو اختيار ابن عصفور، ومنهم من أجاز وهو اختيار أبي الحسن بن الضائع(٤) أحد شيوخنا"(٥).

---

(١) الإرتشاف ١/١٣.

(٢) كان يذهب إلى الغاء القياس وتبعه أبو حيان في ذلك حيث كان يقدم السماع على القياس وخاصة إذا تعارضا وأكثر ما يتضح ذلك عندما يعارض القياس قراءة أحد القراء ، وتبعه في إلغاء العامل وما يتعلق به النحاة من كثرة التعليل.

(٣) انظر الإرتشاف ١/١٣ ، ويراجع نفح الطيب ٣/٢٩٥ ، البحر ١/٦ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن الاشبيلي توفى سنة ٦٨٠هـ.

(٥) الإرتشاف ١/٢٧٧، وينظر ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١ (نقل آراء ابن القوطية وابن القطاع السعدي وابن مالك).

وقال : " وذهب قوم من المتأخرين منهم الأعلم ، وابن أبي العاقبة إلى أنها معربة بالحركات التي قبل الحروف ... وذهب السهيلي وتلميذه أبو على الرُّنْدِي إلى أن فاك وذا مال معربان بحركات مقدرة في الحروف ، وأن أباك وأخاك وحماك وحناك معربة بالحروف"(١).

وقال:" وعند الخليل : فَعْل أصله نوٌّ ، وقال ابن كيسان : يحتمل الوزنين ، والمحذوف من قولك : نُو مال اللام، وهو قول شيوخنا بغرب الأندلس، وقال أهل قرطبة : المحذوف العَيْن"(٢).

وقال:" ذهب ابن الطراوة إلى أن أدهم، وأسود، وأخيل صفات فمنعها من الصرف"(٣).

وأكثر من يتردد ذكرهم من الأندلسيين ابن مالك وابن الطراوة والشلوبين(٤) وابن عصفور ، والسهيلي وابن خروف(٥) قال:" وهذا من علم التصريف[استعمله](٦) ابن مالك فاتبعناه"(٧).

---

(١) الإرتشاف ٤١٦/١.

(٢) نفس المرجع ٤١٨/١.

(٣) نفس المرجع ٤٣٠/١، وينظر البحر ٢٨٢/١.

(٤)(٥) الإرتشاف ٤٢٩/١ – ٥٠٣ .

(٦) الأصل استعجله (قول المحقق د. النماس) الإرتشاف ٤٦٥/١.

(٧) نفس المرجع والجزء والصفحة وينظر ٤٦٦–٤٨٢ ، ٤٨٣ – ٤٨٥ .

وقال:" وشرط ابن مالك في إجازة ما اختاره أن يكون صاحب الضمير قد يشارك في العامل نحو ضرب غلامها هذا"(١)٠

وقال :" وأكثر النحاة يذهب إلى أنه حرف وصححه ابن عصفور"(٢)٠

وكان يقول : وأحسن ما وصفه المتأخرون من النحاة كتاب التسهيل لابن مالك وكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور، وقد عني في دروسه لتلاميذه به وله عليها شروح كثيرة٠

وفي مواضع كثيرة من البحر والإرتشاف نراه يقف من ابن مالك موقفاً مخالفاً لآرائه رادها بآراء غيره من النحاة يستدل به على ثاقب فكره ، فمن أمثلة مخالفة أبي حيان لابن مالك قوله:" والمعرب الاسم المتمكن ، وهو ما خلا من سبب البناء٠٠ فإذا لحقته نون الإناث فذكر ابن مالك: أنه مبني على السكون بلا خلاف ، وليس كما ذكر بل ذهب ابن درستويه، وتبعه السهيلي وابن طلحة وطائفة ، إلى أنه معرب، والبناء مذهب الأكثرين من المتقدمين والمتأخرين وهو ظاهر قول سيبويه"(٣)٠

وقوله:" ولا نعلم أحداً فصّل في المضمر فجعل العلم أعرف من ضمير الغائب إلا ابن مالك"(٤)٠

وقوله:" وما استدل به ابن مالك على الزيدون قام لا دليل فيه ٠٠ وادعى ابن مالك أنه يأتي مفرداً مذكراً كثيراً مستدلاً بما لا دليل فيه"(٥)٠

---

(١) الإرتشاف ٤٨٣/١ – ٤٨٥ ٠

(٢) نفس المرجع ٤٨٩/١ – ٥٥٥ ، وانظر البحر ٣٨/١٠

(٣) الإرتشاف ٤١٤/١٠

(٤) نفس المرجع ٤٦١/١٠

(٥) انظر البغية جـ : ٦٠٣/٢ ٠

وأكثر مخالفته لابن مالك ورده رأيه حين لا يرد سماع بما ذهب إليه ابن مالك من العرب ، من ذلك ردهُ قوله في جواز حذف الضمير العائد في الصلة إذا تعيَّن الحرف قياساً على الجملة الخبرية كقوله:" الذي سرت يوم الجمعة" أي فيه. حيث ردّ ذلك أبو حيان بأنه لا ينبغي أن تقاس الصلة على الجملة الخبر، ولا أن يُذْهَبَ إلى ذلك إلا بسماع ثابت عن العرب(١).

كما أخذ عن سابقيه من نحاة مصر أمثال ابن بابشاذ(٢)، وابن القطاع(٣) وابن ولاد(٤)، والنحاس(٥)، أما ابن الحاجب(٦) فكان له موقف منه حيث كان يقول عن كتبه أنه لا يقرأها وكان يسميها نحو الفقهاء.

---

(١) انظر الهمع ١/٩٠.

(٢) توفي سنة ٤٦٩.

(٣) انظر البغية ٢/١٥٤ . توفي سنة ٥١٤ .

(٤) توفي سنة ٢٩٨.

(٥) هو أستاذ أبي حيان في مصر ، توفي سنة ٦٩٨.

(٦) توفي سنة ٦٤٦، انظر البحر ٥/٢٦٨.

موقف أبي حيان من الاستشهاد

للشواهد قيمة كبيرة في علم النحو ، فهي حجة النحوي التي يستعين بها في كل قضية نحوية أو لغوية يعرض لها ليثبت بها القاعدة ويقررها ويبرهن بها على حجة القواعد ، وقد كان لكل من البصريين والكوفيين أسلوبهم في الاستشهاد ، فالبصريون يبنون قواعدهم على الأكثر والأشيع من كلام العرب الفصحاء الأمر الذي ترتب عليه ظهور ما اصطلح بالقليل والشاذ، أما الكوفيون فنجدهم يتوسعون في الرواية والقياس والأخذ بما روى عن الفصحاء من بدو وما روي عن الحضر وكذا الأخذ بالأشعار من الأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء.

فلقد حظي السماع عند أبي حيان بأهمية كبرى وعول عليه كثيراً إلا أنه مع هذا الاهتمام حذى حذو البصريين فيها من أنه ليس كل ما سمع من كلام العرب يقاس عليه، فليست كل القبائل على درجة واحدة من الفصاحة ، لذا نراه يتحرى كل مسموع ويتشدد تشدد البصريين في ذلك فلا يأخذ إلا عن المشهور الأعم ويترك الشاذ والنادر القليل ، وهو بهذا يخالف الكوفيين الذين يتوسعون في الرواية ، وعاب عليهم أخذهم عن جميع القبائل البادية والحاضرة وردّ إتباعهم الشاذ من كلام العرب وأوضح مثال على ذلك موقفه من ابن مالك في ذلك حيث عاب عليه استشهاده بما روى عن قبائل لخم وخزاعة وقضاعة ، ونراه دائماً يردد مصطلح الشاذ والقليل والنادر ، يقول :"وحرف جواب بقول القائل ألم تقم فنقول ألا بمعنى بلى نقل ذلك صاحب كتاب رصف المباني في حروف المعاني، قال وهو قليل شاذ..."(١).

---

(١) البحر ٦٢/١، وانظر ص ١٩، والإرتشاف ٤٥٢/١-٤٦٨ ذكر أنها (لغة رديئة في لهجات اليوم يقال إلا بكسر الهمزة .

وقول : " الذ والذ والذْ التْ وهذا الذي ذكرناه من التشديد والحذف لغات وذكر بعضهم أن ذلك مختص بالشعر ونقول في التثنية رفعاً اللذان واللتان وتخفيف نونيهما لغة الحجاز وبني أسد ، وتشديدهما لغة تميم وقيس ٠٠٠ ويجوز حذف النون منهما فنقول :اللذا واللتا والذي والتي وهي لغة بني الحارث بن كعب وبعض بني ربيعة ٠٠ وإعراب الذين مشهور في لغة طيئ، قاله ابن مالك وذكر بعضهم أنها لغة هذيل وبعضهم أنها لغة عُقيل نقلها عنهم أبو زيد في نوادره٠٠ ويجوز حذف النون من اللائين٠٠ ولم يذكر شاهداً على ذلك إلا قراءة إعراب {صِراطَ ٱلَّذِينَ}(١) بتخفيف اللام فيما سمعه أبو عمرو ولا يجعل ذلك قياساً إن صح فيحذف من بقية الألفاظ التي ذكر لأن هذا التخفيف شاذ"(٢)٠

وقوله:" ومن العرب من يثبت الألف في الإستفهام إذا دخل عليها حرف الجر: عما تسأل وفيما ترغب ، وذلك قليل وقبيح ، وحكى أبو زيد أن من العرب من يقول: سَلْ عَمَّ شِئْتَ ، وهذا شاذ عندي ولا يطرد"(٣)٠

ونراه يتوسع في السماع فلا يأخذ برأي إلا بعد سماع ذلك من العرب وكثيراً ما كان يقدمه على القياس ويرجحه وخاصة إذا تعارضا ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها ، من ذلك قوله:" والصحيح أنه يجوز القياس عليها لأنها لغة"(٤)، وقوله :" فلا يقاس هذا الإبدال لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس٠٠"(٥)٠

---

(١) الفاتحة :٧٠

(٢) الإرتشاف ٥٢٦/١٠

(٣) المرجع نفسه ٥٤٤/١، وينظر البحر ٤٩/١، ٨٣، وينظر الإرتشاف ٣٤٧/١، ٣٦٦٠

(٤) الإرتشاف ٣٨١/١، وينظر ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٦٠

(٥) البحر ٣٠/١، ٤٢/٥ .

وقال :" الغيب مصدر غاب اللازم أو على التخفيف من غيب كاملين فلا يكون إذ ذاك مصدراً وذلك على مذهب من أجاز التخفيف، وأجاز ذلك في الغيب الزمخشري ولا يصار إلى ذلك حتى يسمع منقلاً من كلام العرب"(١)٠

وقال:" وهذا النوع من إضمار أن في مثل هذا مُختلف فيه ، فمن النحويين من منعه وعلى ذلك متأخروا أصحابنا وذهب جماعة من النحويين إلى أنه يجوز حذفها في مثل هذا الموضع٠ ثم اختلفوا فقيل يجب رفع الفعل إذ ذاك وهذا مذهب أبي الحسن ، ومنهم ممن قال بنفي العمل وهو مذهب المبرد والكوفيين والصحيح قصر ما ورد من ذلك على السماع "(٢)٠

وقال: " فأما ذراع فمؤنث عند معظم العرب وتذكره عقيل ولو سمت به مذكراً صرفته سماعا من العرب"(٣)٠

وقال « حكى الكسائي :" حذف الحدث الخاص إذا كان قد عمل في الموصوف بالموصول وكان الظرف قريباً نحو : نزلنا المنزل الذي البارحة٠٠٠ وهذا الذي حكاه الكسائي خارج عن القياس فيقتصر فيه على ورد السماع"(٤)٠

وقد بلغ من توسعه في السماع أنه كان يرد أقوال البصريين والكوفيين بالسماع يتضح ذلك في قوله :" الهدى مصدر هدى ٠٠٠ والهوى مذكر وبنو أسد يؤنثونه يقولون هذه هدى حسنة قاله الفراء في كتاب المذكر والمؤنث ٠٠٠ وهو على وزن فعلى كالسرى والبكى وزعم بعض أكابر نحاتنا أنه لم يجيئ من فعلى مصدر سوى هذه الثلاثة وليس بصحيح فقد ذكر لي شيخنا اللغوي الإمام في ذلك رضي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن يوسف الشاطبي أن العرب قالت لقيته لقى٠

---

(١) البحر ١/٤٠٠

(٢) المرجع نفسه ١/٢٨٣، وينظر الإرتشاف ١/٤٥٨، ٤٤٧، ٤٨٨، ٥٢٣، ٥٢٨، ٢٧١، ٢٧٧٠

(٣) الإرتشاف ١/٤٤١٠

(٤) المرجع نفسه ١/٥٢٥ وينظر ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٩٠

وأنشدنا لبعض العرب :

وقد زعموا حلماً لقاك ولم أزد بحمد الذي أعطاك حلماً ولا عقلاً

وقد ذكر ذلك غيره من اللغويين"(١)٠

وهذا هو يرد قول ابن مالك لأنه لم يرد بسماع فيقول :" ومن كسر في "بهِ" و "فيهِ" كسر في بهما فيهما وفيهم وفيهن ومن لم يكسر ضم فقال بهما وفيهما وفيهم والأكثر الكسر فقال: أبو عمرو: والضم مع الياء أكثر منه مع الكسر قال : أناس من العرب في هم إذا كسروا ألحقو الياء، وهم تميم وعامة قيس ، وأناس يسكنون الميم وهم قوم من بني أسد وكنانة وقيس ، وكسر الكاف بعد الياء في الجمع حكاها الفراء لغة للنمر ، قال يقولون: السلام عليكم ، قال : ولا نعلم أحداً من العرب قالها غيرهم ، وحكى سيبويه عن ناس من بكر بن وائل قال: أحلامِكم وبكم بكسر الكاف ٠

وانتظم من نقل الفراء وسيبويه أنه إذا كان في الجمع في المذكر قبل الكاف ساكن هو الياء، أو كسرة بكسر الكاف وهل يكون ذلك في التثنية أو في جمع المؤنث نحو : بكما وفيكما وبكن وفيكن كما ذكره ابن مالك يحتاج إلى نقل٠٠٠"(٢)

وقال:" ومن الموصولات (أي) على مذهب الجمهور خلافاً لثعلب فإنه أنكر ذلك وقال : لا يكون (أي) إلا استفهاماً أو شرطاً ، هو محجوج بثبوت ذلك في لسان العرب"(٣)٠

---

(١) البحر ٣٣/١، (والبيت من البحر الطويل لكثير عزة ، فصل اللام المضمومة ص ٢٦٣ معجم شواهد العربية من شواهد أمالي الشجري ، ٣٨/١، ٦١/٢، وليس في ديوانه).رانظر البحر:١٤٧/٢ ، ١٤٨ ، والنهر الماد من البحر ١٤٦/٢.

(٢) الإرتشاف ٤٦٨/١.

(٣) نفس المرجع والجزء /٥٣٠. وينظر ٥٣٧.

وقال:" عند تفسيره لقوله تعالى {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ}(١) :و إعمال "إنْ" عمل "ما" الحجازية فيه خلاف أجاز ذلك الكسائي وأكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنع ومنع من إعماله الفراء وأكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك في النثر والنظم"(٢)٠

ويقول :" والذي نذهب إليه أن ماصحت الرواية به من إثبات القراء وجب المصير إليه وإن خالف أقوال البصريين ورواياتهم ، وقد استقرأ هذا اللسان البصريون والكوفيون فوجب المصير إلى ما استقرأوه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ"(٣)٠

ويقول :" وقد ضبط المعربون في عطف {والمسجد الحرام}(٤)٠

والذي نختاره أنه عطف علي الضمير المجرور ولم يعد جاره وقد ثبت ذلك في لسان العرب نثراً ونظماً باختلاف حروف العطف وإن كان ليس مذهب جمهور البصريين بل أجاز ذلك الكوفيون ويونس والأخفش والأستاذ أبو علي الشلوبين ولسنا متعبدين باتباع مذهب جمهور البصريين بل نتبع الدليل"(٥)٠

ويقول : " واللغة المشهورة أن لا تلحق الفعل إذا أسند إلى مثنى أو مجموع علامة تدل على تثنيته وجمعه٠٠ وهذه اللغة عند جمهور النحويين ضعيفة وكثرة ورود ذلك يدل على أنها ليست ضعيفة"(٦)٠

---

(١) الأعراف :١٩٤.

(٢) البحر ٤٤٤/٤. (٣) الإرتشاف ٣٣٩/١.

(٤) البقرة : ١٢٧ .

(٥) النهر ١٤٦/٢ وانظر البحر ١٤٧/٢

(٦) الإرتشاف ٣٥٤/١. لعل أبي حيان من متابعته للكوفيين يكون في مجال إثبات الفاظ اللغة لا في مجال النحو .

وقد نهج نهج البصريين في الاستشهاد بشعر الطبقات الثلاث الأولى الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين(١)، فنراه يستشهد بشعرهم ويبني عليه القواعد ما لم يتعارض مع إجماع النحاة(٢).

ونراه يرد على الزمخشري عندما استشهد ببيت للحمداني(٣) وينقد استشهاده بشعر أبي تمام(٤) لأنهما من الشعراء المولدين الذين كان البصريون لا يستشهدون بشعرهم . ومن الغريب أن أبا حيان يتابع الكوفيين في الاستشهاد بشعر المولدين مثل استشهاده بشعر أبي تمام وعمار الكلبي(٥) يقول في ذلك :" وقد رأيت في كلام بعض النحاة الاستشهاد بشعره"(٦).

ولكن هذا الاستشهاد من القلة بحيث لا ينهض موضع القدح في أبي حيان إذا ما حصرنا كل الشواهد الشعرية التي استشهد بها ، ونراه يشير إلى ما يستشهد به في بعض الأحيان بأنه من شعر من لا يحتج بشعره(٧).

---

(١) ينظر البحر ٧، ١٠٩، ٢٠٧، ٣/٢٨٠، ١/٢٠، ٢٤(جاهلي)، ٢٩(اسلامي)، ٣٠، ٤٧، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٩٣.

(٢) الإرتشاف ١/٥٥٤.

(٣) البحر ٣/٢٨٠.

(٤) ١/٩٠، ٩١.

(٥) الإرتشاف ١/٣٥٤ وينظر البجر ٧/١٠٨.

(٦) الإرتشاف ١/٢١، ٢٢.

(٧) نفس المرجع ١/٢٣ بتصرف.

أما القراءات ، فنجد أبا حيان قد استفاد منها فائدة عظيمة مما يدل على تمكنه من علم النحو فقد كان حينا يبني عليها القواعد ويثبت بها وأحياناً يناقش الآراء المختلفة حول إعرابها وحيناً يستخرج الإعراب والتصريف واللغة والبلاغة ويذكر التأويلات . وإذا ذكر الآية ذكر القراءات فيها وتخريجات النحاة، كل ذلك بأسلوب واضح يتسم بالبراعة والمقدرة في الحوار والمناقشة يدل على فكره الثاقب وثقافته الواسعة ، فموقفه من القراءات ومنهجه في الاستشهاد بها كان موقفاً وسطاً بين مذهبي البصريين والكوفيين ذلك أن النحاة لم يقفوا موقفاً واحداً منها بل اختلفوا في ذلك فالبصريون احتاطوا في الأخذ بالقراءات ، وهذا يتفق مع مذهبهم في التشدد في الاستشهاد والاحتياط في الأخذ، أما الكوفيون فيعتبرون القراءات مصدراً من مصادر النحو ويعتمدون عليها اعتماداً كبيراً والخلاف بينهم كان في المتواترة فضلاً عن الشاذة، ولكن البصريين ليسوا كلهم متشددين في الأخذ بالقراءات فهذا سيبويه أحد رواد المدرسة البصرية كان يقول :" إن القراءة سنة متبعة"(١).

فأبو حيان لا يتشدد في الأخذ بالقراءات تشدد البصريين في عدم الاحتجاج بها ، ولا يتساهل تساهل الكوفيين وابن مالك فهي عنده أساس يجب الأخذ به ، هذا موقفه من السبعة والمتواترة من القراءات ، أما الشاذة وغير المتواترة فلا يبني عليها قاعدة ولكنه لا يخطئ ولا يغلط قارئها ، بل نراه يرد على بعض النحاة الذين يردون قراءه بعض القراء لأن الأصل عنده أن يقاس على القرآن الكريم لا أن يقاس القرآن على قواعد العربية(٢).

---

(١) الكتاب ١/١٤٨.

(٢) ينظر في (أبو حيان النحوي، خديجة الحديثي):٤١٨ - ٤٣٠، والبحر ٢/٣٦١ - ٣٦٣، ٤/٢٧١، ٦/١٨٩ - ٤٦٦.

ولعل أبا حيان في استشهاده بالقراءات يميل إلى مذهب سيبويه وكان يأخذ بآرائه ويؤيدها في كثير من تصانيفه .

وإن كان ذلك يتفق مع ما كان عليه أبو حيان في التوسع في الأخذ بالمسموع وتفضيله في أحيان كثيرة على القياس ، والقراءات على اختلافها ماهي إلا مسموع موثوق في سماعه.

قال الداني : " وأئمة القراء لا تعمل في شئ من حروف القرآن على الأفشى والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل"(١).

فأبو حيان في استشهاده بالقراءات أقرب إلى مذهب الكوفيين وقد ذكرت في ترجمته أنه أخذ القراءة عن شيوخه وهم أبو جعفر بن الطباع ، والخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبدالله الأنصاري(٢).

فمن احتفائه بالقراءات أنه يتصدى دائماً لمن يرد قراءة قارىء من القراء ويوجهها ويحملها في العربية على الوجه الفصيح يقول راداً على الزمخشري في رده رواية ورش في قوله تعالى :{سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ}(٣) :

---

(١) الإتقان : ١/٧٥ ، دار الندوة الجديدة .

(٢) البحر : ١/٧ ، ٥ ، ٦٧ ، وينظر ص ٥٣ من البحث .

(٣) البقرة : ٦ .

" ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أأنذرتهم وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الأصل وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلباً للتخفيف فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية إلا أن أبا عمرو وقالون واسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفاً ، وابن كثير لا يدخل وروي تحقيقاً عن هشام وإدخال ألف بينهما وهي قراءة ابن عباس وابن أبي اسحق ، وروي عن ورش كابن كثير وكقالون وإبدال الهمزة الثانية ألفاً فيلتقي ساكنان على غير حدهما عند البصريين ، وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين أحدهما الجمع بين ساكنين على غيره حده والثاني أن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها هو بالتسهيل بين بين لا بالقلب ألفاً لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة وما قاله هو مذهب البصريين ، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون وقراءة ورش صحيحة النقل لا تُدفع باختيار المذاهب.."(١). ويقول في موضع آخر من قوله تعالى :{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ...}(٢):

" قرأ أبو جعفر بن القعقاع وسليمان بن مهران بضم التاء اتباعاً لحركة الجيم ونقل أنها لغة أزد شنودة قال الزجاج هذا غلط من أبي جعفر ، وقال الفارسي هذا خطأ ، وقال ابن جني لأن كسرة التاء كسرة إعراب وإنما يجوز هذا الذي ذهب إليه أبو جعفر إذا كان ما قبل الهمزة ساكناً صحيحاً نحو : وقالت أخرج ، وقال الزمخشري : لا يجوز لاستهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمدلله. انتهى كلامه ، وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة وقد نقل أنها لغة أزد شنودة فلا ينبغي أن يخطئ القارئ بها ولا يغلط والقارئ بها أبو جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبدالله ابن عباس وغيره من الصحابة وهو شيخ نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة"(٣).

---

(١) البحر ١/٤٧ ـ ٤٨ وينظر ٤/٢٣٠، ٢/٤٩٩.

(٢) البقرة : ٣٤.

(٣) البحر ١/١٥٢، والنهر الماد من البحر ١/١٥٢.

ويقول راداً على أبي اسحاق الزجاج في رده لقراءة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى {تؤده} بإسكان الهمزة :" قال أبو إسحاق وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بين لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل، وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه كما غلط عليه في بارئكم. وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرًا خفيفًا.

وما ذهب إليه أبو اسحاق من أن الإسكان غلط ليس بشيء إذ هي قراءة في السبعة وهي متواترة وكفى أنها منقولة عن امام البصريين أبي عمرو بن العلاء فإنه عربي صريح وسامع لغة وإمام في النحو ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا وقد أجاز ذلك الفراء وهو إمام في النحو واللغة. وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع.

وقد روى الكسائي ان لغة عُقيل وكِلاب أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك وأنهم يسكنون أيضاً . قال الكسائي سمعت أعراب عقيل وكلاب يقولون : لربه لكنود بالجزم ولربه لكنود بغير تمام... و نص بعض أصحابنا على أن حركة هذه الهاء بعد الفعل الذاهب منه حرف لوقف أو جزم يجوز فيها الإشباع ويجوز الاختلاس ويجوز السكون."(١)

وفي قراءة ابن عامر لقوله تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ}(٢) يقول أبو حيان :" وقرأ ابن عامر كذلك(٣) إلا أنه نصب

---

(١) البحر ٢/٤٩٩، ٥٠٠.

(٢) الأنعام : ١٣٧.

(٣) قرأ الجمهور (زين) مبنياً للفاعل ونصب (قتل)مضافاً إلى أولادهم ورفع (شركاؤهم) فاعلاً بـ(زين)، وقرأت جماعة(زين) مبنياً للمفعول و(قتل) مرفوعاً مضافاً إلى (أولادهم) و(شركاؤهم) مرفوعاً على إضمار فعل أي زينه شركاؤهم وقرأت فرقة كذلك إلا أنهم خفضوا شركائهم وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه نصب أولادهم.

أولادهم وجر شركائهم فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول ، وهي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر و بعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب ، ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات قد ذكرناها في كتاب منهج السالك من تأليفنا ولا التفات إلى قول ابن عطية وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب وذلك أنه أضاف الفعل إلى الفاعل وهو لشركاء ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ، ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظروف في مثل هذا إلا في الشعر كقوله :

كما خط الكتاب بكف يوماً يهودي يقارب أو يزيل(١)

فكيف بالمفعول في أفصح كلام ولكن وجهها على ضعفها أنها وردت شاذة في بيت أنشده أبو الحسن الأخفش :

فزججتُه بمزجة زج القلوص أبي مرادة(٢)

وفي بيت الطرماح وهو قوله :

يطفن بحوزي المراتع لم يرع بواديه من قرع القسي الكنائن(٣)

انتهى كلام ابن عطية ولا إلتفات أيضاً إلى قول الزمخشري ان الفصل بينهما يعني بين المضاف والمضاف إليه فشا لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجاً مردوداً فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ولو قرأ بجر

---

(١) القائل أبو حية النمري، انظر معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون ص ٩٥.

(٢) القائل كثير غزة، نفس المرجع السابق ، ص ٩٩. في الدر اللقيط من البحر المحيط بلفظ" فزججتها".

(٣) الطرماح بن حكيم الطائي من شواهد الخصائص : ٢/٤٠٦ .

الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . انتهى ما قاله وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم، ولا إلتفات أيضاً لقول أبي عليّ الفارسي هذا قبيح قليل في الاستعمال ولو عدل عنها ، يعني ابن عامر كان أولى لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظروف في الكلام مع اتساعهم في الظروف وإنما أجازوه في الشعر ..."(١).

وأمثلة ذلك كثيرة متناثرة في تصانيف أبي حيان يدافع فيها عن القراء دفاعاً علمياً مجيداً يدحض شبه المتأولين ، وله في بعض القراءات تخريجات ذكرها في البحر منها تخريجة قوله تعالى : { إِنّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ }(٢) قال : " قرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبو عبيدة، وأبو حاتم وابن عيسى الأصبهاني ، وابن جرير وابن جبير الأنطاكي والإخوان والصاحبان من السبعة بتشديد النون هذان بألف ونون خفيفة لساحران ، واختلف في تخريج هذه القراءة ...

والذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالألف دائماً وهي لغة لكنانة ، حكى ذلك أبو الخطاب ، ولبني الحارث بن كعب وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائي ، ولبني العنبر و بني الهجيم ومراد وعذرة . وقال أبو زيد : سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفاً .وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير أن بتخفيف النون هذا بالألف وشدد نون هذان ابن كثير .

---

(١) البحر : ٢٢٩/٤، ٢٣٠، وينظر الإرتشاف : ٣٣٩/١، ٤١٤/٤، وانظر الدر اللقيط بهامش البحر:٢٢٩/٤للإمام تاج الدين الحنفي. وانظر النهر الماد من البحر : ٢٢٨/٤ ، ٢٢٩.

(٢) طه : ٦٣.

وتخريج هذه القراءة واضح وهو على أن أن هي المخففة من الثقيلة ، وهذان مبتدأ ، ولساحران الخبر واللام للفرق بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة على رأي البصريين والكوفيين يزعمون أن إن نافية واللام بمعنى إلا وقرأت فرقة إن ذان لساحران وتخريجها كتخريج القراءة التي قبلها "(١).

وكان أبو حيان لا يرجح قراءة على أخرى لأنها جميعها متواترة وكان ينكر على النحويين المفاضلة والترجيح بين القراءات السبعية يقول :" وتكلموا في ترجيح أحد القراءتين ، وقد تقدم اني لا أرى شيئاً من هذه التراجيح لأنها كلها منقولة متواترة قرآناً فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى "(٢).

وقال :" وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون (٣) والنحويون بين القراءتين لا ينبغي لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن منها ترجيح قراءة على قراءة "(٤).

ويقول :" وقال قال ثعلب من كلام نفسه إذا اختلفت الأعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس فضلت الأقوى"(٥).

أما القياس فلقد وافق مذهب أبي حيان فيه مذهب البصريين من تشددهم حيث لا يقيسون علي كل ما سمع منه شاهد واحد أو شاهدان بل على الأكثر

---

(١) البحر :٦/٢٥٥. وانظر النهر الماد من البحر ص ٢٥.
(٢) البحر : ٢/٥٠٦.
(٣) ذكر منهم الطبري ومكي بن أبي طالب . انظر البحر : ٤/٨٧، ٢/٢٦٥.
(٤) البحر : ٢/٢٦٥، ٤/٨٧.
(٥) البحر : ٤/٨٧

والأغلب والأفشى والفصيح ولا يبنون قاعدة نحوية إلا على الكثير المعروف من كلام العرب، لا النادر الشاذ ، فأبو حيان يأخذ به ولكنه لا يتوسع فيه كما فعل الكوفيون إنما يقيس على ما ورد مسموعاً أو كان السماع فيه كثيراً يجوز في مثله القياس(١) يقول :" وقول من زعم أنه نصب رب بفعل دل عليه الكلام قبله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين ضعيف لأنه مراعاة التوهم وهو من خصائص العطف ولا ينقاس فيه ..."(٢).

وقال :" فلا ينقاس هذا الإبدال لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس نص على أنه لا ينقاس النحويون ، قال أبو زيد : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن)(٣) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة ..."(٤).

وقال :" والجنس الذي ميز واحده بناء يؤنثه الحجازيون ويذكره التميميون وأهل نجد وجمعهم لها على سموات وعلى أسمية وعلى سماء قال فوق سبع سمائنا شاذ لأنه أولاً اسم جنس فقياسه أن لا يجمع ، وثانيا فجمعه بالألف والتاء وليس فيه شرط ما يجمع بهما قياساً وجمعه على أفعله ليس مما ينقاس في المؤنث ، وعلى فعائل لا ينقاس في فعال "(٥).

وقال :" فأما ذراع فمؤنث عند معظم العرب وتذكره عقيل ولو سميت به مذكراً صرفته سماعاً من العرب ، والقياس ترك صرفه.."(٦) والأمثلة على ذلك كثير

---

(١) ينظر " أبو حيان النحوي : خديجة الحديثي ص ٢٩٤.

(٢) البحر : ١٩/١ ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى [الحمد لله رب العالمين] الفاتحة :١.

(٣) الرحمن : ٣٩ .

(٤) البحر : ٣٠/١ ، ٥٨ - ٦٢ في قراءة من أبدل الألف همزة في قوله تعالى (ولا الضالين) قراءة أبو أيوب السختياني . انظر المحتسب ٤٦/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٦/١ .

(٥) البحر :٨٣/١ ، ١٢٣، ٥٠٥/٦ ، انظر الإرتشاف :٣٤٦/١ ، ٣٨١ - ٣٨٨ .

(٦) الإرتشاف : ٤٤١/١.

لا حصر لها(١).

وننتهي إلى القول بأن أبا حيان كان يقف موقفاً وسطاً بين المذهبين الكوفي والبصري(٢) ، فثقافته الواسعة وروايته الغزيرة لأقوال شيوخه من الأندلس وأقوال علماء البصرة والكوفة وبغداد يجعله يقف موقفاً وسطاً فكان يذكر في المسألة أقوالاً لعلماء المذهبين ثم يختار أو يفضل قولاً بصرياً أو كوفياً أو يقبلها جميعاً ، وقد ينفرد ونراه يميل حيناً إلى قول بصري راداً به الكوفي ، وقد ينقد بصرياً ويرفض قوله ، وقد نراه موافقاً للقولين.

ولأبي حيان إلى جانب ذلك كله اختيارات كثيرة(٣) من أقوال سابقيه هذا إلى جانب آراء اجتهادية ينفرد بها من ذلك أنه كان يذهب إلى أن " أن المصدرية " لا توصل بالأمر ، وأن " أن " الموصولة به في بعض العبارات مثل " كتبت إليه أن قم " تفسيرية، أما ما حكاه سيبويه من قولهم " كتبت إليه بأن قم" فالباء فيه زائدة . وذهب إلى أن اللام في مثل قولهم :{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ }(٤) هي لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد(٥) .

واختلف البصريون والكوفيون في ألفاظ العدد المعدولة على وزن فُعال ومَفْعَل فوقف بها البصريون عند آحاد وموحد و ثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع وخماس ومخمس إلى العشرة ، وقاس الكوفيون عليها سداس وسباع إلى التسعة ، يقول أبو حيان :" وقيل يقال البناءان وهو الصحيح لسماع ذلك عن العرب " (٦).

---

(١) نفس المرجع والجزء ٣٧١، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٦٨، ٤٩٧، ٥٢٥ - ٥٥٢ . وانظر البحر : ٤٤٤/٤.

(٢) ينظر" أبو حيان النحوي " ، خديجة الحديثي ص ٣٣٦ - ٣٨٥ ، والبحر : ٦/١ - ١١، ٤٤٤/٤، ١٤٦/٢.

(٣) انظر الارتشاف : ٤٦١/١ - ٥٢٣ .

(٤) البقرة : ٦٥.

(٥) انظر المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٦) الإرتشاف ٤٣٧/١.

ومن انفراده في الرأي نظرته في إلغاء العامل وما يتعلق به النحاة من كثرة التعليل للظواهر اللغوية والنحوية ومخالفتهم وتعليقه على خلافهم على بعض الظواهر اللغوية كثير، لأنه كما قال لا يتعبد لمذهب البصريين بل يتبع الدليل (١) يقول :" هذا من الخلاف الذي ليس فيه كبير منفعة " وذلك في الخلاف بين البصريين والكوفيين في الإعراب وهل هو أصل في الأسماء فرع في الأفعال أو لا ؟(٢)٠

ومنه تعليقه على تعليلهم لامتناع الجر من الفعل والجزم من الاسم ولحوق تاء التأنيث الساكنة للماضي دون أخويه بأن تعليل أمثال ذلك من الوضعيات ينبغي أن يمنع لأنه يؤدي إلى تسلسل السؤال يقول :" إنما يسأل عما كان يجب قياساً فامتنع " (٣)٠

ومنه قوله في الرد على خلاف النحاة في معنى الصرف أنه :" خلاف لا طائل تحته"(٤) وتعليل النحاة لضم التاء في " كلمت " للمتكلم وفتحها للمخاطب ، وكسرها للمخاطبة قال فيه " هذه التعاليل لا يُحتاج إليها لأنها تعليل وضعيات والوضعيات لا تعلل "(٥)٠

وقوله :" والأولى الإضراب عن هذه التعاليل لأنها تخرجن على العرب في موضوعات كلامها "(٦) عند رده تعليل النحـــاة تسكين الماضي وعدم فتحه حين يسند إلى التاء والنون٠

---

(١) الإرتشاف :٣٣٩/١، النهر الماد من البحر :١٤٦/٢٠

(٢) الهمع ١٥/١٠

(٣) نفس المرجع ٢١/١٠

(٤) نفس المرجع ٢٤/١٠

(٥) نفس المرجع ٥٦/١٠

(٦) نفس المرجع ٥٧/١ ، ٦٢ ، ١٦٢، ١٨٦ ،والارتشاف ٤١٤/١ .

وأكثر مخالفته للنحاة حينما يتعارض السماع والقياس فنراه يقدم السماع ويفضله ويرد أقوال النحاة به ويعلق عليها إذا لم يرد سماع بتأييدها وأظهر الأمثلة على ذلك دفاعه عن القراء وتصديه لمن ردّ قراءة بعض القراء لأنها مخالفة للقياس وعمدته في ذلك بجانب كون القراءة سنة متبعة والقراء موثوق في نقلهم ، أنها مسموعة كما وأن مرجع إختلاف القراءات معظمه إختلاف لغات العرب(١).

ونظرة أبي حيان لبعض المسائل النحوية على أنها ضرورات شعر لا يجوز حمل القرآن عليها ونقده لمن اعتبرها في أسلوب القرآن بدل دلالة واضحة على تفرده في المذهب يقول في التقديم والتأخير :" لا يجوز عندنا إلاّ في ضرورة الشعر ، وهو من أقبح الضرائر ، فينبغي ، بل يجب أن ينزه القرآن عنه "(٢).

وقال : " التقديم والتأخير هو مما يختص بالضرورة ، ونُنزه القرآن من حمله عليه "(٣).

وقال :" التقديم والتأخير مما يختصان بالضرورة "(٤).

ويقول في القلب البلاغي :" قال ابن عطية : إدّعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر"(٥).

وقال :" والقلب عند أصحابنا مختص بضرورة الشعر؛ فلا نخرّج كلام الله عليه "(٦).

---

(١) انظر البحر ٤٩٩/٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٢٢٩/٤ .

(٢) البحر : ٤٢١/٣.

(٣) نفس المرجع :٩٩/٢.

(٤) نفس المرجع : ١٤١/٢.

(٥) نفس المرجع : ١٣٩/٢.

(٦) نفس المرجع والصفحة.

وقال :" وهذا عندي لا ينقاس عليه لأنه لم يقع إلاّ في القليل من الكلام الفصيح وإن صح"(١)٠

وموقف أبي حيان هذا الموقف الوسط بين مذاهب النحاة على تعددها كان نتاج إطلاعه الواسع على كل المذاهب بجانب علمه الغزير ومدح كثير من العلماء له وثنائهم عليه، وأخذهم عنه مذكور غير مطمور ، واضح يشهد عليه تردد أسمه في مصنفاتهم واختيار آرائه قال عنه ابن الجزري في كتابه " النشر في القراءات العشر" : " أبو حيان الإمام الحافظ ، أستاذ المفسرين "(٢)٠

وقال : " أستاذ العربية والقراءات "(٣)٠

وكل هذا يثبت تميزه وتفرده في الرأي فهو كما قال عنه الصفدي إمام في النحو والتصريف٠

---

(١) البحر : ٣٩٨/٤.

(٢) النشر ٤١/١.

(٣) نفس المرجع ٣٩٦/١.

الباب الأول

التراكيب

الفصل الأول - الأدوات النحوية .

الفصل الثاني - إلحاق الضمائر ببعض الأفعال وتجردها منها في لغات الحجاز وتميم ، وحكم علامة التثنية والجمع إذا لحقت عامل الفاعل المثنى والمجموع:

الفصل الثالث - الاستثناء .

الفصل الرابع - إختلاف لغات الحجاز وتميم في إعراب بعض المصادر والضمير المتوسط بين المبتدأ والخبر .

الباب الأول

التــــراكيـــب

مقدمــة :

يرى علماء اللغة المحدثون ان النحو هو علم التراكيب الذي يتم به ترتيب الألفاظ وتركيبها بطرق معينة كيما تكوّن جملاً تعطي معانٍ مختلفة . فموضوعه هو التراكيب من حيث الوصول إلى معرفة أحكام المفردات فهو يبحث في المفرد من حيث وضعه في جملة مفيدة كانت أو غير مفيدة ، كما يبحث في حروف المعاني والأسماء المحمولة عليها كأسماء الاستفهام والشرط والإشارة وبحثه فيها لا من حيث ذواتها ولكن من حيث المعنى الذي تؤديه في التراكيب ومن حيث عمل ما له منها في أجزاء الجملة أو في الجمل نفسها .

فـ " ما " عندهم تأتي حرفاً ، وتأتي أسماً ، وهي إما موصولة أو استفهامية أو شرطية أو نافية أو كافة ومكفوفة ، أو زائدة(١) ولكل حالة منها حكم نحوي خاص ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ ما هذا بشراً ﴾ " ما " فيه حجازية تعمل عمل ليس فترفع الإسم وتنصب الخبر فهي إذاً عاملة في أجزاء الجملة ، أما بنو تميم فيلغون عملها فيقولون في نظير ما تقدم : (ما هَذا بَشر) فـ " ما " هذه عند الحجازيين عاملة في اللفظ والمعنى ، فمن حيث اللفظ رفعت ونصبت ، ومن حيث المعنى نفت مفهوم الخبر عن المبتدأ.

وهي عند بني تميم عاملة في المعنى دون اللفظ ، فمعناها النفي كما تقدم ولكن لا عمل لها عندهم(٢) .

---

(١) انظر مغني اللبيب ١/٣٢٧ – ٣٣٩ .

(٢) انظر نفس المرجع ١/٣٣٥ . وانظر شفاء الغليل في شرح التسهيل ١/٣٢٨ ، والكتاب لسيبويه ٤/٢٢١

فمجال عمل النحو ينصبُ على أواخر الكلمات إذ هي موضع الضبط لا غير .

والتركيب ضربان : الإعراب والبناء ، تركيب إفراد وتركيب إسناد؛ فتركيب الإسناد أن تركب كلمة مع كلمة تنسب إحداهما إلى الأخرى . ونقصد بالتركيب ، تركيب كلمة مع أخرى إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي يحسن به موضع الخبر وتمام الفائدة ولا يأتي ذلك إلا في اسمين أو في فعل واسم ويسمى الجملة .

والتركيب من إسمين نحو : "زيد أخوك". ومن فعل واسم نحو : "قام زيد"(١). وتركيب الإفراد هو أن تركب كلمتين فتجعلان كلمة واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين ويكون من الأعلام مثل معدكرب وحضرموت .

وهذا كله يسمى كلاماً(٢) ، يقول صاحب المفصل :" والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى "(٣).

فالتركيب إنما هو نظم الألفاظ بطريقة معينة لتفيد معنً ، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : " معلوم أن ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث : اسم ، وفعل ، وحرف . وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهؤلاء يعد ثلاثة أقسام : تعلق اسم بإسم ، وتعلق إسم بفعل وتعلق حرف بهما .

فالإسم يتعلق بالإسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه ، أو تابعاً له صفة أو توكيداً أو عطف بيان أو بدلاً ، أو عطفاً بحرف أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني ، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول وذلك في إسم الفاعل كقولنا : "زيد ضاربٌ أبو عمراً " وكقوله

---

(١) ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٢/١.

(٢)و(٣) الكلام جمع الكلم ومثاله : ان زيداً قائم ، وما زيد قائم ، لأنه من جزء ين . شرح المفصل لابن يعيش :٢٠/١.

تعالى : ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾(١)، وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢). وإسم المفعول كقولنا : " زيد مضروب غلمانه " ، وكقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾ (٣). والمصدر ، كقولنا : " عجبت من ضرب زيد عمراً ".

أما تعلق الإسم بالفعل فبأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً فيكون مصدراً قد انتصب له كقولك : " ضربت ضرباً "... ، أو " ضربت زيداً "... أو "خرجت يوم الجمعة "، و"وقفت أمامك" . أو بأن يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام .

وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب : أحدها : أن يتوسط بين الفعل والإسم فيكون في حروف الجر ، والثاني : تعلق الحرف بما يتعلق به العطف، والثالث : تعلق الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه (٤) . ومن هنا تأتي أهمية التركيب إذ به تنظم المعاني وتحصل الفائدة .

ولا شك أن لغات العرب قد اختلفت في تراكيب الكلام ، ومن أمثلة هذا الاختلاف في التركيب إعمال " ما " النافية عمل ليس في لغة الحجازيين وإهمالها في لغة تميم . والمعروف أنها أعملت هذا العمل لمشابهتها " ليس " في المعنى ، فهي عند الحجازيين رافعة للمبتدأ وناصبة للخبر ، وعند التميميين لا عمل لها فيما بعدها . وقد ذكر سيبويه تعليلاً لإهمال التميميين لها ، وإعمال الحجازيين وقارن بين اللغتين وبين الأشهر والأقيس من اللغتين .

ومن أمثلة التركيب أيضاً حذف خبر " لا " النافية للجنس إذا علم في لغة الحجازيين . ومن هنا تأتي أهمية التركيب ، فعلماء العربية يهتمون بمعرفة أحوال

---

(١) النساء : ٧٥ .

(٢) الأنبياء : ٣ . رأس الآية (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) .

(٣) هود : ١٠٣

(٤) دلائل الإعجاز " في علم المعاني " المدخل مقدمة المؤلف .

الكلم العربية إفراداً وتركيباً ، يقول د. أحمد حسن كحيل : " إن مدلول النحو عام يشمل جميع القواعد والمسائل التي تتعلق بأواخر الكلم العربية وغير الآخر ، ولهذا عرّفوا النحو فقالوا " علم يبحث عن أحوال الكلم العربية إفراداً وتركيباً "(١).

فللعرب أساليب وطرق متباينة في الأداء والتركيب حفظتها لغاتهم كما صورتها شواهد النحاة وكما جاء ت في بعض القراءات .

---

(١) التبيان في تصريف الأسماء ، ص ٥ ، ٦ .

الفصل الأول
الأدوات النحوية

أولا - نواسخ الجملة الاسمية :

المبحث الأول : الأحرف المشبهة بـ " ليس " :

١ - « ما » بين الإعمال والإهمال .

٢ - زيادة « الباء » في خبرما.

٣ - « إن » النافية .

٤ - « لا » النافية للواحد .

المبحث الثاني : الأحرف المشبهة بالفعل .

١ - لعل الجر ونصب الجزأين بها .

٢ - " لا " النافية للجنس .

المبحث الثالث : من الأفعال النواسخ " قال " إعمالها إعمال ظن .

ثانيا - الأحرف المختصة بالجملة الفعلية :

" إن " الناصبة للفعل المضارع الجزم بها لغة .

أولاً - نواسخ الجملة الإسمية :

المبحث الأول : الأحرف المشبهة بـ« ليس »

١ - " ما " بين الإعمال والإهمال :

٢ - زيادة الباء في خبر« ما » .

أعمل الحجازيون " ما " النافيه إذا دخلت على الجملة الإسمية عمل "ليس" فيرفعون بها الإسم وينصبون الخبر نحو قوله تعالى﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾(١) ولإعمالها عندهم شروط هي :

أن يتقدم اسمها على خبرها وأن لا يقترن خبرها بـ" إلا " ، ولا تقترن بـ"إن" الزائدة ، وبلغة الحجازيين ورد القرآن . أما التميميون فلا يعملون " ما " فيما بعدها.

يقول أبو حيان عند تفسيره قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾. (وانتصاب) "بشراً" على لغة الحجازيين ولذا جاء ﴿ ما هنَّ أمَّهاتِهم ﴾ و ﴿وما منْكُم مِنْ أحدٍ عنه حاجزين ﴾.

ولغة تميم الرفع ، قال أبو حيان قال ابن عطية : " ولم يقرأ به " ، وقال الزمخشري : "من قرأ على سليقته من بني تميم قرأ " بشر " بالرفع وهي قراءة ابن مسعود " ، وقال : " وإعمال " ما " عمل "ليس" هي اللغة القدمى وبها ورد القرآن "(٢).

والفراء والكسائي ذكرا أن الرفع لغة نجد ، والكسائي ذُكر عنه أنه قال: النصب لغة تهامة أيضاً(٣).

وزاد ابن هشام لغة نجد وتهامة فقال : " فإذا أدخلت على الجملة

---

(١) يوسف :٣١. انظر الكتاب لسيبويه :٥٧/١ تحقيق : عبد السلام هارون، وانظر : مجالس ثعلب : ٥٩٦/٢ .

(٢) البحر : ٣٠٤/٥ .

(٣) الإرتشاف : ١٠٣/٢.

الإسمية أعملها الحجازيون والتهاميون والنجديون عمل " ليس " بشروط معروفة نحو : ﴿ ما هذا بشراً ﴾ و ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾(١) "(٢).

أما الجوهري فأنكر أن يكون منصوباً عند نجد(٣).

وقد علل سيبويه لإعمالها عند الحجازيين وإهمالها عند بني تميم فقال : " وذلك الحرف " ما " نقول : ما عبدالله أخاك ، ما زيد منطلقاً . وأما أهل الحجاز فيشبهونها بـ " ليس " كان معناها كمعناها ، ومثل ذلك قوله عز وجل ﴿ ماهذا بشراً ﴾ وأما بنو تميم فيجرونها مجرى " أمّا " و " هَلْ " ، أي لا يعملونها في شيء وهو القياس ، لأنه ليس بفعل ، وليس " ما " كـ " ليس " ولا يكون فيها إضمار "(٤).

وقال : " ومثل قوله عز وجل : ﴿ ما هذا بشراً ﴾ ، وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف " (٥).

وذكر ابن يعيش : " أن " ما " حرف نفي قياسه ألا يعمل لعدم إختصاصه لأنه يدخل على الأسماء والأفعال نقول : ما قام زيدٌ ، كما نقول : ما زيدٌ قائم ، فيليه الإسم والفعل ، غير أن أهل الحجاز يشبهونها بـ " ليس " فيرفعون بها الإسم وينصبون بها الخبر ، كما يفعل بـ " ليس " ، كذلك نقول : ما زيدٌ منطلقاً ، وما أخوك خارجاً ؛ فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد

---

(١) المجادلة : ٢.

(٢) مغني اللبيب : ٣٢٠/١ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢٢٨/٢ ، ومعاني القرآن للفراء : ٤٢/٢.

(٣) معجم الصحاح ٥٧/٢ .

(٤) الكتاب : ٥٧/١ – ٥٩ ، تحقيق : عبد السلام هارون .

(٥) نفس المرجع والصفحة . وانظر الخصائص :١٢٥/١، ٢٦٠/٢ ، الانصاف ص ١٠٧ – ١١١ ، وأمالي الشجري : ٢٢٨/٢ – ٢٢٩ .

الكتاب العزيز ، قال تعالى :﴿ ما هذا بشراً﴾ وقال : ﴿وما هن أمهاتهم ﴾ وأما بنوتميم فإنهم لا يعملونها ويجرون فيها القياس ويجعلونها بمنزلة " هل " و "الهمزة" ونحوهما مما لا عمل له لعدم الاختصاص على ما تقدم "(١)

ويلاحظ أن ما ذهب إليه سيبويه من القول بقياسية " ما " التميمية هو عدم الاختصاص فهي تدخل على الإسم والفعل فهي عنده مثل " أما " و " هل" و "همزة الاستفهام " وغيرها من الحروف غير المختصة،أما الحجازية فقياسها عنده أنها أشبهت " ليس " في المعنى فهي للنفي نفي الحال ، وزاد المبرد فقال : " تقول : ما زيدٌ قائماً ، وما هذا أخاك ، كذلك يفعل أهل الحجاز ، أنهم رأوها في معنى " ليس " تقع مُبتدأة ، وتنفي ما يكون في الحال ، وما لم يقع فلما خلصتْ في معنى " ليس " دلّتْ على ما تدلُ عليه ، ولم يكن بين نفيهما فصل البتة حتّى صارتْ كلُّ واحدة تُغني عن الأخرى أجروها مجراها"(٢).

فسيبويه يرى أن لغة تميم في إهمال " ما " جاء ت على القياس قال: "فأما بنو تميم فيجرونه مجرى " أما" و"هل" أي لا يعملونها في شيء وذلك هو القياس"(٣)

ووافقه في ذلك كثير من النحاة ، فالفراء يرى أن رفع خبر " ما " أقوى الوجهين في العربية وذكر شاهداً قول الشاعر :

لشتان ما أنوي وينوي بنو أبي ... جميعاً فما هذان مستويان

---

(١) بتصرف شرح المفصل لابن يعيش : ١٠٨/١ ، ١٠٩.

(٢) المقتضب : ١٨٨/٤ تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة وانظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢٠٧/١.

(٣) الكتاب : ٥٧/١ .

وقول آخر :

ويـزعم حِسيْلٌ أنه فَرْعَ قومهِ   وما أنت فرع يا حُسيل ولا أصلُ(١)

ويذهب ابن جني إلى أن " ما " الحجازية وإن كانت أقل قياساً إلا أنها أكثر استعمالاً وعليه فالذي يتبع كلام العرب ينبغي له أن يصير إلى ما كثر استعماله ، لا إلى ما قوي قياسه(٢) ، ويرى أن اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين يجب عدم رد إحداهما بالأخرى لأن لكل واحدة منهما مذهباً يقبله القياس وإنما يفاضل بينهما فترجح إحداهما على الأخرى ، يقول : " اعلم أن سعة القياس يبيح لهم ذلك ولاتحظر عليهم ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال " ما " يقبلها القياس ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أميل لها ، وأشد أنساً بها فأما رد إحداهما بالأخرى فلا . أو لا ترى إلى قول النبي ﷺ : (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف)(٣).

وهناك رأي يقول بأن رفع خبر " ما " لم يقرأ به ، ويرد أبو حيان ذلك بقول الزمخشري أن قراءة الرفع قراءة ابن مسعود(٤). وعن المفضل عن عاصم

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٢/٤٢ ، ٤٣ .
والشاهد الأول نسبه النحاة للفرزدق (وليس في ديوانه) والثاني من شواهد الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٦٩٤ وشرح شواهد المغني : ١/١١١ .

(٢) انظر الخصائص : ١/١٦٧ .

(٣) الخصائص : ٢/١٠.

(٤) البحر : ٥/٣٠٤.

بالرفع أيضاً.

ويستنتج أحد الباحثين(١) أن إهمال " ما " هي لغة هذلية فيقول : " ومن مظاهر الخلاف بين الرفع وغيره في بعض الألفاظ ما ذكروه من أن لهجة الحجازيين إعمال " ما " النافية عمل " ليس " نحو : ﴿ما هذا بشراً﴾ و ﴿ ماهنّ أمهاتهم﴾ ، وأن لغة تميم إهمالها ، ورفع الخبر الذي ينصبه الحجازيون بعدها ، وقد ذكروا بعد هذا أنّ ابن مسعود قرأ بلهجة التميميين " ما هذا بشر " وأن عاصماً نقل عنه : "ما هن أمهاتُهمُ " بالرفع أيضاً ، وعلاقة عاصم بابن مسعود لا تنكر ، وإذا كانت هذه قراءة ابن مسعود فما صلته بالتميميين ؟ ولماذا يقرأ بلهجتهم ، وهو حجازي هذلي ؟ انه – في أغلب الظن – لا يفعل هذا إلا لأن هذه لغة قومه ولكن اللغويين وقد سيطرت عليهم غالباً فكرة المقابلة بين الحجازية والتميمية الهاهم تعميم الأحكام بهذه الصورة عن الدقة في تتبع لهجات القبائل حتى يخلصوا من هذا التعميم إلى حكم سليم . وكيف يذكرون أن هذه قراءة ابن مسعود ، ثم لا ينبههم هذا إلى أن هذه ربما كانت لهجة قومه ، ويكتفون بالقول بأن ابن مسعود قرأ بلغة تميم ".

والحقيقة أنه جانب الصواب في ظنه ؛ ذلك لأن القراءة كما هو معروف وثابت سنة متبعة تعتمد على الرواية والسند الصحيح عن الرسول ﷺ ، والقراء من الصحابة ضابطين لرواية القرآن دقيقين في السماع والنقل عن رسول الله ، ولأن القراء أهل نقل ورواية نجد أنهم أحياناً يخالفون ما ثبت في بيئاتهم ، إتباعاً لما روي عن شيوخهم الذين قرؤوا عليهم ، فهذا ابن كثير مكي حجازي قرأ بتحقيق الهمز مخالفاً بذلك بيئته ومتبعاً للرواية عن أئمته ، وكذلك نافع وأبو جعفر قرءآ بتسهيل الهمز ولكن ليس ذلك لأنهما يمثلان بيئتهما الحجازية بل لأن التسهيل رواية عن شيوخهما ونقلاً عن أئمتهما بدليل أن ابن كثير حجازي ويهمز...(٢).

---

(١) من لغات العرب ، لهجة هذيل ، د. عبد الجواد الطيب ، رسالة دكتوراه ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٢) ينظر بحث " في الرواية والقياس بين القراء والنحاة "، د. عبد الفتاح شلبي ، ص ٨٥–٨٦ .

وقد ذكر مثل ذلك باحث آخر حيث علق على ما ذكره سيبويه من أن التميميين ينطقون برفع خبر " ما " إلا من عرف كيف هي في المصحف قائلاً : " ويبدو لنا أن الأمر لم يكن مجرد جهل بالقراءة فقد روى أن ابن مسعود وهو هذليّ، قد قرأ بالرفع أيضاً في الآية الأولى وهي قوله : ﴿ ما هذا بشراً ﴾ أما في الآية الثانية وهي قوله تعالى :﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ فقد قرأ عاصم بالرفع كذلك "(١)

ويفهم من حديثه أنه قد توهم ما توهمه الدكتور عبد الجواد الطيب من أن من الحجازيين من يرفع خبر " ما " وهم هذيل .

٢ - زيادة الباء في خبر « ما » :

بقي أن نذكر ردّ أبي حيان على الزمخشري في مسألة زيادة الباء في خبر « ما » حيث قال - أي الزمخشري - : " وإعمال « ما » عمل ليس هي اللغة الحجازية القدمى وبها ورد القرآن "(٢) .

يقول أبو حيان : " وإنما قال القدمى لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء فتقول : ما زيدٌ بقائم ؛ وعليه أكثر ما جاء في القرآن ، وأما نصب الخبر فمن لغة الحجاز القديمة حتى أن النحويين لم يجدوا شاهداً على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر :

وأنا النذير بحرةٍ سودةٍ ... تصل الجيوش إليكم أقوادَها

أبناؤها متكنِّفون أباهُمُ ... حَنِقُوا الصدور وما هُمُ أَوْلادَها(٣)

قال الفراء : " وهو سامع لغة ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء ، قال الزمخشري اللغة القدمى الحجازية، فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها"(٤).

---

(١) انظر اللهجات العربية الغربية القديمة ، شايم رابين ، ترجمة د. عبد الرحمن أيوب ، ص ٣٣.

(٢) البحر : ٥/٣٠٥.

(٣) البيت لم يعرف له قائل ، وقيل للفرزدق وليس في ديوانه .

(٤) البحر : ٥/٣٠٤.

وأضاف عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾(١) قائلاً : " الضمير من قوله وما هو عائد على أحدهم وهو اسم "ما" ويمزحزحه خبر " ما " فهو في موضع نصب وذلك على لغة أهل الحجاز ، وعلى ذلك أن تحمل ما ورد في القرآن من ذلك " (٢) ، يقول الفراء : ﴿ما هذا بشراً ﴾، لأن الباء قد استعملت فيه فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء فلما حذفوها ، أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك ، ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا وقوله :﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء ، فإذا أسقطوها رفعوا وهذا هو أقوى الوجهين في العربية أنشدني بعضهم :

لشتان ما أنوي وينوي بنو أبي جميعاً فما هـذان مسـتويان

وأنشدني :

ركاب حسيل أشهر العين بدن وناقة عمرو ما يحـل لها رحل

تمنّوا لي الموت الذي يشعب الفتى وكلُّ فـتى والموتُ يلتـقيان

ويزعم حسيل أنه فرع قومـه وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل"(٣)

وقد ردّ أبو حيان على الزمخشري حين ذهب إلى أن زيادة الباء في خبر " ما " مختص باللغة الحجازية فقال : " قرأ الجمهور " أمهاتهم " بالنصب على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود" بأمهاتهم " بزيادة الباء ، قال الزمخشري في لغة من ينصب يعني أنه لا تزاد الباء في لغة تميم ، وهذا ليس بشيء ، وقد رُدّ ذلك على الزمخشري وزيادة الباء في مثل : ما زيد

(١) البقرة : ٩٦.

(٢) البحر : ٣١٥/١.

(٣) معاني القرآن : ٤٢/٢ ، ٤٣ ، ١٣٩/٣.

بقائم ، كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك أبا عليّ الفارسي رحمه الله"(١).

وفي موضع آخر من البحر قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) : " قال ابن عطية و " بغافل " في موضع نصب خبر "ما" لأنها الحجازية يقوي ذلك دخول الباء في الخبر وإن كانت قد تجيء شاذة مع التميمية .. وهذا الذي ذهب إليه أبو محمد بن عطية من أن الباء مع التميمية قد تجئ شاذة لم يذهب إليه نحوي فيما علمناه بل القائلون قائلان قائل بأن التميمية لا تدخل الباء في خبر المبتدأ وهو مذهب أبي علي الفارسي في أحد قوليه وتبعه الزمخشري وقائل بأنه يجوز أن يجر بالباء وهو الصحيح . وقال الفرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه

وأشعار بني تميم تتضمن جر الخبر بالباء كثيراً "(٣).

وقال : " ولا تخص زيادة الباء باللغة الحجازية بل تزاد في لغة تميم خلافاً لمن منع ذلك "(٤).

وقال ابن يعيش : " وقوله لا يصح دخول الباء إلا على لغة أهل الحجاز لأنك لا تقول : زيد بقائم ، يريد أن ما بعد "ما "التميمية مبتدأ وخبر والباء لا تدخل في خبر المبتدأ وهذا فيه إشارة إلى مذهب الكوفيين وليس بسديد وذلك لأن الباء إن كان أصل دخولها على "ليس" ، و "ما" محمولة عليها لاشتراكهما في النفي

---

(١) البحر : ٢٣٢/٨ ، وانظر : الكتاب : ٩٨/١ ، و معاني القرآن للفراء ٤٢/٢ – ٤٣ ، ١٣٩/٣ ذكر أن الرفع بعد إسقاط الباء لغة نجد .

(٢) البقرة : ١٤٤ .

(٣) البحر : ٢٦٧/١ ، النهر الماد من البحر نفس الصفحة.

(٤) البحر : ٥٥/١ ، وانظر الإرتشاف : ٥٧٢/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٤٢/٢-٤٣ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ : ٣٠٩/١.

فلا فرق بين الحجازية والتميمية في ذلك "(١).

وبعد عرض آراء النحاة حول إعمال " ما " وإهمالها وترجيح أيهما أقوى قياساً والرد على القائلين بإختصاص زيادة الباء في خبر الحجازية ، ومن قال أن إهمال " ما " لغة هذلية نخلص إلى القول بأن في قول الزمخشري :"وإعمال " ما " عمل " ليس " اللغة الحجازية القدمى وبها ورد القرآن " ما يشعر بحدوث تغيير في بناء الجملة الاسمية المنفية بـ " ما " وهذا التغيير ظهر وانتشر في البيئة الحجازية بشكل أوسع ويكمن هذا في زيادة الباء في خبر " ما " وقد أشار إلى ذلك أبو حيان حيث قال : " لأن الكثير في لغة الحجاز إنما جر الخبر بالباء فنقول : " ما زيد بقائم " ، وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر من لغة الحجاز القديمة حتى أن النحويين لم يجدوا شاهداً على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر :

وأنا النذير بحرة مسودة　　　تصل الجيوش اليكم أقوادها

أبناؤها متكنفون أباهم　　　حنقو الصدور ما ماهم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء .."(٢)

وكما هو معروف عن اللغة كظاهرة اجتماعية ترتبط بالمجتمع تتقدم بتقدمه وتتأخر بتأخره ويحدث فيها التغيير من عصر إلى عصر حتى تصبح قادرة على مواكبة المجتمع وتلبية حاجاته .

---

(١) شرح المفصل : ١١٤/٢ ، وانظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٢٥٩/١.

(٢) البحر : ٣٠٤/٥ .

لذا من المسلم به أن يحدث للغة العربية ما حدث لغيرها من اللغات .

والنتيجة التي يمكن أن ننتهي إليها أن : ظاهرة إعمال " ما " عند الحجازيين وإهمالها عند التميميين وزيادة الباء في خبرها الذي أكثر ما يكون في لغة الحجاز التي ورد القرآن به كثيراً ترجح أن تكون " ما " الحجازية أحدث عهداً من " ما " التميمية يؤكد ، هذا أن زيادة الباء تعتبر طوراً جديداً في بناء الجملة المنفية بـ " ما " ويلحظ إنتشاره في كثير من اللغات العربية وخاصة لغة البادية إذ لا يكادون ينطقون إلا بالباء ، وبذلك يمكننا أن نعتبر أن تركيب الجملة الإسمية التي تهمل "ما" حيث يكون المبتدأ والخبر بعدها مرفوعين وينسب هذا التركيب إلى تميم من سمات لغات البادية وتميم قبيلة بدوية .

أن إعمال "ما" ونصب الخبر يمثل لغة الحجاز القدمى كما نص أبوحيان.

أن إدخال الباء في خبر "ما" وهو الأكثر انتشاراً في لغة الحجاز خاصة أحدث عهداً من خلوه من الباء وأن كل هذه التراكيب صحيحة ومقبوله لغوياً لأنها جرت على سنن العرب الفصحاء ولغاتهم ، يقول ابن جني في ذلك : " كيف تصرّفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات مصيب غير مخطئ ، وإن كان غيرُ ما جاء به خيراً منه "(١).

هذا إذا تساوت الظواهر اللغوية في الاستعمال ، أما أن تقل إحداهما وتكثر الأخرى فلابن جني رأي يقول :" وأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأخرى جداً ، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية "(٢).

---

(١) الخصائص : ١٢/٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

بقي أن أشير إلى أن النحاة وإن أجمعوا على أن من شروط إعمال "ما" ألا يتقدم الخبر على الاسم(١) ، إلا أنه سمع نصب الخبر مع تقدمه على الإسم يقول أبو حيان في قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (٢): " وعليك " في موضع الخبر لما ان كانت حجازية وأجزنا توسط خبرها إذا كانت ظرفاً أو مجروراً وفي موضع خبر المبتدإ إن لم نجز ذلك أو اعتقدنا أن ما تميمية "(٣).

وقال : ذكر لنصب الخبر شروط في المشهور أحدها تأخير الخبر فإن تقدم ارتفع نحو : ما قائم زيد . وذهب الفراء إلى أنه يجوز نصبه فنقول : ما قائماً زيد (٤) وعنه ،وعن الكسائي فيما نقل ابن عصفور لا يجوز النصب . وقال الجرمي : هي لغة(٥) ، وحكى : ما مسيئاً ، فإن قدمت الخبر منصوباً وإن دخلت إلا على الإسم فقلت : ما قائماً إلا زيد ، أجاز ذلك الأخفش ، ومنعه البصريون ..(٦)".

فالنصب وإن كان قليلاً مع تقدم الخبر كما ذكر الفراء : " ولم يقو النصب لقلة هذا ..."(٧)

أو نادراً كما ذكر السيوطي(٨) فقال : " مع تقدمه على اسمه وهو

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه : ٥٩/١ ، الإرتشاف : ١٠٣/٢.
(٢) الأنعام : ٥٢ .
(٣) البحر : ١٣٨/٤ وانظر الإرتشاف : ١٠٣/٢.
(٤) انظر الهمع : ١٢٤/١.
(٥) نفس المرجع والصفحة قال " لغية ".
(٦) الإرتشاف : ١٠٣/٢ ، وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية ٢٥٩/١ ، وشرح الأشموني ٢٥٩/١ . .
(٧) معاني القرآن للفراء : ٤٤/٢.
(٨) شرح شواهد المغني ١١١/١.

نادر..." إلا أنه مسموع عن العرب .

وقد ورد على ذلك شواهد من أشعارهم من ذلك قول :

أما والله أن لو كنت حراً وما بالحر أنت ولا العتيق(١)

وقول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذْ هم قريشٌ وإذْ ما مثلَهم بشرٌ

فالشاهدان قد تقدم فيهما الخبر على الإسم . فالخبر في الشاهد الأول هو " وبالحر " تقدم على الإسم الضمير " أنت " ، وفي الشاهد الثاني " مثلهم " هو الخبر متقدم على الإسم " بشرٌ ".

---

(١) ذكر الفراء في معانيه هذا الشاهد أنشدته إياه امرأة من غنى ، المعاني ٢/٤٤ ،

انظر : الخزانة : ٢/١٣٣.

٣ - " إن النافية "

هي حرف يفيد النفي تعمل عمل " ليس " ، وقد اختلف النحاة في إعمالها وأكثرهم يهملها ، ومن أعملها اشترط لها شروطاً :

أن يكون معناها النفي وألا يتقدم خبرها على اسمها، وألا ينتقض النفي ب " إلا " ، يقول أبو حيـــــان عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١) : " قرأ سعيد بن جبير "ان " خفيفة ، و"عباداً أمثالكم " بنصب الدال واللام ، واتفق المفسرون على تخريج هذه القراءة على أن " إنْ " هي النافية أعملت عمل " ما " الحجازية فرفعت الإسم ونصبت الخبر ، فـ " عباداً أمثالكم " خبر منصوب ... وإعمال "ان" إعمال "ما" الحجازية فيه خلاف أجاز ذلك الكسائي وأكثر الكوفيين ، ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ، ومنع من إعماله الفراء ، وأكثر البصريين ، واختلف النقل عن سيبويه والمبرد . والصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك في النثر والنظم ... وقال النحاس : " هذه قراءة لا ينبغي أن يقرأ بها لثلاث جهات ، إحداها أنها مخالفة للسواد ، والثانية إن سيبويه يختار الرفع في خبر إن إذا كانت بمعنى "ما " فيقول : إنْ زيد منطلق ، لأن عمل " ما " ضعيف و"إنْ " بمعناها فهي أضعف منها ، والثالثة ان الكسائي رأى انها في كلام العرب لا تكون بمعنى " ما "إلا أن يكون بعدها إيجاب "(٢)

وأضاف : " ونقل السهيلي ان (س) أجاز إعمالها وإن المبرد منع ذلك ونقل النحاس عكس هذا قال (س) والفراء يرفعان والكسائي ينصب وهو مذهب

---

(١) الأعراف : ١٩٤.

(٢) البحر : ٤٤٤/٤، وانظر : المغني ١٨/١، والنهر الماد: ٤٤٢/٤، الدر اللقيط ٤٤٤/٤.

أبي العباس ، وقال ابن طاهر : نص (س) على إعمالها عمل " ليس " وأكثر أصحابنا تذهب إلى أنها لا تعمل ، وأن قوله :

(إن هو مستولياً على أحد)

ضرورة ، والصحيح جواز إعمالها وقد ثبت ذلك لغة لأهل العالية نثراً ونظماً ، ومن النثر (ان ذلك نافعك لا ضارك) وإن احد خيراً من أحد إلا بالعافية"(١).

كما ذكر أبو حيان مثل ذلك عند تفسيره لآية :(إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)(٢) يقول : " "إنْ" هنا هي النافية بمعنى "ما" و "هم" مرفوع بالإبتداء ، و "إلا يظنون" في موضع الخبر وهو من الاستثناء المفرّغ ، وإذا كانت "ان" نافية فدخلت على المبتدأ والخبر لم يعمل عمل "ما" الحجازية ، وقد أجاز ذلك بعضهم ، ومن أجاز شرط نفي الخبر وتأخيره ، والصحيح انه لا يجوز لأنه لم يحفظ من ذلك إلا بيت نادر وهو :

ان هو مستولياً على أحد   إلا على أضعف المجانين

وقد نسب السهيلي وغيره إلى سيبويه جواز إعمالها إعمال "ما" ، وليس في كتابه نص على ذلك .."(٣).

مما سبق نجد النحاة انقسموا إلى فريقين حيث ذهب أكثر البصريين

---

(١) الإرتشاف : ٢/١٦٤ .

(٢) الجاثية : ٢٤ .

(٣) البحر : ١/٢٧٦ وانظر شرح ابن عقيل على الألفية : ١/٣١٧ وقائل البيت مجهول ، والشاهد فيه أعمل "إن" عمل "ليس" اسمها الضمير المتصل في محل رفع وخبرها منصوب . قوله : "مستولياً" ، انظر المقتضب للمبرد ٤٩ – ٥٠ ، الكتاب لسيبويه :١/٢٨٣ ، والشذور لابن هشام ص ٢٧٨ .

ومعهم من الكوفيين الفراء إلى عدم إعمال " إنْ " ، ولأبي حيان رأيه في قلة الإعمال حيث أنه لم يحفظ من ذلك إلا بيت نادر وهو :

(وإن هو مستولياً على أحد ...)

واعتبروه ضرورة(١).

أما سيبويه فقد اختلف النقل عنه كما ذكر أبو حيان فنقل السهيلي الإجازة عن سيبويه والمنع عن المبرد والنحاس ذكر عكس ذلك(٢).

أما الكسائي وأكثر الكوفيين وأبو علي الفارسي وابن جنّي ذهبوا إلى جواز إعمالها عمل " ما " فروى الكسائي أنه سمع إعرابياً يقول : " إنَا قائماً ، فأنكرها عليه وظن أنها إنّ المشددة وقعت على (قائم) قال : فاستثبّتّه ، فإذا هو يريد إنْ أنا قائماً فترك الهمزة وأدغم(٣).

ومن قال بإعمالها عمل " ليس " احتج بالسماع فاستشهد بالقراءات والشعر وأقوال العرب .

يقول أبو حيان : " قرأ ابن جبير(٤) ان خفيفة (عباداً أمثالكم) بنصب الدال واللام ، واتفق المفسرون على تخريج هذه القراءة على أن " إن " هي النافية أعملت عمل " ما " الحجازية ..."(٥)

ومن المروي من الشعر قول :

---

(١) انظر الإرتشاف : ٦٤/٢ ، والبحر : ٢٧٦/١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، وانظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤٤٦-٤٤٧.

(٣) الهمع : ١١٦/٢.

(٤) هو سعيد بن جبير الأسدي ، تابعي توفي سنة ٩٥ هـ تقريباً . انظر : المحتسب لابن جني : ٢٧٠/٢ .

(٥) البحر : ٤٤٤/٤.

إن هو مستوليـاً علـى أحد　　　إلا على أضعف المجانـين

وقول الآخر :

إنْ المرء ميتاً بانقضاء حياته　　　ولكنْ بأنْ يبغى عليه فيخذلا(١)

وفي هذين الشاهدين رد على من قال بإهمال " إنْ ".

حيث جاء الضمير في الأول في محل رفع اسم " إن " وخبرها "مستولياً" منصوب ، وفي الثاني اسم " إنْ " لفظة "المرء " وخبرها " ميتاً " . الأول مرفوع والثاني منصوب عملت فيهما عمل " ما " العاملة عمل " ليس " .

ومن أقوال العرب قول " إن أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية " ،و" إن ذلك نافعك لا ضارك " .

فكثرة ورود النصب للخبر في الشعر والنثر يدل بما لا يدع مجالاً للشك أنها تعمل عمل " ما " وقد ثبت ذلك بالسماع لغة لأهل العالية يقول أبو حيان : " والصحيح جواز إعمالها وقد ثبت ذلك لغة لأهل العالية نثراً ونظماً(٢).

كما أن ورود القراءة على هذه اللغة يثبت ذلك وقد ردّ أبو حيان على النحاس حينما قال بأن قراءة ابن جبير لا ينبغي أن يقرأ بها وعلل لذلك بمخالفتها لسواد المصحف والنقل عن سيبويه والكسائي فقال : " وكلام النحاس هذا هو الذي لا ينبغي لأنها قراءة مروية عن تابعي جليل ولها وجه في العربية .

وأما الثلاث الجهات التي ذكرها فلا يقدح شئ منها في هذه القراءة ، أما كونها مخالفة للسواد فهو خلاف يسير لا يضر ولعله كتب المنصوب على

---

(١) هذان الشاهدان لم يعرف لهما قائل وفيهما " إنْ " عملت عمل ليس رفعت الإسم الأول ونصبت الثاني .

(٢) الإرتشاف : ١٦٤/٢ ، وانظر مغني اللبيب : ١٩/١.

لغة ربيعة في الوقف على المنون المنصوب بغير ألف فلا تكون فيه مخالفة للسواد ، وأما ما حكى عن سيبويه فقد اختلف الفهم عن كلام سيبويه في أن وأما ما حكاه عن الكسائي فالنقل عن الكسائي أنه حكى اعمالها وليس بعدها إيجاب . والذي يظهر لي ان هذا التخريج الذي خرجوه من ان انْ للنفي ليس بصحيح لأن قراءة الجمهور تدل على إثبات كون الأصنام عباداً أمثال عابديها ، وهذا التخريج يدل على نفي ذلك فيؤدي إلى عدم مطابقة أحد الخبرين للآخر وهو لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى .."(١).

وخلاصة القول : أن " إنْ " النافية تعمل عمل " ما " العاملة عمل "ليس" لأنها تدل على النفي مثل " ما " وقد ثبت ذلك في لغة العرب ، فالسماع يؤيد ما رآه أبو حيان من جواز إعمالها ورده على من رد قراءة ابن جبير بنصب " عباداً " خبراً لأن في قوله ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ يرى جواز ذلك وإن قل وندر فعنده كل لغة وردت مسموعة عن العرب صحيحة وإن قلت وضعفت ، ولكنه لا يبنى عليه قاعدة ، لذا قال بعدم الجواز حين ذكر قوله " إن هو مستوليا على أحد ..." حيث لم يحفظ من كلام العرب على هذه اللغة إلا هذا البيت وهو شاهد نادر ولعل في ذلك توضيحاً لما رآه الدكتور عبدالله الحسيني(٢) من أن أبا حيان اختلف رأيه لما ذكره في جواز الإعمال وعدم الجواز . وقد أنصف أبو حيان حين قال : " والصحيح جواز إعمالها وقد ثبت ذلك لغة وقد خرجت هذه القراءة من شرح التسهيل على وجه غير ما ذكروه وهو أن إن هي المخففة من الثقيلة وأعملها عمل المشددة . وقد ثبت أن إن المخففة يجوز إعمالها عمل المشددة في غير المضمر بالقراءة المتواترة وان كلها لما وينقل سيبويه عن العرب لكنه نصب في هذه القراءة

---

(١) البحر : ٤/٤٤٤ ، والنهر الماد والدر اللقيط : ٤/٤٤٢-٤٤٣.

(٢) انظر النحو والصرف بين الحجازيين والتميميين ص ٦١

خبرها نصب عمر بن أبي ربيعة المخزومي في قوله :

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن

خطاك خفافا إن حرسنا أسود "(١)،

وقول : " والصحيح أن إعمالها لغة ..."(٢).

فقد جوز الإعمال لسماعه عن العرب وقال بقلته أو ندرته لقلة شيوع ذلك في لغة عامة العرب .

والجدير بالذكر أن أبا حيان أورد هذه اللغة معزوة في الإرتشاف دون البحر لأهل العالية(٣).

وأهل العالية كما حدد أكثرهم في البيئة الحجازية .

---

(١) البحر : ٤/٤٤٢.

(٢) الإرتشاف : ٢/١٦٤.

(٣) يقصد بها أعالي نجد . قيل هو الإقليم المعروف من الحجاز وما جاوره من إقليم نجد .

٣ - " لا " النافية للواحد العاملة عمل " ليس "

تعمل " لا " عمل " ما " العاملة عمل ليس بشروط هي كما ذكرها النحاة:

أن يكون اسمها وخبرها نكرتين .

يقول ابن مالك(١): " في النكرات أعملتْ كليس " لا " " .

وقال (٢): " وأعْمَلُوا في النكراتِ " لا " كـ " ما "

مثالُهُ : (لا نوارتياب مسلما)

ألا يتقدم خبرها على اسمها وألا ينتقض نفي الخبر بـ " إلا ".

وجاز إعمالها واسمها معرفة كقول النابغة الجعدي :

وحلت سواد القلب لا أنا باغياً

سواها ولا عن حبها متراخيا (٣)

يقول أبو حيان : (وتعمل " لا " عمل " ما " وعملها قليل بخلاف " إنْ " ، ودعوى ابن مالك العكس باطلة ، وزعم الأخفش والمبرد أن " لا " تعمل عمل ليس ، وزعما أن قول سيبويه : " وإن شئت قلت لا أحدٌ أفضل منك في قوله مَنْ جعلها كليس، إنما قاله قياساً منه ، ولذلك ساغ لهما خلافه ، وذهب بعضهم إلى أنها أجريت مجرى ليس في رفع الاسم خاصة لا في نصب الخبر وهو مذهب الزّجاج قال : وهي مع اسمها في موضع رفع بالابتداء ، وزعم بعضهم أنها لم يحفظ

---

(١) انظر شرح ابن عقيل على الألفية : ٣١١/١ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٤٣٩/١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة ، من شواهد ابن عقيل :٣١٥/١، وشرح الأشموني على الألفية: ٢٦٣/١.

النصب في خبرها ملفوظاً به ، والصحيح سماع ذلك لكنه في غاية الشذوذ والقلة ومنه :

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقيا (١)

ونصرتك إذ لا صاحبُ غيرَ خاذل (٢)

والنقل عن بني تميم أنهم لا يعملونها إعمال ليس ، وأكثر من أجاز إعمالها اشتراط تنكير معموليها وأن لا يتقدم خبرها على اسمها، وأن لا ينتقض النفي، وأن لا يفصل بينها وبين مرفوعها ، وفي البسيط الظاهر أن الفصل يبطل عملها، وأجاز ابن جنّي إعمالها في المعرفة ، وجاز ذلك في قول النابغة الجعدي :

وحلتْ سواد القلب لا أنا باغيا

و : ولا الدارُ داراً ولا الجيران جيرانا" (٣)

وقال : " لم يصرح أحد بأن إعمال لا عمل ليس بالنسبة إلى لغة مخصوصة إلا صاحب المغرب ناصر المطرزي فإنه قال فيه : بنو تميم يهملونها ، وغيرهم يعملها ، وفي كلام الزمخشري : أهل الحجاز يعملونهما دون طيئ . وفي البسيط : القياس عند تميم عدم إعمالها ويحتمل أن يكونوا وافقوا أهل الحجاز على إعمالها"(٤) .

ويقول ابن عقيل : " وأمّا " لا " فمذهب الحجازيين إعمالها عمل "ليس" ، ومذهب تميم إهمالها "(٥) .

---

(١) لم ينسب لقائل معين .

(٢) وهذا من الشواهد الذي لم يعرف له قائل .

(٣) الإرتشاف : ١١٠/٢.

(٤)(٥) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك : ٣١٢/١.

إذاً اختلاف النحاة في الإعمال وعدمه يتردد بين القياس والسماع ، فالأخفش والمبرد عندهما أن " لا " مقيسة على ليس في الإعمال ، يقول المبرد :"وقد تجعل " لا " بمنزلة " ليس " لاجتماعهما في المعنى ، ولا تعمل إلاّ في النكرة فنقول : لا رجلٌ أفضلَ منك "(١).

وقول ابن مالك (٢) : " إلحاق " لا " بـ " ليس " في العمل عند مَنْ قال به وهم البصريون مخصوص بالنكرات ... " دليل على أنها مقيسة .

وقال أبو حيان : " وذهب بعضهم أنها أجريت مجرى ليس في رفع الإسم خاصة ، لا في نصب الخبر وهو مذهب الزّجاج قال وهي مع اسمها في موضع رفع بالابتداء ، وزعم بعضهم أنها لم يحفظ النصب في خبرها ملفوظاًبه.."(٣).

وقال : " والأخفش والمبرد أن " لا " تعمل عمل " ليس " ، وزعما أن قول سيبويه " وإن شئت قلت لا أحدٌ أفضل منك في قول من جعلها كليس ، إنما قاله قياسا منه ..."(٤) .

ومن قال بإعمالها عمل " ليس " لأنه مسموع أبو حيان حيث نراه يرد على من قال لم يحفظ النصب في خبرها ملفوظاً به بقوله : " والصحيح سماع ذلك لكنه في غاية الشذوذ والقلة ومنه :

تعزّ فلا شيءٌ على الأرض باقيا

ونصرتك إذ لا صاحبٌ غير خاذل.."(٥)

---

(١) المقتضب ٣٨٢/٤ تحقيق : عبد الخالق عضيمة ، وانظر الكتاب : ٣٥٧/١ والارتشاف:١١٠/٢.

(٢) انظر الكافية الشافية :٤٤٠/١ .

(٣) الإرتشاف : ١١٠/٢.

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) نفس المرجع والصفحة.

وقد أثبت ذلك لغة للعرب حيث ذكر فقال " لم يصرح أحد بأن إعمال "لا" عمل "ليس" بالنسبة إلى لغة مخصوصة إلا صاحب المغرب ناصر المطرزي ، فإنه قال فيه : بنو تميم يهملونها وغيرهم يعملها ، وفي كلام الزمخشري : أهل الحجاز يعملونها دون طيئ ، وفي البسيط : القياس عند تميم عدم إعمالها ، ويحتمل أن يكونوا وافقوا أهل الحجاز على إعمالها "(١) .

ويظهر من النصوص السابقة أن الإعمال لغة الحجازيين والإهمال كما هو مصرح به لغة التميميين وقد فهم من التصريح باللغة التميمية في إهمالها " لا " أن الإعمال لنظيرتها اللغة الحجازية كما فهم من قوله : " والقياس عند تميم عدم الإعمال " أنه قد وردت عاملة في لغة تميم .

والذي يظهر لي أن الإعمال قليل كما قال أبو حيان بدليل اشتراط النحاة شروطاً لعملها عند أهل الحجاز(٢) ، فالحجازيون يعملونها لأنها في معنى ليس النافية كما أعملوا " ما " النافية ، وهذا مذهبهم في ما جاء على معنى ليس في النفي من هذه الأحرف .

وبنو تميم مذهبهم الإهمال في هذه الأحرف " ما " وأخواتها .

---

(١) شرح ابن عقيل للألفية ٣١٢/١٠ الحاشية ، والهمع : ١٢٠/٢.

(٢) ينظر الإرتشاف : ١١٠/٢ ، شرح الأشموني : ٢٦٣/١.

المبحث الثاني : من الأحرف الناسخة للمبتدأ والخبر

١ - " لعلّ " الجر بها ونصب الجزأين

لغة عامة العرب إعمال " لعلّ " أعمال بقية الأحرف النواسخ نصب الاسم بها ورفع الخبر وقد وردت " لعل " حرف جر تجر ما بعدها وذلك لغة لقوم من العرب هم عُقيل كما ورد نصب الاسمين بعدها ، يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون﴾(١) : " وحكى الأخفش أن من العرب من يجر بلعل وزعم أبو زيد أن ذلك لغة بني عُقيل "(٢).

وقال :" الجر بلعلّ لغة حكاها أبو عبيدة والأخفش والفراء وأبو زيد وقال إنه لغة عقيل ومن أنكر الجر محجوج بنقل هؤلاء"(٣).

وقال : " هي حرف ترج في المحبوبات وقد توضع في المحذورات ولا تستعمل إلا في الممكن ، لا يقال لعل الشباب ، ولا تكون بمعنى كي خلافاً لقطرب وابن كيسان ، واستفهاماً خلافاً للكوفيين وفيها لغات لم يأت منها في القرآن إلا الفصحى ، ولم يحفظ بعدها نصب الاسمين"(٤).

وقال : " المشهور رفع أخبار هذه الحروف ، وذهب ابن سلام في طبقات الشعراء وجماعة من المتأخرين إلى جواز نصبه ، والكسائي إلى جوازه في ليت وكذا فيما نقل عن الفراء وعنه أيضاً في ليت ولعل وكأن ، وزعم ابن سلام أنها لغة

---

(١) البقرة : ٢١.

(٢) البحر ١/٩٣ وانظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك:٢/٢١١، وشرح المفص لابن يعيش : ٨/٨٥، البحر ١/ ٩٣ .

(٣) الإرتشاف : ٢/١٥٥ ، انظر المغني : ١/ ٣١٧ ،

(٤) البحر : ١/٩٣.

رؤبة وقومه وحكى عن تميم انهم ينصبون بلعلّ وسمع ذلك في خبر أن وكأن ولعل، وكثر في خبر ليت حتى عمل عليه المولدون ، قال ابن المعتز :

مرتْ بنا سحراً طيرٌ فقلتُ لها طُوبَّاك يا ليتني إياك طوبّاك"(١)

وذكر فقال : " وقد ذهب جماعة من النحاة إلى جواز نصب اخبار إن وأخواتها واستدلوا على ذلك بشواهد ظاهرة الدلالة على صحة مذهبهم وتأولها المخالفون ، فهذه القراءة الشاذة تتخرج على هذه اللغة على هذه اللغة أو تتأول على تأويل المخالفين لأهل هذا المذهب وهو أنهم تأولوا المنصوب على إضمار فعل كما قالوا في قوله :

" يا ليت أيام الصبا رواجعا "

ان تقديره " أقبلت رواجعا " ، فكذلك تؤول هذه القراءة على إضمار فعل تقديره : ان الذين تدعون من دون الله تدعون عباداً أمثالكم ، وتكون القراءتان قد توافقتا على معنى واحد وهو الإخبار أنهم عباد ولا تكون تفاوت بينهما "(٢) وذاك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾(٣).

نستخلص من النصوص السابقة أن " لعلّ " حرف جر يجر ما بعدها ، كما أنه ينصب الاسمين بعده وذلك ثابت عن العرب ، فالجر كما ذكر أبو حيان لغة لعُقيل وقد ورد على ذلك شواهد كقول :

لعلّ أبي المغوار منك قريب (٤)

---

(١) الإرتشاف : ٣١/٢ ، وانظر الخزانة : ٢٩٢/٤ ، وانظر المغني : ٢١٧/١ .

(٢) البحر : ٤٤٤/٤ .

(٣) الأعراف : ١٩٤ .

(٤) من شواهد ابن عقيل في شرحه للألفية :٤/٢ ، والمغني : ٣١٧/١ ، والشاهد عجز لبيت صدره: " فقلت : ادع أخرى وأرفع الصوت جهرة " قيل أنه لكعب بن سعد الغنوي في شواهد شرح الأشموني : ٢٠٤/٢ .

وقول :

لَعَلَّ اللهِ فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا   بِشَيءٍ أنَّ أُمَّكُمُ شَرِيمُ (١)

والشاهد من الأول والثاني جر الاسمين " أبي المغوار ولفظ الجلالة الله" بـ " لعلّ " ، والنصب نسب لغة لقوم رؤبة ونسبه بعضهم لتميم عامة(٢).

واستدلوا على ذلك من كلام العرب كقول : " لعل أباك منطلقاً"(٣).

قال ابن هشام :" ... قال بعض أصحاب الفراء : وقد ينصبهما ، وزعم يونس أن ذلك لغة لبعض العرب وحكى " لعل أباك منطلقاً " وتأويله عندنا على إضمار يوجد ، وعند الكسائي على إضمار يكون "(٤).

فالجر بـ " لعلّ " على لغة عُقيل ونصب الاسمين بعدها على لغة بعض بني تميم أتى مخالفاً للمشهور في لغة سائر العرب من حجازيين وتميميين وهو محجوج بنقل أئمة اللغة عن العرب فهو مسموع لا يصح تأويله ولا ردّه فقد يكون نصب الجزأين بـ" لعل " وأخواتها والجر بـ " لعل " يمثل مرحلة لاحقة لمرحلة نصب الاسم ورفع الخبر (٢) .

---

(١) لم يعرف قائله .

(٢) انظر : خزانة الأدب : ٢٩١/٤ ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٧٨/١ . الإرتشاف :٣١/٢.

(٣)،(٤) المغني : ٣١٧/١.

٣ - " لا " النافية للجنس (١)

تعمل " لا " عمل إنّ المشبهة للفعل(٢) فتدخل على الجملة الاسمية وتنصب المبتدأ اسماً لها وترفع الخبر خبراً لها بشرط ألا تتكرر فإن كررت جاز إلغاؤها وجاز إعمالها، وأن يقصد بها خلوص النفي العام، وإلا عملت عمل ليس أو يرتفع ما بعدها على الابتداء، وأن يليها اسمها فإنْ فصل بينهما رفع ولم تعمل ولا تقع بين عامل ومعمول نحو قول : جئت بلا زادٍ، ولا تدخل على معرفة وإنما عملها في النكرات فاسمها وخبرها لا بد أن يكونا نكرتين ، وألا يدخل عليها جار.

ويكون اسمها مفرداً أو مضافاً ومشبه بالمضاف فإذا كان مفرداً بُني على ما ينصب به ، ويعرب إذا أضيف أو أشبه المضاف ، وخبر" لا " قد يحذف وذلك كثير إذا كان معلوماً وإذا لم يعلم وجب إثباته ، يذكر أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣) إختلاف النحاة في حذف خبر " لا " وإثباته ، وفي قوله " لا ريب فيه " فيقول : " والذي نختاره أن الخبر محذوف لأن الخبر في باب " لا " العاملة عمل " إن " إذا علم لم تلفظ به بنو تميم وكثر حذفه عند أهل الحجاز وهو هنا معلوم فأحمله على أحسن الوجوه في الإعراب "(٤).

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾(٥).

---

(١) تسمى لا التبرئة لأنها تبرئ الجنس مما ينسب إليه فهي تدل على نفي الخبر عن جميع أفراد الجنس الواقع بعدها على سبيل التنصيص لا على سبيل الاحتمال . انظر شرح ابن عقيل : ٣٩٣/١ ، وشرح المفصل ١٠٠/١ . وعدة السالك إلى أوضح المسالك ٣/٢ .

(٢) عملت عمل إن لمشابهتها لها في التأكيد فهي - أي إنّ - لتأكيد الإثبات ولا لتأكيد النفي فناظرتها.

(٣) البقرة : ٢ .

(٤) البحر : ٣٧/١ .

(٥) هود : ٤٣ .

يقول أبو حيان : " والظاهر أن خبر " لا عاصم " محذوف لأنه إذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنو تميم وكثر حذفه عند أهل الحجاز"(١). وقال في قوله عز وجل : ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢) :وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل الخبر ... وعليكم أما أن يكون خبراً أو صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لأن معمول المصدر من تمامه ، وأجاز الحوفي أن يكون عليكم في موضع الصفة لتثريب ويكون الخبر اليوم وهو وجه حسن " وقيل عليكم بيان كتلك في قولهم سقيا لك فيتعلق بمحذوف ونصوا على أنه لا يجوز أن يتعلق عليكم بتثريب لأنه كان يعرب فيكون منوناً لأنه يصير من باب المشبه بالمضاف ، ولو قيل : ان الخبر محذوف وعليكم متعلق بمحذوف يدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل في اليوم وتقديره " لا تثريب يثرب عليكم اليوم " كما قدروا في "لا عاصم اليوم من أمر الله يعصم اليوم " لكان وجهاً قوياً لأن خبر " لا " إذا علم كثر حذفه عند أهل الحجاز ولم يلفظ به بنوتميم"(٣). وقال : " ونقلوا أن الخبر بعد " لا " إذا علم كثر حذفه عند الحجازيين ووجب حذفه عند التميميين وإذا كان الخبر كوناً مطلقاً كان معلوماً "(٤).

وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾(٥) وقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾(٦).

وعلى هذا نخلص إلى القول أن في خبر " لا " مذاهب يذهب إليها العرب:

الأول : مذهب أهل الحجاز وهو كثرة حذف الخبر إذا كان معلوماً ودل عليه دليل بمعنى أنه يجوز ذكره ويجوز حذفه ، ولكن الحذف أكثر قال أبو حيان :"أهل الحجاز يظهرون خبر " لا " فيقولون : لا رجل أفضل منك ويحذفونه كثيراً فيقولون : " لا أهل ولا مال ولا بأس . أي لك وعليك "(٧).

---

(١) البحر : ٥/٢٢٧. (٢) يوسف : ٩٢ .
(٣) البحر : ٥/٣٤٣ ، ٣٤٤. (٤) البحر :١/٤٦٤ .
(٥) الشعراء : ٥١ . (٦) سبأ : ٥١ .
(٧) الإرتشاف : ٢/١٦٦. وانظر شرح الكافية الشافية ١/٥٣٥ .

ويكثر حذف الخبر مع " إلا " نحو : " لا إله إلا الله " ونحو : " لا حول ولا قوة إلا بالله ".

الثاني : ومذهب بني تميم وهو التزام الحذف إذا علم وقيل أنهم لا يثبتونه أصلاً(١) . وذكر أن طيئاً شاركت تميماً في التزام الحذف إذا علم الخبر(٢).

يقول ابن مالك في حذف الخبر مطلقاً : " من نسب إلى تميم التزام الحذف مطلقاً فقد غلط ، لأن حذف خبرٍ لا دليل عليه يلزم منه عدم الفائدة والعرب مجمعون على ترك التكلم بما لا فائدة فيه "(٣) ، وقال :" وزعم قومٌ منهم الزمخشري والجزّوليّ : أن بني تميم يحذفون خبر " لا " مطلقاً – على سبيل اللزوم"(٤).

وقد رأى الزمخشري : أن بني تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً وكذا رأي ابن يعيش حيث ذكر أنهم لا يذكرونه البتة إذ إنه عندهم من الأصول المرفوضة(٥).

ولا يفوتني أن أذكر تعليلاً لحذف الخبر كثيراً في لغات الحجاز وتميم

---

(١) البحر : ٣٧/١ ، ٤٦٤ ، ٥ : ٢٢٧ ، ٣٤٤ ، وانظر : شرح المفصل لابن يعيش : ١٧/١ ، وشرح الأشموني : ١٦/٢ ، وشرح الهمع : ٢٠٢/٢ .

(٢) شرح الأشموني : ١٦/٢، وشرح الهمع : ٢٠٣/٢، شرح ابن عقيل : ٤١٣/١، وينظر : أطلس رسالة د. يعقوب يوسف التركستاني ص ١٦١، دكتوراه في لغات طيىء .

(٣) شرح الهمع : ٢٠٣/٢ .

(٤) الكافية شرح الشافية : ٥٢٧/١ ، ٥٢٨ ، تحقيق : د . هريدي .

(٥) شرح المفصل : ١٠٧/١ . وانظر شرح الكافية الشافية ٥٢٧/١ .

ذكره بعض الباحثين قال : " حذف خبر " لا " النافية للجنس نوع من الاختصار النطقي ، يمكن أن نطلق عليه (أختصار جُمْلي " وهو يلائم البيئة الصحراوية ، فالمتكلم قد تكون بينه بين المخاطب مسافة شاسعة ، فلو نطق كل أجزاء الجملة فقد يسمعها المخاطب بغير وضوح ، فيكتفي حينئذ بجزء من الجملة يؤدي الدلالة كاملة .. أما البيئة المستقرة فيندر فيها وجود الحاجز بين المتكلمين وليست هناك بالتالي ضرورة إلى بتر جزء من أجزاء الكلام فشيء طبيعي إذن ألا يكثر حذف خبر " لا " النافية للجنس عند الحجازيين كثرته عند بني تميم "(١).

يضاف إلى ذلك أن جواز إثبات الخبر عند الحجازيين وإن قل قد يمثل مرحلة متطورة عن مرحلة كثرة الحذف ، وبما أن البيئة الحجازية فيها البدوية وفيها المتحضرة ، ومعروف أن التطور في لغات البيئة البدوية يأخذ صوراً عدة في زمن قليل إذا ما قيس بالتطور الذي يحدث في لغات البيئة المتحضرة فتكون هذه القلة في لغة بيئة الحجاز البدوية هي المرحلة اللاحقة لمرحلة كثرة الحذف ، يقول أحد الباحثين : " ويظهر الخبر مع " لا " النافية للجنس في شعر الفرزدق والأخطل وسواهما من شعراء الشرق ، ولكن مثل هذه الحالات تبدو أقل من الحالات التي توجد في الغرب ، ولكن التركيب الذي لا يحتوي على خبر هو الأقدم"(٢).

الثالث : وجوب ذكر الخبر إذا لم يعلم ، أي لم يدل عليه دليل فالإثبات واجب لأن المبتدأ لا بدّ له من خبر و " لا " عاملة في الجملة الإسمية المؤلفة من مبتدأ وخبر ، وهذا الوجوب عند الحجازيين والتميميين وغيرهم على السواء ،

---

(١) لغة تميم . د. ضاحي عبد الباقي ، ص ٥٣٨.

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة : شايم رابين ص ٣٢٢ ، ترجمة د. عبد الرحمن أيوب .

نحو قوله صلى الله عليه وسلم : " لا أحد أغير من الله " وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴾(١).

وقوله عز وجل : ﴿ يَٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾(٢).

والجدير بالذكر أن أبا حيان لم يذكر ان طيئاً توجب حذف الخبر خبر " لا " بل عزا هذا لبني تميم فقط ، وتعليل ذلك في رأيي أن هذه الظاهرة تكثر عند التميميين وقد تكون قليلة عند طيىء فيكون لقلتها لم يذكرها أبو حيان ، ولأن تميماً تمثل القبيلة الكبيرة التي سادت وسط وشرق الجزيرة فأصبحت لغتها علماً اندرجت تحته لغات غالبية القبائل التي تشاركها السكنى والجوار مثل قبائل طيىء، وعلى هذا يكون إغفال أبي حيان ذكر طيىء من قبيل أن تميماً هي القبيلة التي أصبحت لغاتها تمثل لغات شرق ووسط الجزيرة ، كما أن لغة الحجاز تمثل لغات قبائل الحجاز أو أن طيئاً كما ذكرت يقل عندها ذكر الخبر إذ أن حذف الخبر بدأ يأخذ طريقه إلى لغتها بسبب الجوار مع تميم .

---

(١) المائدة : ١٠٩ .

(٢) الأحزاب : ٣ . وانظر شرح الكافية الشافية ٥٣٧/١ ، ٥٣٨ .

" لا جرم "(١) واختلاف معانيها وإعرابها في لغات العرب :

من التراكيب التي اختلفت فيها لغات العرب قول " لا جرم " ذكر أبو حيان معناها ومما رُكبت منه فقال عند تفسيره لقوله عز وجل﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾(٢)، لا جرم مذهب الخليل وسيبويه(٣) أنهما ركبا من لا جرم وبنيا والمعنى حق ومابعده رفع على الفاعلية ، وقال الحوفي : جرم منفي بلا بمعنى حق وهو مبني مع لا في موضع رفع بالابتداء وأنهم في موضع رفع على خبر جرم ، وقال قوم أن جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك : لا رجل ومعناها لا بدّ ولا محالة . وقال الكسائي معناها لا ضدّ ولا منع ، فتكون اسم لا وهي مبنية على الفتح كالقول الذي قبله ، وتكون جرم هنا من معنى القطع ، تقول جرمت أي قطعت . وقال الزجاج لا تركيب بينهما ولا ردّ عليهم . ولما تقدّم من كل ما قبلها مما قالوا أن الأصنام تنفعهم .

وجرم فعل ماضي معناه كسب ، والفاعل مضمر أي كسب هو ، أي فعلهم، وأن ومابعدها في موضع نصب على المفعول به . وجرم القوم : كاسبهم ، وقال الشاعر :

نصبنا رأسه في جذع نخل   بما جرمت يداه وما اعتدينا

وقال آخر :

جريمة ناهض في رأس نيق   ترى لعظام ما جمعت صليبا

ويقال : لا جرم – بالكسر – ، ولا جر – بحذف الميم – ، قال النحاس : وزعم الكسائي أن فيها أربع لغات : لا جرم ، ولا عن ذا جرم ، ولا أن ذا جرم .

---

(١) لا جُرْم : بضم الجيم وسكون الراء تعني الذنب ومثله الجريمة. الصحاح ٥/١٨٨٥ –١٨٨٦ ، مادة " جَرَمَ " .

(٢) هود : ٢٢ ..

(٣) انظر الكتاب : ١٣٨/٣ ت: هارون ، ذكر أن جرم (فعل) معناه : حق .

قال : وناس من فزارة يقولون : لا جرم . وحكى الفراء فيه لغتين أخريين . قال بنو عامر : يقولون لا ذا جرم ، وناس من العرب يقولون : لا جُرم – بضم الجيم –. وقال الجبائي في نوادره : حكى عن فزارة لا جرّ والله لا أفعل ذاك . قال : ويقال لا ذا جرم ، ولا نو جرم ، ولا عن ذا جرم ، ولا أن ذا جرم ، ولا أن جرم ، ولا عن جرم ، ولا ذا جر والله – بغير ميم – لا أفعل ذاك . وحكى بعضهم بغير لا جرم أنك أنت فعلت ذاك ، وعن أبي عمرو : لأجرم أن لهم النار ، على وزن : لاكرم ، ولا جر حذفوه لكثرة الاستعمال ، كما قالوا : سو ترى ، يريدون سوف ترى"(١).

وقال عند تفسيره قوله تعالى :﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٢)، وقال : " وقرأ عيسى الثقفي ان بكسر الهمزة على الاستئناف والقطع،مما قبله وقال بعض أصحابنا وقد يغني لا جرم عن لفظ القسم ، تقول : لا جرم لآتينك . فعلى هذا يكون لقوله ان الله بكسر الهمزة تعلق بلا جرم ولا يكون استئنافاً وقد قال بعض الأعراب لمرداس الخارجي : لا جرم والله لا فارقتك أبداً ، نفي كلامه تعلقها بالقسم "(٣).

وفي قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾(٤) ، قال : " وقال الزمخشري هنا وروى عن العرب : لا جُرْم أنه يفعل – بضم الجيم وسكون الراء – يريد لا بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم "(٥).

وقال الفراء : " وقوله " لاَ جَرَمَ أَنَّهُم " كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بُدَّ

---

(١) البحر : ٥/٢١٢ .

(٢) النحل :٢٣ .

(٣) البحر : ٥/٤٨٣ ، وانظر الدر اللقيط على هامش البحر : ٥/٢١٢ ، والنهر الماد ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) غافر : ٤٣ .

(٥) البحر : ٧/٤٦٧ ، ٥/٥٠٦ . انظر الارتشاف : ٢/٤٩٥ .

أنك قائم ولا محالة أنك ذاهب ، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إيّاها، حتى صارت بمنزلة حقاٍ ، ألا ترى أن العرب تقول : لاَ جَرَمَ لآتينك ،لا جرم قد أحسنت . وكذلك فسرها المفسرون بمعنى الحقّ وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب وجَرَّمته. وليس قول من قال إن جرمت كقولك : حَقَقْت أو حُققت بشيء وإنما لُبِّسَ على قائله قول الشاعر :

ولقد طَعَنْتُ أبا عيينة طعنةً جرمت فزارةُ بعدها أن تغضبا

ولكثرتها في الكلام حُذفت الميم فبنو فزارة يقولون : لا جَرَ أنك قائم . وتوصل من أولها بـ" ذا " أنشدني بعض بني كلاب :

إن كلاباً والذي لا ذا جَرَمْ لأَهْدِرَنَّ اليوم هدراً صادقاً

هدر المعنى ذي الشقاشيق اللهم "(١).

يلاحظ مما سبق عرضه أن (لا جرم) مركب من " لا " و " جرم " وهو فعل ماض ركب مع " لا " وهو بمعنى حق ولا محالة ، كمثل تركيب " لا " النافية للجنس مع اسمها ومثل له بقول : لا رجل ، وقيل في إعراب ما بعده أنه مرفوع على الفاعلية ذلك عند الخليل وسيبويه ، وقيل ركب " جرم " مع لا وهما في موضع رفع بالابتداء ، و " أنهم " في موضع رفع خبر جرم(٢) ، وقيل : جرم فعل ماضي معناه كسب والفاعل ضمير وأن ما بعدها في موضع نصب على المفعول به ، قال النحاس : " وزعم الخليل أن " لا " ههنا جيء بها ليُعل أن المخاطب لم يبتديء كلامه وإنما خاطب من خاطبه والكلام يجاء به ليدلّ على المعاني . وقال أبو اسحاق " لا " ههنا نفيٌ لما ظنوا أنه ينفعهم "(٣).

---

(١) انظر معاني القرآن ٢/٨ ، ٩ وانظر البحر ٥/٢١٣ ، والنهر الماد ٢١٢ ، والدر ٢١٢ .
البيت الأول ذكر قائله هو أبو أسماء بن الضريبة ، وقيل : عطية بن عفيف وروي " أن تغضبا " " أن تغضبوا " . من شواهد الكتاب ٢/١٣٨ ، المقتضب ٢/٣٥١ ، ٣٥٢ ، والمغني ١/٢٦٣ .

(٢) قول الحوفي نقله عنه أبو حيان . انظر البحر : ٥/٢١٣ .

(٣) إعراب القرآن : ٢/٢٧٧ – ٢٧٨ ، وانظر البحر ٥/٤٨٣ ، ٥٠٦ .

وفي " جرم " لغات رويت ، أن أشهرها لغة فزارة وبني عامر ، يقول أبو حيان :" وقال النحاس وزعم الكسائي أن فيها أربع لغات : لا جرم ، ولا عن ذا جرم ، ولا ان ذا جرم . قال : وناس من فزارة يقولون : لا جرم ، وحكى الفراء فيه لغتين أخريين . قال بنو عامر : يقولون لا ذا جرم "(١).

وقال الفراء :" ولكثرتها في الكلام حذفت الميم ، فبنو فزارة يقولون : لا جرَ أنك قائم ..."(٢) ، وهذه اللغة الثانية،الأولى التي ذكرها أبو حيان نقلاً عن الفراء : لا ذا جرم ، وهي لبني عامر ، والثانية : لا جر ، بحذف الميم وهي لبني فزارة .

ونخلص إلى القول بأن :

" لا " مركبة مع " جرم " تركيب : لا رجل ، مبنياً على الفتح . يقول ابن هشام " ومثلُ لا رجل عند الفراء لاجَرَمَ " نحو " ﴿لَاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ "(٣) .

وأن للعرب فيها لغات كثيرة كلها يظهر فيها التركيب ولم يُعزَ منها إلا لغتان هما : لا جرم ولا جرَّ الله ، وهذان التركيبان لغة فزارة وحذف الميم في " لا جرَّ الله " كما علل له الفراء لكثرة الاستعمال وهذا من سمات لغات البادية الاختصار في النطق .

واللغة الثانية عزيت لبني عامر الكلابيين يقولون : لا ذا جرم ، وهاتان اللغتان أشهر لغات البادية في " لا جرم " أما اللغة العامة والتي نزل بها القرآن العظيم فهي " لا جَرَمَ " .

---

(١) البحر : ٢١٣/٥ . نسبت من هذه الأربع لغتين إحداهما لفزارة لا جرم والأخرى لا ذا جرم لبني عامر .

(٢) معاني القرآن: ٨/٢ ، ٩٠ .

(٣) النحل : ٦٢ .

(٤) المغني : ٢٦٣/١ .

المبحث الثالث : من الأفعال النواسخ

إعمال (قال) عمل (ظن) في لغة سليم :

من التراكيب التي اختلفت فيها لغات العرب إجراء القول مُجْرى الظن في الإعمال بنصب الاسمين بعده ومعظم العرب ما عدا سُليم تستعمل القول في الحكاية فيرفعون ما بعده ، قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١) : " ومعمول القول إني جاعل ... وان تكسر بعد القول ولفتحها بعده عند أكثر العرب شروط ذكرت في النحو وبنو سليم يفتحونها بعده من غير شروط وقال شاعرهم :

إذا قلت أني آيب أهل بلدة ‏ ‏ ‏ نزعت بها عنها الولية بالهجر(٢)

ويقول أبو حيان : " أصل القول إذ دخل على الجمل أن تحكي على حالها كانت الجملة اسمية أو فعلية فإذا كانت اسمية جاز أن تحكى ، وجاز إن كانت مما تدخل عليه ظن أن تجري مُجْرَى الظن عند أكثر العرب بشروط(٣)... وذكر أبو القاسم الثمانيني(٤) إنه لغة لبعض العرب يعملون القول إعمال الظن بشرط الاستفهام فقط كان للمخاطب ، أو الغائب ثم ومن أجرى القول مُجْرَى الظن جوز فيه ما جاز في الظن من كون الفاعل والمفعول كشيء واحد ومن الالغاء والتعليق . وإذا وقعت إنّ بعد القول فالذي يقتضي القياس أن من أعملها إعمال الظن أن يفتحها ... واختلف نقل النحاة من العرب في ذلك فحكى البصريون فتحها في لغة سُليم وغيرهم ، وحكى الكوفيون أنها تفتح في لغة سُليم وتكسر في لغة غيرهم . ومذهب الجمهور واختيار أبي الفتح أنه لا يعمل عمل الظن حتى يُضمن معنى الظن

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) البحر ١٤٠/١ .

(٣) انظر الارتشاف ٧٨/٣ ، ذكرت مفصلة .

(٤) توفي سنة ٤٤٢ هـ ، اسمه عمر بن ثابت .

في اللغة السلمية ، وغيرها ، فإن لم يضمن معنى الظن لم يعمل أصلاً ، ولا تفتح أن بعده ، وذهب الأعلم وابن خروف وصاحب البسيط إلى أن القول قد يجرى في العمل مُجْرَى الظن دون معناه وتجوز الحكاية ، وإن اجتمعت الشروط فنقول : القول زيد منطلق وكذا في لغة سُليم ليس العمل عندهم متحملاً بل جائز(١).

ويقول سيبويه : " وزعم أبو الخطاب أنّ ناساً من العرب يوثق بعربيتهم ، وهم بنو سُليم يجعلون باب قُلْتُ أَجْمَع مثل ظننت(٢).

وذكر ابن مالك أنهم يعملون قال عمل ظن مطلقاً قال : " وبنو سُليم يُجرون القول مُجْرَى الظنِّ سواء كان فعلاً ماضياً أو مضارعاً أو أمراً أو اسم فاعل أو مصدراً فيقولون : (قُلْتُ زيداً منطلقاً) و (وأعجبني قولك عَمْراً مُقيماً) و (أنت قائلٌ بِشْراً كريماً)(٣) .

وكل ما يمكن قوله أن مخالفة بني سُليم لغيرهم في نصب ما بعد القول المتضمن الظن حيث الأصل في القول الحكاية برفع ما بعده من الأسماء دليل على أن النصب ظاهرة في نطق هذه القبيلة خاصة انه روي عنها الفتح في أكثر الظواهر اللغوية المنسوبة إليها سواء ما كانت تنفرد به أو يشاركها فيه غيرها من القبائل الحجازية(٤) وهذه القبيلة أكثر قبائلها متحضرة فهي حضرية في عمومها فديارها كانت تقع بالقرب من الحجاز وبعضها يقع في منطقة الحجاز(٥).

فكسر الهمزة يجب بعد القول غير المتضمن معنى الظن أما إذا تضمن القول معنى الظن فليس إلا الفتح ولعل في ذلك تعليل لإشارة أبي حيان إلى فتح سُليم لهمزة « إن » دون ذكر الإعمال لغة لهم(٦) .

---

(١) الارتشاف : ٨٠/٣ .

(٢) الكتاب : ١٢٤/١ ، وانظر ١٤٢/٢ ، ١٢٢/١ ، ١١٩/٣ ، ١٤٢ .

(٣) شرح الكافية الشافية : ٥٦٧/٢ ، وانظر : الهمع : ١٥٧/١ .

(٤) أمثلة ذلك فتح لام الأمر لغة عند سُليم ، إنها تؤثر صيغة الياء كالقبائل الحجازية.

(٥) انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٢٩٥ وبلاد العرب ٣٩٦ عالية نجد بالقرب من خيبر منازلهم حرة سليم وحرة النابين .

(٦) انظر البحر : ١٤٠/١ .

ثانيا : الأحرف المختصة بالجملة الفعلية :

" أنْ " الناصبة للفعل المضارع الجزم بها لغة :

يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ لِمَنْ أَرَادَ أن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾(١) : " وقرأ " أن يتم " برفع الميم ونسبها النحويون إلى مجاهد ، وقد جاز رفع الفعل بعد " أن " ، في كلام العرب في الشعر أنشد الفراء(٢) رحمه الله تعالى:

أن تهبطين بلاد قوم يرتعون من الطلاح

وقال آخر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما مني السلام وان لا تبلغا أحدا(٣)

وهذه عند البصريين هي الناصبة للفعل المضارع وترك إعمالها حملاً على " ما " أختها في كون كل منهما مصدرية ، وأما الكوفيون فهي عندهم المخففة من الثقيلة وشذ وقوعها موقع الناصبة كما شذ وقوع الناصبة موقع المخففة في قول جرير :

ترضى عن الله ان الناس قد علموا أن لا يدانينا من خلقه بشر

والذي يظهر ان اثبات النون في المضارع المذكور مع أن مخصوص بضرورة الشعر ولا يحفظ ان غير ناصبة إلا في هذا الشعر ، والقراءة المنسوبة إلى مجاهد وما سبيله هذا لا تبنى عليه قاعدة "(٤).

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .

(٢) الشاهد في أنه رفع الفعل (تهبطين) وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة .

(٣) انظر الخزانة : ٥٥٩/٣ . والشاهد فيه رفع الفعل (تقرآن) بثبوت النون بعد أن. وانظر المغني ٢٨/١ والقائل مجهول في البيتين .

(٤) البحر : ٢١٣/٢.

أما عزو لغة الجزم إلى بني صُباح كما هو مذكور في كثير من الروايات فيقول فيه : " المشهور عند العرب أنّ عمل " أنْ " في المضارع ، النصب ، وقال الرّياشيّ فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل ، ودونهم قوم يرفعون بها ودونهم قوم يجزمون بها ، حكى الجرمي وأبو عبيدة واللحياني وذكر أن الجزم بها لغة بني صباح "(١).

فيذكر أبو حيان مذهب كل من البصريين والكوفيين في " أنْ"(٢) في الآية السابقة فالبصريون عندهم أنها الناصبة للفعل المضارع وهي مهملة حملاً على "ما" في كون كل منهما مصدرية ، ويرى ابن هشام أن رأيهم هو الصواب ، ويرد على من زعم أن " أنْ " في قول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما منّي السلام وأن لا تشعرا أحدا

مخففة من الثقيلة شذ اتصالها بالفعل .

ويقول : وليس من ذلك قوله :

ولا تدفنني في الفلاة فإنني أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقُها

ليست هي الناصبة للمضارع وإنما هي المخففة من الثقيلة(٣).

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنها " أن " المخففة من الثقيلة شذ اتصالها بالفعل.

والمشهور نصب الفعل بعدهما وهو الفصيح يقول الرّياشيّ(٤) وهو كوفي فيما نقل عنه أبو حيان قال : " فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها، ودونهم قوم يرفعون بها ، ودونهم قوم يجزمون بها "(٥) .

---

(١) الإرتشاف : ٢/٣٩. والرفع قراءة مجاهد .

(٢) " أن " بفتح الهمزة وسكون النون ، انظر المغني : ١/٢٤ – ٢٨ .

(٣) البيت الأول مجهول القائل والثاني لأبي محجن الثقفي . انظر المغني ١/٢٨ ، والخزانة ٣/٥٥٠.

(٤) الهمع ذكر الرّؤاسي .

(٥) الإرتشاف : ٢/٣٩٠ .

وأبو حيان ذكر أنه لا يحفظ أنْ غير ناصبة إلا في الشعر وفي القراءة المنســوبة إلى مجاهد في قوله تعالى ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾برفع الفعل "يتم"، ويرى أن ما هذا ســبيله لا تبنى عليه قاعدة (١) ثم لأن من يرفع الفعل بعد "أنْ " أقل فصاحة ممن ينصبه والرفع بعدها مذهب الكوفيين .

أما الجزم بـ " أنْ " فهو غير جائز عند الجمهور(٢) واعتبر أقل فصاحة من النصب والرفع ، ومن حكى الجزم بها من البصريين أبو عبيدة واللحياني ، وذكر أن الجزم بها لغة لبني صباح(٣). والرّؤاسي من الكوفيين أنشد على الجزم قول:

أحاذرُ أنْ تعلمْ بها فتردُهّا فتركها ثقلاً عليّ كما هيا(٤)

والشاهد فيه " أنْ تعلمْ " حيث جزم الفعلَ وقد رُوي هذا البيت برواية أخرى فلا شاهد فيه(٥).

وعليه قول آخر :

إذا ما غدونا قال ولدانُ أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيدُ نحطب(٦)

ويعلق ابن هشام على الاستشهاد بالبيت الأول يقول : " وفي هذا نظر ؛ لأن عطف المنصوب عليه يدل على أنه مسكن للضرورة ، لا مجزوم"(٧).

---

(١) البحر : ٢١٣/٢ . ويروى أنها قراءة ابن محيصن . انظر المغني ٢٨/١ .

(٢) انظر الهمع : ٩١/٤ .

(٣) في المغني (صَبَاح : بفتح الصاد وهم من ضبة).

(٤) القائل جميل بن معمر ، انظر : الديوان ص٢٣٤، والمغني :٢٨/١ ، والهمع : ٩١/٤.

(٥) روي بـ " أخاف إذا أنبئتها أن تضيعها " ، انظر المغني : ٢٨/١.

(٦) الشاهد منسوب لامرئ القيس وليس في ديوانه . انظر معجم شواهد العربية ٥٢ .

(٧) المغني : ٢٨/١.

أما الشاهد الثاني ، فيروى " إلى أن يأتي الصيد " ولا شاهد فيه حينئذ ، ويذكر صاحب كتاب اللهجات في التراث أنه – أي هذا البيت – في ديوان الشاعر بعد تحقيقه مروي " تعالوا إلى أنْ يأتي " وعلى ذلك استنتج أن " أنْ " على الصحيح ناصبة لا جازمة وقد رأى أن ذلك تحريف في الرواية لإثبات لهجة(١).

والذي يظهر ليَّ من العرض السابق أن الإختلاف في حركة إعراب الفعل الواقع بعد " أنْ " من النصب وهو المشهور في معظم لغات العرب ، وقد عزي لفصحاء العرب والرفع والناطقين به أقل فصاحة ممن نطق بالنصب ودون ذلك في الفصاحة الجزم ، يدل على أن الرفع والجزم بـ " أنْ " يتفق وسمات لغة البدو من ميلهم إلى السرعة والخفة في النطق(٢) ، كما أنهم يميلون أحياناً إلى التفخيم بما يتفق وخشونتهم فمرجع هذا الإختلاف في لغات العرب لإختلاف بيئاتهم وقد ثبت ذلك كله لغات مسموعة .

---

(١) الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، الكتاب ، القسم الأول ، ص ١٦.

(٢) الرفع لأن عليه دليل من نطق البادية اليوم لسماعهم يقولون : لا تروحين ولا تاكلون بدون حذف النون ولا تروحْ ولا تاكل ، كما قرأ بتسكين قوله تعالى : ﴿ لربه لكنود ﴾ .

الفصل الثاني
إلحاق الضمائر ببعض الأفعال وتجردها منها في لغات الحجاز وتميم ، وحكم علامة التثنية والجمع إذا لحقت عامل الفاعل المثنى والمجموع

المبحث الأول - " عسى " بين التجرد والإلحاق والتمام والنقصان.

المبحث الثاني- " هلم " الحجازية والتميمية .

المبحث الثالث -إلحاق علامة التثنية والجمع بالفعل في أول الجملة .

المبحث الأول : " عسى " بين التجرد والإلحاق والتمام والنقصان

اختلفت لغات الحجاز وتميم في " عسى " من حيث نقصانها وتمامها ، ومن حيث تجردها من الضمائر وإلحاقها بها فهي تأتي على وجهين إذا تقدمها إسم :

الأول : أن تكون تامة مجردة من الضمائر مستغنية بمرفوعها عن المنصوب والخبر ، نحو : زيدٌ عسى أن يقوم ، وأن والفعل بعدها في محل رفع فاعل، وهذه لغة الحجاز فلا تلحقها الضمائر سواء أفرد الإسم قبلها أم ثني أم جمع جمع مذكر سالم أو مؤنث ، وعلى هذه اللغة نقول :

زيد عسى أن يقوم

هند عسى أن تقوم

الطالبان عسى أن ينجحا

الطلاب عسى أن ينجحوا

الطالبات عسى أن ينجحن

وتأتي ناقصة فتلحق بها الضمائر ، وفي هذه الحالة تحتاج إلى مرفوع ومنصوب فترفع الضمير بعدها مستتراً أو ظاهراً ، متصلاً بها اسماً لها ، وأن الفعل بعدها في محل نصب خبراً لها ، وهذه لغة تميم ؛ ويجب حينئذ مطابقة ما تلحقها من ضمائر للاسم المتقدم عليها فنقول :

الطالب عسى أن ينجح

الطالبة عست أن تنجح

الطالبان عسيا أن ينجحا

الطالبتان عستا أن تنجحا

الطلاب عسوا أن ينجحوا

الطالبات عسين أن ينجحن

وفي كلتا اللغتين إلحاق الضمائر بها وتجردها على الجواز ، يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾(١) (قرأ عبدالله وأبيّ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن ، فعسى ناقصة والجمهور عسى فيهما تامة وهي لغتان :الإضمار لغة تميم وتركه لغة الحجاز)(٢) ، وقال : (وقال أبوبكر الأدفوي وغيره ، إن أهل الحجاز يكسرون السين مع عسى مع المضمر خاصة)(٣).

وقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾(٤) : والمحفوظ عن العرب انه لا تكسر السين إلا مع تاء المتكلم والمخاطب ونون الاناث نحو عسيتُ وعسيتَ وعسين وذلك على سبيل الجواز لا الوجوب، ويفتح فيما سوى ذلك على سبيل الوجوب ولا يسوغ الكسر نحو : عسى زيد والزيدان عسنا والزيدون عسوا والهندان عسيا وعساك وعساني وعساه)(٥).

فعلى لغة الحجازيين قرأ جمهور القراء ، وعلى لغة تميم رويت قراءة عبدالله وقراءة أبيّ.

ويقول أبو حيان : (إذا تقدم عسى اسم فقيل لا يضمر فيها ضميره ولا تكون إذ ذاك إلا مسندة إلى أن والفعل فنقول : زيد عسى أن يخرج ، والزيدان عسى أن يخرجا ، والزيدون عسى أن يخرجوا، وهند عسى أن تخرج والهندان عسى

---

(١) الحجرات : ١١.

(٢) البحر : ١١٣/٨.

(٣) البحر : ٢٥٥/٢ ، وانظر شرح ابن عقيل : ٣٤٣/٢.

(٤) البقرة : ٢٤٦.

(٥) البحر : ٢٥٥/٢ والنهر الماد من البحر نفس الجزء والصفحة والدر اللقيط . تاج الدين الحنفي على هامش البحر : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

أن تخرجا، والهندات عسى أن يخرجن ، ولا يضمر في عسى ضمير قبلها .
والصحيح أن ذلك فيه لغتان إحداهما هذه ، واللغة الأخرى مطابقة الضمير في عسى لما قبله فنقول : الزيدان عسيا أن يخرجا ، والزيدون عسوا أن يخرجوا، وهند عست أن تخرج ، والهندات عسين أن يخرجن ، وكذا إذا تقدم ضمير متكلم أو مخاطب أضمر في عسى ما يناسب ذلك ؛ قال دَرَيْود(١) وترك الإضمار أجود في هذا كله إلا أن يكون ما قبله (ما) أو (قد) أو (هل) فلا بد من الإضمار)(٢).

فنرى أن أبا حيان ذكر في عسى لغتين ونسبهما إلى الحجاز وتميم ، وقد أجمل في القول الأول وذكر أن الإضمار لغة تميم ، وتأتي عسى معه ناقصة ، وتركه لغة الحجاز فتكون عسى تامة(٣).

وفي الثاني فصل فذكر أن عسى إذا تقدمها اسم فلك أن لا تلحق بها ضميراً فلا تكون إذا ذاك إلا مسنداً إلى أن والفعل فنقول : زيد عسى أن يخرج ، وهند عست أن تخرج ، وهكذا في التثنية والجمع بنوعيه دون إلحاق ضمير لعسى يطابق الاسم المتقدم عليها ، وأن الحقت بها الضمائر فيطابق الضمير في (عسى) ماقبله نقول : هند عست أن تخرج ، الهندات عسين أن يخرجن ، والزيدون عسوا أن يخرجوا ، والزيدان عسيا أن يخرجا، والهندان عستا أن تخرجا ، ولكن أبا حيان لم يعزو هاتين اللغتين ، كما في القول الأول عند ذكره للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم ...﴾ وإنما قال : (والصحيح أن ذلك فيه لغتان..) . وذكر أن هناك من قال بترجيح لغة على لغة قال : (وقال دريود[١]: وترك الإضمار أجود في هذا كله إلا أن يكون ما قبله (ما) أو (قد) أو (هل)، فلا بد من

---

(١) محمد بن الحسن بن دريود المتوفى سنة ٣٢١ هـ .
(٢) الارتشاف : ٢/١٢٣ ، ١٢٤ .
(٣) انظر البحر : ٨/١١٣.

الاضمار)(١) وعلى لغة التجرد من الضمائر في " عسى " جاء قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا ...﴾(٢) وهي قراءة جمهور القراء وهي الأفصح.

بقي أن أضيف أن بعض الباحثين رأى أن الحالة التميمية وهي إلحاق الضمائر بعسى أقدم من الحالة الحجازية قياساً على ما وصلنا من أن (غير عسى) من أفعال المقاربة يجب الإضمار فيه إذ أن " عسى " عند التميميين ما زالت تصرف تصريف أخواتها ، على حين استقرت عند أهل الحجاز على حال واحدة(٣).

ويرى باحث آخر(٤) أن لغة تميم في تطابق المسند إليه الاسم المتقدم على " عسى " بالمسند " عسى " إذ يتصل بها ضمير يطابق ذلك الاسم المتقدم قد سارت على منهج اللغة الفصحى في أفعالها الأخرى وذلك عندما يتقدم المسند إليه المسند، أما لغة الحجاز فقد خالفت القاعدة العامة وأن هذا يمثل مرحلة متأخرة.

مما سبق نستدل على أن " عسى " الفعل الجامد مرّ بمرحلتين الأولى مرحلة الإضمار والتطابق بينه وبين الاسم المتقدم عليه ، والثانية مرحلة التجريد ، وهذه المراحل معهودة في اللغات وتسمى تطوراً ولو بحثنا في لهجات البادية نجد " عسى " يلفظ به ملحق به ضمائر الخطاب والغيبة والمتكلم ضمائر نصب يقال : عسنا، وعساه ، وعساكم ، وعساهم ، وعساني ، وعساي، وعساك، وعساها ويستخدم في رجاء المحبوب والدعاء بالمكروه سُمع أيضاً " عسى" متجردة من الضمائر.

---

(١) الارتشاف : ٢/١٢٣ ، ١٢٤.

(٢) الحجرات : ١١.

(٣) د. غالب فاضل المطلبي ، لغة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، ص ٢٣٥.

(٤) د. ضاحي عبد الباقي ، لغة تميم ، ص ٥٣٠ .

المبحث الثاني : « هلمّ » الحجازية والتميمة :

" هلم " أصلها مركبة من هاء التنبيه و "لُمَّ " التي هي فعل أمر من قولهم لم الله شعثه فحذفت ألفها تخفيفاً ، وهذا رأي البصريين والخليل يرى أن اللام حذفت لإلتقاء الساكنين ، ثم نقلت حركة الميم الأولى إلى اللام فأدغمت .

أو مركبة من هل التي للزجر وأم بمعنى اقصد فخففت الهمزة بالفاء حركتها على الساكن قبلها وحذفت فصار " هلم " وهذا رأي الفراء والكوفيين(١).
وترد " هلم " على وجهين متغايرين :

تكون في لغة الحجاز اسم فعل أمر وتلزم طريقة واحدة كأسماء الأفعال إذ أنها لا تتصرف فلا تلحقها ضمائر.

اللغة الثانية تخالف الأولى فلا تكون بصورة واحدة بل تختلف باختلاف ما أسند إليه والراجح أنها لغة تميم حيث نص سيبويه على ذلك(٢) .

أو تكون فعل ، وقد اختلف في ذلك النحاة .

يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾(٣) : (هلّم لغة الحجاز أنها لا تلحقها الضمائر بل تكون هكذا للمفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث فهي عند النحويين اسم فعل ، ولغة بني تميم الحاق الضمائر على حدّ لحوقها للفعل فهي عند معظم النحويين فعل

---

(١) البحر : ٢٣٥/٤ ، وانظر الارتشاف ٢٠٩/٣ ـ ٢١١ ، وشرح الشافية الكافية ١٣٩/٣،
حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٥٦/٣.

(٢) انظر الكتاب ٢٥٢/١ ، ٥٢٩/٣ ، وشرح الكافية الشافية : ١٣٩/٣ .

(٣) الأنعام : ١٥٠ .

لا تتصرف والتزمت العرب فتح الميم في اللغة الحجازية ، وإذا كان أمراً للواحد المذكور في اللغة التميمية فلا يجوز فيها ما جاز في ردّ ، ومذهب البصريين أنها مركبة من " هاء" التنبيه ومن " المم " ، ومذهب الفراء من " هل " و " أمّ " ، وتقول للمؤنثات " هلممن ".

وحكى الفراء " هلمين " ، وتكون متعدّية بمعنى احضر ولازمة بمعنى أقبل"(١)، وقال في موضع آخر : (وهلم هنا على لغة الحجاز وهي متعدية ولذلك انتصب المفعول به بعدها "(٢).

واختلف النحاة في " هلّم " فعل أو اسم فعل ؟

نقل أبو حيان في النص السابق أنها عند معظم النحاة فعل لا يتصرف وبعضهم يراها اسم فعل .

ويقول : " لغة الحجاز استعمال هلم اسم فعل فيستتر فيها الضمير كسائر أسماء الأفعال ... وأكثر النحاة على أنها في لغة بني تميم ، وذهب بعضهم إلى أنها في لغتهم اسم فعل "(٣).

يقول سيبويه : " هذا باب ما لا يجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة وذلك للحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل ، وذلك نحو : إيهِ وصهْ ومَهْ وأشباهها . وهَلُمّ في لغة أهل الحجاز كذلك ... وقد تدخل الخفيفة والثقيلة في هلم في لغة بني تميم ؛ لأنها عندهم بمنزلة رُدّ وردًا وردِّي واردُدْنَ ، كما تقول : هَلُمّ ، وهلُما ، وهلمي ، وهلْمُمْنَ ..."(٤)

---

(١) البحر : ٢٣٥/٤ و ٢٢٠/٧

(٢) البحر : ٤٤٨/٤ .

(٣) الإرتشاف : ٢١٠/٣.

(٤) الكتاب : ٣٣٢/٣ ، ٥٢٩ ، وينظر شرح الشافية الكافية :١٣٩/٣، حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية : ١٥٦/٣ .

فنرى في ما ذكره سيبويه أن " هلم " لا يجوز أن تلحقها نون خفيفة ولا ثقيلة إذا كانت اسم فعل وليست بفعل ، وتكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث سواء ، وهذه لغة الحجاز . ويجوز أن تلحقها النون خفيفة وثقيلة قال ناس من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أُخذت من الفعل يقولون : هلم وهلمي وهلما وهلموا(١) . وعلل لسبب دخول النوع عليها لأنها بمنزلة رُدُّ وردًّا وردَّن ، وأُرْدُدْنَ وهذه لغة تميم ، وبناء على اختلاف استعمال " هلم " عند الحجازيين والتميميين من حيث اسميتها أو فعليتها اختلفت اللغات عند الحجاز وتميم في إلحاق الضمائر بها وتجردها منها ، يقول أبو حيان : " هلم لغة الحجاز أنها لا تلحقها الضمائر بل تكون هكذا للمفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ... ولغة بني تميم إلحاق الضمائر على حدّ لحوقها للفعل "(٢).

فالحجازية تجرد " هَلُمّ " من الضمائر وتجعلها بصورة واحدة لأنها اسم فعل عندهم . والقياس في الأسماء أنْ لا تتصل بها علامة الضمير المرفوع إنما ذلك للأفعال(٣) ، فأهل الحجاز في لغتهم لا يبرزون فاعل هلم في التأنيث والتثنية والجمع نقول على لغتهم :

هَلُمَّ يا زيد وهَلُمَّ يا هند

وهَلُمّ يا زيدان وهَلُمّ يا هندان

وهَلُمّ يا زيدون وهَلُمّ يا هندات

ولغة بني تميم فيها لحوق الضمائر بها فيبرز فاعلها في التأنيث فيقال: هلُمّي ، والتثنية : هَلُمّا ، والجمع : هَلُمّوا ، وهَلْمُمْنَ لأنها عندهم فعل أمر

---

(١) انظر الكتاب : ١/٢٥٢ .

(٢) البحر : ٤/٢٣٥.

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش : ١/٤٢ .

لدلالتها على الطلب وقبولها ياء المخاطبة(١) .

وعلى لغة الحجازيين جاء التنزيل الحكيم ، قال تعالى :﴿ قل هلم شهداءكم﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾(٢).

وقد رأى ابن يعيش أنه القياس الأقوى – أي مجيء هلم بلفظ واحد في كل الأحوال ، وعلل لذلك بأن " هلم " قامت دلالة على اسميتها ، والقياس في الاسم عدم إلحاق الضمائر بها .

خلاصة القول : أن " هلم " قد مرتْ بمرحلتين :

الأولى : ما جرت فيها مجرى الفعل فإلحقتْ بها الضمائر ونون التوكيد الخفيفة والثقيلة ثم أنه لكثرة استعمالها تطورت فأصبحت وقد أخذت صورة أخرى غير الأولى ، وهي الزامها صورة واحدة بمعنى تجريدها من الضمائر لأنها اسم أو اسم فعل ، وهذه المرحلة الثانية ، وتعتبر هذه المرحلة أحدث عهداً من الأولى لورودها في القرآن الكريم(٣).

---

(١) انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ٣٢.

(٢) الأحزاب : ١٨ .

(٣) انظر لغة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، غالب المطلبي ص ٢٣٦ ، ولغة تميم ، د.ضاحي عبد الباقي : ٤٩٠ .

المبحث الثالث – إلحاق علامة التثنية وعلامة الجمع بالفعل في أول الجملة

من أحكام الفاعل إذا ثنى أو جمع ألا يلحق عامله علامة تثنية ولا جمع إذا كان سابق عليه، وهذا مشهور عند عامة العرب، نحو: قام الزيدان، وقام الزيدون، وقامت الهندات.

ومن العرب من يلحق هذه العلامات بالعامل(١).

ذكر أبو حيان ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾(٢)فقال: "وجوزوا في إعراب "الذين ظلموا" وجوهاً الرفع والنصب والجر، فالرفع على البدل من ضمير"أسروا" إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به، قاله المبرد وعزاه ابن عطية إلى سيبويه، أو على أنه فاعل والواو في "أسروا" علامة للجمع على لغة "أكلوني البراغيث"، قاله أبو عبيدة، والأخفش وغيرهما.

قيل: وهي لغة شاذة، قيل: والصحيح أنها لغة حسنة وهي من لغة أزد شنوءة وخرج عليه قوله: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ (٣)، وقال شاعرهم:

يلومونني في اشتراء النخيل أهـ ـلي وكلهم ألـــــوم(٤)

"أو على أن الذين "مبتدأ،"وأسروا النجوى"خبره، قاله الكسائي فقدّم عليه. والمعنى: وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم أنه ظلم أو على أنه فاعل بفعل القول وحذف أي يقول الذين ظلموا والقول كثيراً

---

(١) الإرتشاف: ٣٥٤/١، وانظر شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام/١٧٧ وشرح جمل الزجاجي ١٦٧/١ .

(٢) الأنبياء: ٣. (٣) المائدة: ٧١ .

(٤) ينسب هذا البيت في كثير من المصادر إلى أحيحة بن الجلاح. وروي يعذل بدل يلوم .

يضمر . واختاره النحاس ، قال : ويدل على صحة هذا أن بعده هل هذا إلا بشر مثلكم . وقيل : التقدير " أسرها الذين ظلموا " . وقيل : "الذين "خبر مبتدأ محذوف ، أي هم الذين ، والنصب على الذم قاله الزجاج ، أو على إضمار أعني ، قاله بعضهم ، والجر على أن يكون نعتاً للناس أو بدلاً في قوله " اقترب للناس " قاله الفراء ، وهو أبعد الأقوال ."(١)

وفي موضع آخر ذكر عند تفسيره لآية :﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾(٢) أن " كثير " فيها وجوه إعراب ، فقال : " وارتفاع كثير على البدل من المضمر ، وجوّزوا أن يرتفع على الفاعل والواو علامة للجمع لا ضمير على لغة " أكلوني البراغيث" ولا ينبغي ذلك لقلة هذه اللغة ، وقيل : خبر مبتدأ محذوف تقديره " هم " أي العمى والصم كثير منهم ، وقيل : مبتدأ . والجملة قبله في موضع الخبر وضعف بأن الفعل قد وقع موقعه فلا ينوى به التأخير ، والوجه هو الإعراب الأول"(٣). هذا ما ذكره أبو حيان من وجوه الإعراب التي قالها النحاة في الآيتين السابقتين ، وفي كل ما جاء على هذه اللغة حيث يستخلص مما سبق ذكره أن في إعراب الضمائر التي تلحق الفعل المسند إلى فاعل ظاهر رأيان :

الأول : أن هذه الضمائر حروف دالة على التثنية إذا كان الفاعل مثنى أو على الجمع إذا كان جمعاً ، كما دلت التاء على التأنيث في نحو : قامت هند"(٤).

---

(١) انظر البحر : ٢٩٧/٦.

(٢) المائدة : ٧١.

(٣) البحر : ٥٣٤/٣.

(٤) انظر شرح ابن عقيل : ٤٦٩/١ ت:الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، وشذور الذهب ١٧٧، الهمع : ٢٥٦/٢، ٢٥٧، حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية : ٤٣/٢، ٤٥٠ .

يقول أبو حيان : " والمختار أنها حروف علامات تدل على التثنية والجمع . وحكى اللغويون أن أصحاب هذه اللغة هم طيء يلتزمون العلامة أبداً ولا يفارقونها ، وذكر بعض الرواة أنها من لغة أزد شنوءة"(١).

وقال سيبويه : " واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في " قالت فلانة " ، فكأنهم رأوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث علامة ، وهي قليلة . قال الشاعر الفرزدق:

ولكن ديافيٌّ أبوه وأمُّهُ   بحوران يَعْصِرنَ السليط أقاربه"(٢)

وعلى هذه يكون الاسم الظاهر بعد هذه الضمائر هو الفاعل ، رأى المازني إن العلامات التي تلحق الفعل لفاعل مثنى أو جمع إنما تلحق الفعل أو الوصف المسند إلى أكثر من واحد ليتميز عن الفعل المسند إلى الواحد ، إذا ليس من الضروري أن يكون لأكثر من واحد فإذا قلت : " زيد قام ، ففي الفعل ضمير وليست له علامة مبينة ، فإن ثنى أو جمع وجب ظهور علامة التثنية والجمع ليخالف الواحد سواء تقدم الفعل أم تأخر (٣).

والثاني : أن تلك الضمائر في محل رفع فاعل ، والاسم الظاهر إما أنه بدل من الفاعل أو مبتدأ مؤخر واستحسن ذلك أبو حيان حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ وجوه الاعراب فقال : " وإرتفاع كثير على البدل من

---

(١) راجع الإرتشاف : ٣٥٤/١ ، وانظر معاني القرآن للفراء :٣١٦/١ ، والمغني ٤٠٤/١-٤٠٧ ، وأوضح المسالك لابن هشام ٩٨/٢ .

(٢) الكتاب ٤٠/٢ ت : عبد السلام هارون ، الشاهد فيه : "يعصرن " حيث ألحق الفعل نون النسوة وبعد الفعل فاعل هو الاسم الظاهر .

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش : ٨٧/٣، والهمع : ٥٧/١ ، وانظر بحث اللهجات في شرح ابن عقيل ، د . رشيد العبدي ص ١٣٩ ، وبحث اللهجات في معاني القرآن للفراء ، د . صبحي عبد الكريم ص ٣٢١ .

المضمر وجوّزوا أن يرتفع على الفاعل والواو علامة للجمع لا ضمير على لغة " أكلوني البراغيث " وقيل خبر مبتدأ محذوف تقديره " هم " ... والوجه هو الإعراب الأول "(١).

وقد اشتهرت هذه اللغة في كتب النحو بلغة " أكلوني البراغيث " ، واتفقت معظم المصادر على نسبتها إلى قبيلة طيء وقبيلة أزد شنوءة(٢).

وهناك من زاد قبيلة بلحارث بن كعب(٣) ، وأورد النحاة عليه عدداً من الشواهد ، منها :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ (٤)

فالشاهد فيه إلحاق ألف الاثنين بالفعل " أسلم " وعلى اللغة المشهورة "أسلمه".

وقول آخر :

الفَيَا عَيْنَاك عنْدَ القفا أولى لك زاداً فيه

فالشاهد فيه قوله : " الفينا " حيث ألحق ألف الاثنين ولو كان على اللغة المشهورة لقال " الفيتْ ".

وقوله : " يلومونني في اشتراء النخيل أهلي "

---

(١) البحر : ٥٢٤/٣ ، وانظر شرح الكافية الشافية : ٥٨٢/٢ ومعاني القرآن للفراء :٣١٦/١.

(٢) انظر البحر : ٢٩٧/٦. والارتشاف ٣٥٤/١ وحاشية الصبان ٤٤/٢

(٣) الإرتشاف : ٣٥٤/١ وحاشية الصبان ٤٤/٢ .

(٤) قائل هذا البيت هو عبدالله بن قيس الرقيات . انظر معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون قافية الميم .

وقول :

رأين الغواني الشيب لاحَ بعارضي   فأعرضن عني بالخدودالنواضر(١)

فالشاهد فيهما إلحاق واو الجماعة بالفعل " يلوم " و " نون النسوة بالفعل " رأى " ، ولو جاء على اللغة المشهورة لقال في الأول " يلومني " ، وفي الثاني " رأت " .

ولكن النحاة خرجوا هذه الشواهد بأوجه مختلفة كما خرجوا الآيات الواردة على تلك اللغة .

وقد سمّى ابن مالك هذه اللغة لغة " يتعاقبون فيكم ملائكة " ، وذكر حديثه عليه الصلاة والسلام " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار "(٢). وقد أنكر النحاة المتأخرون على ابن مالك تسميته هذه بحجة أنه قد استدل لهذه التسمية بحديث مختصر فما ذكره جزء من حديث وأصله كما رواه البزار مطولاً : " إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " . والحديث على هذه الرواية جاء على لغة عامة العرب وليس فيه شاهد يستدل به على لغة من قال " أكلوني البراغيث " لأن " واو " الجماعة المتصلة بالفعل " يتعاقبون " عائد إلى لفظة " ملائكة " المتقدمة على الفعل ، فالواو هنا وقعت في محل فاعل وليست علامة دالة على عدد الفاعلين ، وذهب كثير من النحاة إلى أن لغة " أكلوني البراغيث " لغة ضعيفة لقلتها(٣)، لذلك نجد بعضهم لم يجيزوا حمل القرآن على هذه اللغة وما جاء فيه ظاهره أنه محمول على هذه اللغة وجدوا له تعليلاً أو تأويلاً مناسباً بعيداً عن هذه اللغة حيث يقولون بندرتها وقلتها ، يقول سيبويه في قوله تعالى : ﴿ وأسروا

---

(١) ينسب لأبي عبد الرحمن محمد بن عبدالله العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان.

(٢) راجع شرح ابن عقيل : ٤٦٩/١ .

(٣) انظر شرح جمل الزجاجي ١٦٧/١ ، والارتشاف ٣٥٤/١ رأي جمهور النحاة .

النجوى ...﴾ : " فإنه يجيء على البدل ، وكأنه قال : انطلقوا ، فقيل له : مَنْ ؟ فقال : بنون فلان ، فقوله عز وجل : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ على هذا فيما زعم يونس "(١). فسيبويه حمل الآية على وجهين ، أولهما : ان يجعل " الذين " بدلاً من " الواو " في " أسروا " .

وثانيهما : أن يجعل " الذين " خبراً لمبتدأ محذوف تقديره " هم " ، ووافق سيبويه في هذا الرأي الذي ذكر أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثم عموا وصموا...﴾ بأنها لغة ، قليلة ، على أن هناك من النحاة من أجاز ذلك مثل الأخفش الأوسط وأبي عبيدة ، نقل عنهما ذلك أبو حيان(٢).

ويرى أحد الباحثين(٣) أن منع حمل القرآن على لغة " أكلوني البراغيث" صحيح ، فيقول : " ويبدو أن مذهب النحاة الذين منعوا حمل القرآن على لغة " أكلوني البراغيث " صحيح، وذلك لأمرين :

أولهما : أننا إذا وافقنا النحاة الذين يجيزون حمل القرآن على هذه اللغة ترتب على ذلك أمر آخر ، وهو أن هذه اللغة تغدو عندئذ لغة قياسية ، يجوز لنا أن نتحدث بها شعراً ونثراً قياساً على ما ورد في القرآن لأن النحاة مجمعون على صحة القياس على ما ورد فيه ، ووجود آية واحدة كافية للقياس عليها، فكيف الأمر وقد رويت فيه أكثر من آية ظاهرها أنها محمولة على هذه اللغة إليس بكاف لجعلها لغة قياسية ؟ولا أظن أحداً من الباحثين القدامى أو المحدثين قد أجاز جعل هذه اللغة قياسية .

الأمر الثاني : هو أن لحوق الفعل المسند للظاهر المتعدد علامة تدل على تعدد الفاعلين إنما يمثل مرحلة أولية من مراحل اللغة العربية "(٤).

---

(١) انظر الكتاب : ٤١/٢ . (٢) انظر البحر : ٢٩٧/٦.

(٣) د.عدنان محمد سلمان ، بحث بعنوان " لغة " أكلوني البراغيث " ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد السادس ٢١٢ – ٢١٣ ، عام ١٣٩٠ هـ .

(٤) المرجع السابق .

ثم يورد رأي الدكتور سليم النعيمي الذي أشار فيه إلى هذه بقوله : " ولا بد أن نشير هنا إلى أن الفعل قد كان يطابق الفاعل في الجنس أو العدد تقدم عليه أو تأخر عنه ، ثم أصبح بفعل التطور يطابقه إذا تأخر عنه فقط ، ويدلنا على ذلك هذه البقية من اللهجات التي يسميها النحويون لغة أكلوني البراغيث "(١).

ويرى باحث آخر أن هذه اللغة ، لغة " أكلوني البراغيث " لغة صحيحة قياسية اعتماداً على رأي المازني القائل بأن العلامات التي تلحق الفعل الفاعل مثنى أو جمع ، إنما تلحق الفعل أو الوصف المسند إلى أكثر من واحد ليتميز عن الفعل، المسند إلى الواحد ، إذاً ليس من الضرورة أن يكون الفعل لأكثر من واحد ، فإذا قلت : زيد قام ، نفي الفعل ضمير وليست له علامة مبنية فإن مثنى أو جمع وجب ظهور علامة التثنية والجمع ليخالف الواحد سواء تقدم الفعل أم تأخر "(٢).

وبعد هذا العرض نخلص إلى القول بأن : لغة " أكلوني البراغيث " لغة أقوام من العرب عُرفوا بفصاحتهم مثل طيىء ، وهذا يرد قول من قال بضعفها ، وقد يكون القول بضعفها عند كثير من النحاة لأن منهجهم في القياس يعتمد على قوة اللغة وكثرة التخاطب بها وانتشارها لذا منعوا حمل القرآن على هذه اللغة حينما وجدوا قلة التخاطب بها. يقول أبو حيان : « وهذه اللغة عند جمهور النحاة ضعيفة وكثرة ورود ذلك يدل على أنها ليست ضعيفة » (٣)

يضاف لذلك أن قلة هذه اللغة تمثل ظاهرة من ظواهر تطور اللغة العربية فهي الصورة القدمى في العربية إذ الأصل في اللغات السامية تحقيق المطابقة بين الفعل والفاعل.

---

(١) من بحث " لغة أكلوني البراغيث " ص ٢١٣، د. عدنان ، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس ١٣٩٥ هـ والنص مأخوذ عن مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والعشرون بحث د. سليم النعيمي بعنوان " نقل الكتب " ص ٣٠٢ .

(٢) بحث : أثر اللهجات في شرح ابن عقيل ، د رشيد العبيدي، ٣٩٥.

(٣) الارتشاف ٣٥٤/١ ، وشرح جمل الزجاجي ١٦٧/١ ، وهو رأي جمهور النحاة .

الفصل الثالث
الاستثناء

المبحث الأول – الاستثناء المنقطع والمتصل .

المبحث الثاني – نصب " غير " إذا جاءت بمعنى " إلا " مطلقا .

المبحث الأول - الاستثناء المنقطع والمتصل:

الاستثناء يُعرف بأنه : " إخراج ما بعد " إلا " أو إحدى أخواتها من ألفاظ الإستثناء ، من حكم ما قبلَهُ نحو : " جاء التلاميذ إلا علياً " ، ويسمى المُخْرجُ " مستثنى "والمخرج منه " مستثنى منه " ، والاستثناء إما تام أو ناقص(١) .

فالتام ما يكون فيه المستثنى منه مذكوراً وينقسم إلى قسمين :

الأول : ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه ويسمى متصلاً وهو إما مثبت وإما منفي، فإذا كان مثبتاً فالمستثنى يجب نصبه نحو قوله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(٢) وهو المشهور والمعروف في كتب العربية .

وإن كان مسبوقاً بنفي أو نهي أو استفهام جاز في المستثنى النصب أو الاتباع على البدل على رأي البصريين والإتباع على عطف النسق على رأي الكوفيين(٣) والأرجح الإتباع(٤) نحو قوله تعالى ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾(٥) فالرفع قراءة الجمهور والنصب قراءة أبيّ وابن أبي إسحاق وابن عامر وعيسى بن عمر(٦).

وقوله تعالى : ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾(٧) ، فقوله " إلا قليل " و " إلا الضالون " يجوز نصبهما(٨) .

---

(١) الناقص : يكون المستثنى منه محذوفاً فيعرب الاسم بعد أداة الاستثناء حسب ما يقتضيه العامل مثلها وتكون جملة الاستثناء مسبوقة بنفي أو نهي أو استفهام وهذا النوع يسمى استثناء مُفْرَغاً" أي فرغ العامل لما بعد إلا نحو قوله تعالى ﴿وما محمد إلا رسول ﴾ .

(٢) البقرة : ٢٤٩ .

(٣) انظر الهمع ٢٥٣/٣ ، والكواكب الدرية شرح على متممة الأجرومية للرعيني الشهير بالخطاب للشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل ١٩/١٢ ط . دار الكتب العلمية ، وانظر شفاء العليل في إيضاح التسهيل ٥٠١/١ ، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان ١٤٨/٢ .

(٤) انظر شفاء العليل ٥٠١/١ ، شرح ابن عقيل ٥٥٩/١ ، أوضح المسالك ٢٥٧/٢ .

(٥) النساء : ٦٦ . (٦) انظر البحر ٢٨٥/٣ والدر اللقيط ٢٨٥ .

(٧) الحجر : ٥٦ .

(٨) النصب " الا قليلا ". قراءة ابن عامر " إلا الضالين " جائز والرفع قراءة سبعية ، انظر التبصرة في القراءات :١٨٢ ، والكشاف ٥٣٩/١ ، ٢٩٣/٢ .

الثاني : ما كان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه وليس يسمى منقطعاً وهو قسمان : الأول : ما يمكن فيه أن يتسلط العامل على ما بعد إلا نحو : ما رأيت أحد إلا حماراً وفيه خلاف في لغات العرب لغة الحجازيين وحكم المستثنى فيها النصب وجوباً ولغة تميم وحكمه البدل أي يتبع ما قبله في الإعراب .

والقسم الثاني : ما لا يمكن تسلط العامل على ما بعد إلا وهذا حكم المستثنى النصب باتفاق عند أهل الحجاز وتميم وذلك لتعذر البدل (١) . وهذا النوع ورد فى القرآن الكريم نحو قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾(٢) .

وقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾(٣) .

ذكر أبو حيان عند تفسيره لقولــه تعالى :

"وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا"(٤)

فقال : " هذا الاستثناء منقطع لأنه يندرج تحت " سراً " من قوله ولكن لا تواعدوهن سراً على أي تفسير فسرته . وقال الزمخشري : "إلا أن تقولوا قولاً معروفاً " وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا ، فإن قلت : بم يتعلق حرف الاستثناء ؟ قلت : بـ " لا تواعدوهن " ، أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة ... ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سراً لادائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا

---

(١) انظر شرح المفصل ٢/٨١ .

(٢) يونس : ٩٨ .

(٣) هود : ١١٦ .

(٤) البقرة : ٢٣٥.

بالتعريض "انتهى كلام الزمخشري . ويحتاج إلى توضيح وذلك أنه جعله استثناء متصلاً باعتبار أنه استثناء مفرع ، وجعل ذلك على وجهين : أحدهما أن يكون استثناء من المصدر المحذوف وهو الوجه الذي ذكره وقدّره لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة ، فكان المعنى لا تقولوا لهن قولاً تعدونهن به إلا قولاً معروفاً فصار هذا نظير لا تضربب زيداً ضرباً إلا ضرباً شديداً .

والثاني : أن يكون استثناء مفرعاً من مجرور محذوف وهو الوجه الثاني الذي ذكره وقدره " إلا بأن تقولوا " ثم أوضحه بقوله إلا بالتعريض ، فكان المعنى : لا تواعدوهنّ سراً ، أي نكاحاً بقول من الأقوال إلا بقول معروف وهو التعريض فحذف من ان حرف الجر فيبقى منصوباً أو مجروراً على الخلاف الذي تقدم في نظائره . والفرق بين هذا الوجه والذي قبله ان الذي قبله انتصب نصب المصدر وهذا انتصب على إسقاط حرف الجر وهو الباء التي للسبب . وقوله لا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سراً لادائه إلى قوله لا تواعدوهنّ إلا التعريض ، والتعريض ليس مواعداً فلا يصح عنده أن ينصب عليه العامل ، وهذا عنده على أن يكون منقطعاً نظير ما رأيت أحداً إلا حماراً، لكن هذا لا يصح فيه ما رأيت إلا حماراً ، وذلك لا يصح فيه لا تواعدوهنّ إلا التعريض لأن التعريض لا يكون مواعداً بل مواعداً به النكاح ، فانتصاب " سراً " على أنه مفعول فكذلك ينبغي أن يكون أن تقولوا مفعولاً ولا يصح ذلك منه ، فلا يصح أن يكون استثناء منقطعاً هذا توجيه الزمخشري أن يكون استثناء منقطعاً ، وما ذهب إليه ليس بصحيح لأنه لا ينحصر الإستثناء المنقطع فيما ذكر وهو أن يمكن تلك(١) العامل السابق عليه وذلك أن الاستثناء المنقطع على قسمين : أحدهما ما ذكره الزمخشري وهو أن يتسلط العامل على ما بعد إلا كما مثلنا به في قولك : ما رأيت أحداً إلا حماراً ، وما في الدار أحدٌ إلا حماراً ، وهذا النوع فيه خلاف عن العرب فمذهب الحجازيين

---

(١) مرسومة هكذا في النسخة لكن الأصح تسلط .

نصب هذا النوع من المستثنى ، ومذهب بني تميم اتباعه لما قبله في الإعراب ، ويصلح في هذا النوع أن تحذف الأول وتسلط ما قبله على ما بعد إلا فتقول : ما رأيت إلا حماراً ، وما في الدار إلا حمار ، ويصح في الكلام ما لهم به إلا اتباع الظن . والقسم الثاني من قسمي الاستثناء المنقطع : هو أن لا يمكن تسلط العامل على ما بعد "إلا " وهذا حكمه النصب عنـــــد العرب قاطبة . ومن ذلك ما زاد إلا ما نقص ، وما نفع إلا ما ضر فما بعد إلا لا يمكن أن يتسلط عليه زاد ولا نقص بل يقدّر المعنى ما زاد لكن النقص حصل له وما نفع لكن الضرر حصل فاشترك هذا القسم مع الأول في تقدير إلا بلكن ، لكن الأوّل يمكن تسليط ما قبله عليه ، وهذا لا يمكن ، وإذا تقدر هذا فيكون قوله إلا أن تقولوا استثناء منقطعاً من هذا القسم الثاني وهو ما لا يمكن أن يتوجه عليه العامل والتقدير لكنّ التعريض سائغ لكم وكأن الزمخشري ما علم أن الاستثناء المنقطع يأتي على هذا النوع من عدم توجيه العامل على ما بعد إلا فلذلك منعه"(١).

ومما نصّ عليه أبو حيان يتضح أن الاستثناء المنقطع قسمان ، وقد فرق بينهما وبين ما اختلفت فيه لغات العرب فحيث لا يمكن أن يتوجه العامل إلى ما بعد إلا النصب في المستثنى واجب عند العرب قاطبة يقول أبو حيان عند تفسيره قوله تعالى :

---

(١) البحر ٢/٢٢٧ - ٢٢٩ وانظر الكشاف ١/٢٧٢ .

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ (١) .

" إلا قليلاً " استثناء منقطع أي لكن قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم ولا يصح أن يكون استثناءً متصلاً مع بقاء التحضيض(٢) على ظاهره لفساد المعنى وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب وغيره يراه منفياً من حيث معناه انه لم يكن فيهم أولو بقية ولهذا قال الزمخشري بعد أن منع أن يكون متصلاً (فان قلت) في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان القرون أولوا بقية إلا قليلاً كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الأفصح أن يرجع على البدل . وقرأ زيد بن علي " إلا قليل " بالرفع لحظ أن التحضيض تضمن النفي فأبدل كما يبدل في صريح النفي وقال الفراء : المعنى : فلم يكن لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد وأبى الأخفش كون الاستثناء منقطعاً . والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركوا النهي عن الفساد وما أترفوا فيه "(٣) .

وفي قوله تعالى :

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾(٤)

---

(١) هود : ١١٦ ، انظر الهمع ٣/٢٥٦ وحاشية الصبان ٢/١٥٠، وانظر شرح متممة الآجرومية ٢/٤١ ، والكواكب الدرية ٢/٤٢ .

(٢) لولا / هنا للتحضيض .

(٣) البحر ٥/٢٧١-٢٧٢ ، والنهر الماد من البحر ٢٧١ وانظر معاني القرآن للفراء ١/١٦٧، شرح الكافية للرضي ١/٢١ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، والبرهان في علوم القرآن ٤/٢٣٦-٢٣٧ ، والمقتضب للمبرد ٤/٤١٦ ، وانظر الكتاب ٢/٣٢٥ .

(٤) هود : ٨١ .

خرج الآية على أن فيها استثناء واجب النصب فقال " فقيل الذي يظهر ان الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات وجعل استثناء منقطعاً كان الاستثناء الذي لم يتوجه عليه العامل بحال . وهذا النوع من الاستثناء المنقطع يجب النصب فيه باجماع من العرب وليس فيه النصب والرفع باعتبار اللغتين ، وإنما هذا في الاستثناء المنقطع وهو الذي يمكن توجه العامل عليه . وفي كلا النوعين يكون ما بعد إلا من غير جنس المستثنى منه ... وهو قد فرض انه لم يقصد بالاستثناء اخراجها عن المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات فكان يجب فيه إذ ذاك النصب قولاً واحداً »(١) . وفي قوله تعالى :

﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾(٢)

نص أبو حيان : ويكون الاستثناء منقطعاً أي لكن من رحمة الله معصوم وجوزوا أن يكون من الله تعالى أي لا عاصم إلا الراحم وأن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة .. والمراد به هنا المعصوم أو فاعل بمعنى مفعول فيكون عاصم بمعنى معصوم كما دافق بمعنى مدفوق وقال الشاعر :

بطيء القيام رخيم الكلام أمسى فؤادي به فاتنا

وقرئ إلا من رحم بضم الراء مبنياً للمفعول وهذا يدل على أن المراد بمن في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء هو المرحوم لا الراحم "(٣) .

---

(١) البحر : ٥/٢٤٨ ، والنهر الماد ٢٤٧ قرأه السبعة بالنصب في قوله " امرأتك " راجع الكشاف ٢/٢٨٤ ، وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/١٥٠ .

(٢) هود : ٤٣ .

(٣) البحر ٥/٢٢٧ ، والنهر الماد ص ٢٢٤ ، وانظر معاني القرآن للأخفش ٢/٣٥٧ ، والبرهان ٤/٢٣٦ – ٢٣٨ ، والكتاب ٢/٣٢٥ وحاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية ٢/١٥١ ، والكشاف ٢/٢٧١ .

أما إذا أمكن توجه العامل إلى ما بعد إلا فهذا ما اختلفت فيه مذاهب العرب في لغاتهم يقول أبو حيان ما نصه " فمذهب الحجازيين نصب هذا النوع من المستثنى ، ومذهب بني تميم اتباعه لما قبله في الإعراب ويصلح في هذا النوع أن تحذف الأول وتسلط ما قبله على ما بعد إلا فتقول : ما رأيت إلا حماراً ، وما في الدار إلا حمار "(١) .

وذكر من الآيات الواردة على هذا النوع وتوجيهها قال : " وقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾(٢) أن " إلا أماني " استثناء منقطع لأن الأماني ليس من جنس الكتاب ولا مندرجة تحت مدلوله وهو أحد قسمي الاستثناء المنقطع وهو الذي يتوجه عليه العامل ، ألا ترى أنه لو قيل لا يعلمون إلا أمانيّ لكان مستقيماً . وهذا النوع من الاستثناء يجوز فيه وجهان : أحدهما : النصب على الاستثناء وهي لغة أهل الحجاز والوجه الثاني الاتباع على البدل بشرط التأخر وهي لغة تميم فنصب أماني من الوجهين "(٣) .

ومنها قوله تعالى ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾(٤) .

يقول أبو حيان موجهاً " والجمهور على أن " إلا اتباع الظنّ " استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم أي ولكن اتباع الظن لهم . وقال الزمخشري : يعني ولكنهم يتبعون الظن وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب

---

(١) البحر ٢٢٨/٢ وانظر الكتاب ٣١٩/٢ تحقيق : عبد السلام هارون ، والمقتضب للمبرد ٤١٢/٤-٤١٤ ، والمغني ٦٢٢/٢ ، والتبصرة والتذكرة ٣٧٩/١ ، وشذور الذهب ٢٦٥ ، والهمع ٢٥٦/٣ ، وانظر شفاء العليل في إيضاح التسهيل ٥٠١/١ ، والكواكب الدرية شرح على متممة الأجرومية للرعيني الشهير بالخطاب للشيخ محمد بن الأهدل ٤١/٢ وشرح ابن عقيل ٦٠٠/١ ، وأوضح المسالك ٢٦١/٢، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٧٠٣/٢ .

(٢) البقرة : ٧٨ .

(٣) البحر ٢٧٥/١ ، النهر الماد نفس الصفحة .

(٤) النساء : ١٥٧ .

. وقال ابن عطية هو استثناء متصل إذ الظن والعلم يضمهما أنهما من معتقدات اليقين وقد يقول الظان على طريق التجوز علمي في هذا الأمر أنه كذا وهو يعني ظنه انتهى. وليس كما ذكر لأن الظن ليس من معتقدات اليقين لأنه ترجيح أحد الجائزين وما كان ترجيحاً فهو ينافي اليقين كما أن اليقين ينافي ترجيح أحد الجائزين وعلى تقدير أن الظن والعلم يضمهما ما ذكر فلا يكون أيضاً استثناء متصلاً لأنه لم يستثني الظن من العلم فليست التلاوة ما لهم به من علم إلا الظنّ وإنما التلاوة إلا اتباع الظنّ والاتباع للظن لا يضمه والعلم جنس ما ذكر "(١) .

كما ذكر مذاهب النحاة في تخريج قوله تعالى :

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾(٢) فقال :

" قرأ الجمهور " إلا من ظلم " مبنياً للمفعول ... وهذا الاستثناء متصل على تقدير حذف مضاف أي إلا جهر من ظلم . وقيل الاستثناء منقطع والتقدير : لكن المظلوم له أن ينتصف .. والفاعل محذوف وبالجهر في موضع نصب . و من أجاز أن ينوى في المصدر بناؤه للمفعول الذي لم يسم فاعله قدر أن بالسوء في موضع رفع التقدير أن يجهر مبنياً للمفعول الذي لم يسم فاعله،وجوّز بعضهم أن يكون من ظلم بدلاً من ذلك الفاعل المحذوف التقدير إن أحد إلا المظلوم،وهذا مذهب الفراء أجاز الفراء فيما قام إلا زيد أن يكون زيد بدلاً من أحد وأما على مذهب الجمهور فانه يكون من المستثنى الذي فرغ له العامل فيكون مرفوعاً على الفاعلية بالمصدر وحسن ذلك كون الجهر في حيز النفي وكأنه قيل لا يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم . وقرأ ابن عباس وابن عمر وابن جبير وعطاء بن السائب والضحاك وزيد بن أسلم وابن أبي اسحاق ومسلم بن يسار والحسن وابن المسيب وقتادة وأبو رجاء إلا من ظلم مبنياً للفاعل وهو استثناء منقطع فقدره الزمخشري لأن الظالم راكب ما لم يحبه الله فيجهر بالسوء ..

---

(١) البحر ٣/٣٩٠ – ٣٩١ ، والنهر الماد ٣٩٠ والدر ٣٩١ .

(٢) النساء : ١٤٨ .

وقـال قوم تقـديره لكن من ظلـم ، فهـو يجهـر بالسوء وهـو ظالم في ذلك . فهي ثلاثة تقادير في هذا الاستثناء المنقطع أحدها :راجع للجملة الأولى وهي لا يحب كأنه قيل لكن الظالم يحب الجهر بالسوء فهو يفعله ، والثاني : راجع إلى فاعل الجهر أي لا يحب الله أن يجهر أحـــــد بالسوء لكن الظالم يجهر بالسوء ، والثالث : راجع إلى متعلق الجهر الفضلة المحذوفة أي أن يجهر أحدكم لأحد بالسوء لكن من ظلم فاجهروا له بالسوء . قال ابن عطية : " وإعراب من يحتمل في بعض هذه التأويلات النصب ويحتمل الرفع على البدل من أحد المقدر انتهى.ويعني بأحد المقدر في المصدر إذا التقدير أن يجهر أحد وما ذكره من جواز الرفع على البدل لا يصح وذلك ان الاستثناء المنقطع على قسمين : قسم يسوغ فيه البدل وهو ما يمكن توجه العامل عليه نحو : ما في الدار أحد إلا حمار فهذا فيه البدل في لغة تميم والنصب على الاستثناء المنقطع في لغة الحجاز وإنما أجاز فيه البدل لأنك لو قلت : ما في الدار إلا حمار ، صح المعنى ، وقسم يتحتم فيه النصب على الاستثناء ولا يسوغ فيه البدل وهو ما لا يمكن توجه العامل عليه نحو المال ما زاد إلا النقص ، التقدير لكن النقص حصل له فهذا لا يمكن أن يتوجه زاد على النقص لأنك لو قلت : ما زاد إلا النقص ، لم يصح المعنى . والآية من هذا القسم لأنك لو قلت : لا يحب الله أن يجهر بالسوء إلا الظالم ، فيفرغ أن يجهر لأن يعمل في الظالم لم يصح المعنى .. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكـــون مرفوعاً كأنه قيل : لا يجب الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول : ما جاء ني زيد إلا عمرو . بمعنى ما جاء ني إلا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله انتهى. وهذا الذي جوزه الزمخشري لا يجوز لأنه لا يمكن أن يكون الفاعل يذكر لغواً زائداً ولا يمكن أن يكون الظالم بدلاً من الله ولا عمرو بدلاً من زيد لأن البدل في هذا الباب راجع في المعنى إلى كونه بدل بعض من كل اما على سبيل الحقيقة نحو : ما قام القوم إلا زيد ، وأما على سبيل المجاز نحو : ما في الدار أحد إلا حمار . وهذا لا يمكن فيه البدل المذكور لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز .. وأما ما يجوز فيه البدل من الاستثناء المنقطع فإنه يتخيل فيما قبله عموم ، ولذلك صح البدل منه على طريق المجاز وإن لم يكن بعضاً من المستثنى منه حقيقة . وأما قول الزمخشري على لغة من يقول ما جاء ني زيد إلا عمرو فلا نعلم هذه اللغة إلا أن في كتاب سيبويه بعد أن

أنشد أبياتاً من الاستثناء المنقطع آخرها قول الشاعر :

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفيّ المصمم

ما نصه وهذا يقوي ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه اخوانكم إلا اخوانه لانها معارف ليست الأسماء الآخرة بها ولا منها . انتهى كلام سيبويه . ولم يصرح ولا لوح ان قوله ما أتاني زيد إلا عمرو من كلام العرب » (١) .

وفي قوله عز وجل ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾(٢) .

ذكر القراءات الواردة فيها فقراءة السبعة بنصب " امرأتك " والرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو(٣).ووجه هذه القراءة بقوله : " فوجه النصب على أنه استثناء من قوله " بأهلك " إذ قبله أمر ، والأمر عندهم كالواجب ويتعين النصب على الاستثناء من أهلك في قراءة عبدالله اذ سقط في قراءته وفي مصحفه ولا يلتفت منكم أحد وجوزوا أن يكون منصوباً على الاستثناء من أحد وإن كان قبله نهي والنهي كالنفي على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر ما فعلوه إلا قليلاً منهم بالنصب وان كان قبله نفي ، ووجه الرفع على أنه بدل من أحد وهو استثناء متصل... وقيل الذي يظهر ان الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به إخراجها من المأمور بالإسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استؤنف الاخبار عنها ، فالمعنى لكن امرأتك .. ويؤيد هذا المعنى أن مثل هذه الاية جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناء ألبتة ، قال تعالى (فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون) فلم تقع العناية في ذلك إلا بذكر من أنجاهم ... وإذا اتضح هذا المعنى علم أن القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربية في

---

(١) البحر ٣٨٢/٣ - ٣٨٤ ، والنهر الماد ٣٨٢-٣٨٣ ، والدر ٣٨٣-٣٨٤ ، وانظر الكشاف ٥٧٦/١ .

(٢) هود : ٨١ .

(٣) البحر ٢٤٨/٥ ، انظر معاني القرآن للأخفش ٣٥٧/٢ ، وانظر الكشاف ٢٨٤/٢ .

الاستثناء المنقطع ففيه النصب والرفع فالنصب لغة أهل الحجاز وعليه الأكثر ، والرفع لبني تميم وعليه اثنان من القراء انتهى . فكونه جاز فيه اللغتان دليل على انه مما يمكن ان يتوجه عليه العامل »(١) .

كما وجه قراءة نصب ورفع قوله تعالى :

﴿ وَمَا لِأَحدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾(٢) ، فقال : " وقرأ الجمهور بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لأنه ليس داخلاً في من نعمة . وقرأ ابن وثاب بالرفع على البدل في موضع نعمة لأنه رفع وهي لغة تميم وأنشد بالوجهين قول بشر بن أبي حازم :

أضحت خلاء قفاراً لا أنيس بها إلا الجآذر والظلمات تختلف

وقال الراجز في الرفع :

وبلـــدة لـــيس بهــــا أنـيس إلا اليعـــافـــير وإلا العيس

وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون ابتغاء وجه الله مفعولاً له على المعنى لأن معنى الكلام لا يُؤتِي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا مكافأة نعمة انتهى . وهذا أخذه من قول الفراء . قال الفراء : ونصب على تأويل ما أعطيك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله "(٣) .

ويستخلص مما سبق من نقول أن في جملة الاستثناء الذي يمكن توجه العامل قبل " إلا " على ما بعدها اختلاف لغات العرب في إعراب الاسم الواقع

---

(١) البحر ٢٤٨/٥ ، ٢٤٩ ، والنهر الماد ٢٤٧ .

(٢) الليل : ١٩ .

(٣) البحر ٤٨٤/٨ وانظر معاني القرآن للفراء ٤٧٩/١- ٤٨٠ ، ٢٧٣/٣ ، وانظر الكشاف ٢٦٢/٤، والمقتضب للمبرد ٤١٢/٤ ، ٤١٣ .

بعد إداة الاستثناء في هذا النوع من الاستثناء ، فلغة الحجازيين النصب على الاستثناء وجوباً ، ولغة تميم تختار الاتباع أي جعل ما بعد إلا تابعاً لما قبلها في الإعراب .

يقول سيبويه " وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك قولك ما فيها أحدٌ إلاّ حماراً ، جاءوا به على معنى ولكنّ حماراً ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول ، فيصير كأنه من نوعه ، فيحمل على معنى ولكن ، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم . وأما بنو تميم فيقولون : لا أحد فيها إلاّ حمارٌ ، أرادوا ليس فيها إلاّ حمارٌ ولكنه ذكر أحداً توكيداً لأن يُعلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل ، قال الشاعر ، وهو أبو ذؤيب الهذلي :

فإن تمْسِ في قبرٍ برهوة ثاوياً   أنيسُك أصداءُ القبور تصيـــح

وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة الذبياني :

يا دار مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ   أقْوَتْ وطال عليها سالف الأبدِ

وقفتُ فيها أُصَيْلاناً أُسائلُها   عَيَّتْ جـواباً وما بالربْعِ من أحَدِ

إلاّ أواريُّ لأيــاً ما أبينها   والنُّؤْيُ كالحوض بالمظْلومة الجَلَدِ

وأهل الحجاز ينصبون . ومثل ذلك قوله :

وبلــدةٍ ليـس بهـا أنيسُ   إلاّ اليعــافيرُ وإلا العيــسُ "(١)

فالشاهد رفع " أواريُّ ، و اليعافير ، والعيس "بعد إلا . يقول المبرد : "والوجه النصب وهو إنشادُ أكثر الناس "(٢) . فبنو تميم يجيزون الإتباع ويرجحون

---

(١) الكتاب ٢/٣٠٩ - ٣٢٢ وانظر المقتضب للمبرد ٤/٤١٤ والهمع ٣/٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) المقتضب ٤/٤١٤ .

النصب(١) . والنصب أفصح من البدل وهو على أصل اللغات وبه جاء التنزيل الحكيم(٢) .

ولغة الإتباع قليلة بالنسبة للأولى . وقد علل سبب النصب في لغة الحجازيين والاتباع عند بني تميم فقيل وجه النصب لأن الكلام يقدر بلكن(٣) وقيل مقدر بـ " سوى "(٤).

أما الاتباع فوجهه كما قال سيبويه " لا أحد فيها إلاّ حمارٌ ، أرادوا ليس فيها إلاّ حمارٌ ولكنه ذكر أحداً توكيداً لأن يُعلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل فكأنه قال : ليس فيها إلاّ حمارٌ . وإن شئت جعلته إنسانها "(٥) .

ومن كل ما سبق يظهر لنا اتفاق لغة الحجازيين والتميميين في نصب المستثنى بإلا إذا صح إغناؤه عن المستثنى منه ، لكن الحجازيون يوجبون النصب والتميميون يرجحونه ويجيزون البدل وهذه ظاهرة ينفردون بها عن أهل الحجاز .

---

(١) انظر أوضح المسالك ٢/٢٦١ ، والمغني ٢/٦٢٢ وحاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية ٢/١٤٧ ، والكشاف ٢/٢٨٤ .

(٢) انظر الارتشاف ٢/٢٣ وشرح المفصل لابن يعيش ٢/٧٩ ، وانظر شرح الاشموني مع حاشية الصبان ٢/١٥٦ وشرح المفصل ٢/٨١ والشذور ٢٦٥ ، والكواكب الدرية شرح على متممة الأجرومية للرعيني الشهير بالخطاب ٢/٤١ .

(٣) مذهب البصريين لأنه في حكم جملة منفصلة عن الأولى .

(٤) مذهب الكوفيون ، انظر الهمع ٣/١٤٩ ، ٢٥٠ ، وانظر الكتاب ٢/٣١٩ ، وانظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٢٦٦ .

(٥) الكتاب ٢/٣١٩ – ٣٢٠ ، وانسانها أي نزلته منزلة العاقل ادعاء ومجازاً . انظر شرح جمل الزجاجي ٢/٢٦٧ .

المبحث الثاني - نصب " غير " إذا جاءت بمعنى " إلا " مطلقاً تم الكلام قبلها أو لم يتم*:

من الألفاظ الدالة على الاستثناء (غير) وحكم المستثنى بعدها أن يجر بإضافته إليها أما حكمها فحكم الاسم الواقع بعد إلاّ من النصب وجوباً ، وجواز الإتباع واختيار النصب وتسلط العامل عليها وإعرابها حسب موقعها في الجملة يظهر ذلك عند ذكر أبي حيان القراءات في قوله تعالى :

﴿ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾(١)

يقول : " وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو جعفر والكسائي " غيره " بالجر على لفظ اله بدلاً أو نعتاً ، قرأ باقي السبعة(٢) " غيره " بالرفع عطفاً على موضع من إله لأن من زائدة بدلاً أو نعتاً . وقرأ عيسى بن عمر " غيره " بالنصب على الاستثناء والجر والرفع أفصح ومن إله مبتدأ ولكم في موضع الخبر "(٣) .

هذا ما ذكره أبو حيان من توجيه للقراءات في قوله عز وجل " غيره " حيث فيها النصب على الاستثناء والجر والرفع على الاتباع وقيل النصب مطلقاً لغة لبعض العرب ، قال أبو حيان أن (غير) إذا جاءت بمعنى (إلا) فلغة أسد وقضاعة نصبها ومابعدها يكون مجروراً بها وحكم (غير) حكم الاسم الذي بعد (إلا) فترفع نحو ما قام غيرُ زيدٍ وتنصب نحو : ما جاءني غيرُ زيدٍ على الاتباع

(*) المراد بالكلام التام ما كان المستثنى منه مذكوراً ، انظر الكتاب ٢/٣٤٣ وشرح الكافية ٢/٧٧.

(١) الأعراف ٥٩ .

(٢) قراءة الرفع كما في المصحف لأبي عمرو وشيبة ونافع وعاصم وحمزة .

(٣) البحر ٤/٣٢٠ والنهر الماد من البحر ٣١٩-٣٢٠ وانظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٥ والمغني ١/١٧٠-١٧١، والتبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب ص ٢٠٣ ، وكتاب الاقناع في القراءات السبع ٢/٦٤٧ .

للاسم الذي قبلها والنصب أرجح وأجاز الفراء فتح (غير) مطلقاً قال لتضمنها معنى (إلا) فيقال : ما جاء غير زيد ، وما جاء غيرك ، بالنصب . قال بعض أسد وقضاعة إذا كانت غير في معنى (إلا) ينصبونها تم الكلام قبلها أم لا(١).

قال سيبويه : " وكل موضع جاز فيه الاستثناء بإلاّ جاز بغير وجرت مجرى الاسم الذي بعد إلا ، لأنه اسمٌ بمنزلته وفيه معنى إلا "(٢) .

وقال الفراء عند تفسيره الآية السابقة : " تجعل غير نعتاً للإله وقد يرفع يجعل تابعاً للتأويل في إله ألا ترى أن الإله لو نزعت منه " من " كان رفعاً وقد قرئ بالوجهين جمعاً . وبعض بني أسد وقضاعة إذا كانت (غير) في معنى إلا نصبوها ، تم الكلام قبلها أو لم يتم فيقولون : ما جاءني غيرك ، وما أتاني أحد غيرَك . قال : وأنشدني المفضَّل :

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت حمامةٌ من سحوق ذات أوقال

فهذا نصب وله الفعل والكلام ناقص . وقال الآخر :

لا عيب فيها غيرَ شهلة عينهــا كذاك عِتاق الطير شُهْلا عيونُها

فهذا نصب والكلام تام قبله »(٣) .

وذكر النحاس أن قراءة الرفع لأبي عمرو وشيبة ونافع وعاصم وحمزة وقراءة الخفض ليحيى بن وثاب والأعمش والكسائي وأبو جعفر وقال :

---

(١) الإرتشاف ٢/٣٢٢ بتصرف ، وانظر : الهمع ٣/٢٧٧-٢٧٨ ، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ١٦٩ ت: سدني جليزر ، والصحاح ٢/٧٧٦ ، والمصباح المنير ٢/١١٣ ، واللسان ٥/٣٩ ، ١١/٣٧٣ .

(٢) الكتاب ٢/٣٤٣ ، وانظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢/٢٧٧-٢٧٨ ، وعدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ت : محمد محي الدين عبد الحميد ٢/٢٧٧ .

(٣) معاني القرآن ١/٣٨٢ - ٣٨٣ ، وانظر البرهان في علوم القرآن ٤/٢٩٣ .

[قال أبو عمرو : ولا أعرف الجر ولا النصب وقال عيسى بن عمر : النصب والجر جائزان . قال أبو جعفر : والرفع من جهتين : إحداهما أن يكون (غير) في موضع (إلاّ) فنقول : ما لكم من إله إلا الله وما لكم من إله غيرُ الله فعلى هذا الوجه لا يجوز الخفض ، لا يجوز : ما جاء ني من أحدٍ إلا زيد ، لأن مِنْ لا يكون إلاّ في الواجب . قال سيبويه : لأن " على " و " عن " لا يُفعل بهما ذلك أي لا يزاد أن البتة ثم قال : ولا " مِنْ " في الواجب ، والوجه الآخر في الرفع أن يكون نعتاً على الموضع أي ما لكم إله غيرُهُ والخفض على اللفظ ، ويجوز النصب على الاستثناء وليس بكثير غير أن الكسائي والفراء أجازا نصب (غير) في كل موضع يحسن فيه " إلاّ " في موضعها تم الكلام أو لم يتم وأجازا ما جاء ني غيرَك . قال الفراء : هي لغة بعض بني أسد وقضاعة وأنشد :

لَمْ يَمنَع الشُّربَ مَنْها غَيْرَ أنْ هتفت   حمامةٌ من سُحُوقٍ ذاتِ أوقال

قال الكسائي : لا يجوز جاء ني غيرَك لأن إلاّ لا تقع ههنا ، قال أبو جعفر : لا يجوز عند البصريين نصب غير إذا لم يتم الكلام وذلك عندهم من أقبح اللحن . قال أبو إسحاق : وإنما استهواه – يعني الفراء – البيت الذي أنشده سيبويه منصوباً وانما نُصبَ غير في البيت لأنها مضافة إلى ما لا إعراب فيه فأما جاء ني غيرَك فلحن وخطأ "(١) .

مما سبق يلحظ أن (غير) تُعامل معاملة الاسم الواقع بعد إلا من وجوب النصب وجواز النصب أو الاتباع على أنها بدل فوجب النصب لغة الحجازيين وجواز النصب أو البدل لغة تميم إذا كان الاستثناء منقطعاً أي مما يمكن تسلط العامل فيه على المستثنى نحو ما في الدار أحد غيرَ حمار ووجوب النصب عند الجميع إذا كان متصلاً أو كان منقطعاً ولا يمكن فيه تسليط العامل على المستثنى نحو : قام القوم غيرَ زيد ، ما نفع هذا المال غيرَ الضرر ، كما أنها

---

(١) إعراب القرآن ٢/١٣٤ – ١٣٥ .

تعرب حسب موقعها في الجملة في الاستثناء المفرَّغ والاسم بعدها دائماً مجروراً بإضافته إليها .

هذا عند عامة العرب غير أن قضاعة وأسد(١) خالفت المشهور في لغة العرب في إعراب هذه اللفظة إذا أتت بمعنى " إلا " ففي لغتهم تنصب (غير) مطلقاً سواءً تم الكلام قبلها أو لم يتم وهذا ما رواه الفراء عنهم وهذا خلاف ما ذكره النحاس من أن مذهب البصريين أنهم لا يجيزون نصب غير إذا لم يتم الكلام قبلها وهو عندهم من أقبح اللحن(٢) . وميل قضاعة وأسد إلى النصب مطلقاً إنما هو دأب القبائل البدوية من اللجوء إلى الأسهل والأيسر في النطق .

---

(١) زاد في المصباح المنير نهشل : ١١٣/٢.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس : ١٣٤/٢ - ١٣٥ .

الفصل الرابع
إختلاف لغات الحجازيين وبني تميم
في إعراب بعض المصادر
والضمير المتوسط بين المبتدأ والخبر

أولا - المصدر بعد " أما " .

ثانيا - إعراب المصدر المعرف بـ " أل " في لغة تميم .

ثالثا - إعراب ضمير الفصل .

أولا - المصدر بعد " أمّـا " (١) :

" أمّا " حرف فيه معنى الشرط ، وقيل حرف تفصيل ، وقيل للتوكيد وأنه مؤول بمهما يكن من شيء فهو حرف ضمن معنى الشرط لأنه تلزمه الفاء بعدما يليه مثل : أما زيدٌ فمنطلق ، ولا يليه فعل ولا تحذف الفاء فيما يليها إلا في ضرورة(٢).

وما يليها دائماً اسم مصدر(٣) لأنها تغني عن الشرط وفعله أي تنوب عنهما ، وللعرب في إعراب الاسم بعدها مذاهب :

- مذهب بني تميم وهو جواز نصبه وجواز رفعه والنصب أرجح إذا كان نكرة .

- ومذهب أهل الحجاز وهو وجوب النصب فقط .

أما إذا كان معرفة فمذهب تميم وجوب رفعه والحجازيون يجيزون النصب والرفع . يقول أبو حيان في ذلك عند تفسير قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾(٤): (أما " حرف وفيه معنى الشرط وبعضهم يعبر عنها بحرف تفصيل وبعضهم بحرف اخبار وأبدل بنو تميم الميم الأولى ياء فقالوا " أيما ". وقال سيبويه(٥) في تفسير "أما" المعنى مهما يكن من شيء فزيد ذاهب والذي يليها مبتدأ وخبر وتلزم الفاء فيما ولي الجزاء الذي يليها إلا إن كانت الجملة دعاء فالفاء فيما يليها ولا يفصل بغيرها من الجمل بينها وبين

---

(١) بالفتح والتشديد .

(٢) ينظر البحر : ١١٩/١، الكتاب ٢٣٥/٤ ت: هارون ، المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل : ٢٣٣/٣ ، والمغني : ٥٧/١ ، شرح الشافية الكافية : ١٦٤٧/٣ ، الهمع : ٣٥٤/٤.

(٣) انظر الهمع : ٣٥٩/٤ .

(٤) البقرة : ٢٦ .

(٥) انظر الكتاب : ٣٨٤/١ ، ٣٩ .

الفاء ، وإذا فصل فلا بد من الفصل بينها وبين الجملة بمعمول يلي "أما" ولا يجوز أن يفصل بين "أما" وبين الفاء بمعمول خبر أن وفاقاً لسيبويه وأبي عثمان وخلافاً للمبرد وابن درستويه ، ولا بمعمول خبر ليت ولعل خلافاً للفراء ومسألة "أما" علماً فعالم يلزم أهل الحجاز فيه النصب وتختاره تميم وتوجيه هاتين المسألتين مذكور في النحو"(١).

وقال :" وقال سيبويه : وقد يرفع في لغة تميم والنصب في لغتها أحسن ، وتخصيصه الرفع في لغة تميم دليل على أن غيرهم من العرب ينصب المنكر ، ولا نصٌ فيه على تعيين أن أهل الحجاز ينصبون ، وقال ابن مالك : وتلزم أهل الحجاز النصب ، فإن أدخلت (أل) رفع بنو تميم فتقول : أمّا العلم فعالم وهو عند أهل الحجاز يجوز فيه الرفع وهو الأكثر ، وقد ينصبونه والنصب في ذي (آلْ) على أنه مفعول من أجله مذهب سيبويه ، وذهب الأخفش على أنه والمنكر مفعول مطلق منصوب مؤكد في التعريف (بألْ) والتنكير"(٢) .

وقد وجه سيبويه هذه المسألة فقال : " باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور وذلك كقولك : أمّا سميناً فسمينٌ وأمّا علماً فعالمٌ ، وزعم الخليل رحمه الله أنه بمنزلة قولك : أنت الرجل علماً وديناً وعمل فيه ما قبله ومابعده ، ومن ذلك قولك : أمّا علماً فلا علم له ، وأمّا علماً فلا عنده ، وأمّا علماً فلا علم وتضمر له لأنك إنما تعني رجلاً . وقد يرفع هذا في لغة تميم ، والنصب في لغتها أحسن لأنهم يتوهمون الحال فإن أدخلت الألف واللام رفعوا لأنه يمنع من أن يكون حالاً.

وتقول : أما العلمُ فعالمٌ بالعلم ، وأمّا العلمَ فعالمٌ بالعلم بالنصب على أنك لم تجعل العلم الثاني العلمَ الأول الذي لفظت به قبله كأنك قلت : أمّا

---

(١) البحر : ١/١١٩ .

(٢) الإرتشاف : ٢/٣٢٦.

العلمَ فعالمٌ بالأشياء وأما الرفع فعلى أنه جعل العلمَ الآخر هـو العلمَ الأول فصار كقولك : أمّا العلمُ فـأنا عـالم به ، وأمـا العلمُ فـمـا اعلمني به . فـهـذا الرفع لأنّ المضمر هو العـلم، فصار كقولك : أما العلم فحسنٌ . وقد ينصب أهل الحجاز في هذا الباب بالألف واللام ؛ لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غير الحال ، وبنو تميم كأنهم لا يتوهمون غيره ؛ فمن ثم لم ينصبو في الألف اللام ، فكأن الذي توهم أهل الحجاز الباب الذي ينتصب لأنه موضوعٌ له نحو قولك : فعلتـــه مخافة ذلك قولهم أمّا النيل فنبيلٌ .. وعلى هذا الباب فأجْرِ جميع ما أجريته نكرةً حالاً إذا أدخلتَ فيه الألف واللام ، قال الشاعر :

ألا ليت شعْري هل إلى أمِّ مَعْمَرٍ

سبيلٌ فأمّا الصبر عنها فلا صبرا(١)

وأما بنو تميم فيرفعون لما ذكرتُ لك ، فيقولون : أمّا العلمُ فعالمٌ كأنه قال : فأنا أو فهو عالمٌ به "(٢) .

وقال فـي الصـفـات الواقعة بعـد أمّا أنها تعرب حـالاً ، قـال : " ومما ينتصب مـن الصفـات حـالاً كما انتـصب المصـدر الـذي يوضع مـوضعه ولا يكون إلاّ حالاً ، قوله : أمّا صديقاً مصاحباً فليس بصديق مسافٍ وأمّا طاهراً فليس بطاهر(٣)، وأمّا عالماً فعالمٌ . فهذا نصبٌ لأنه جعله كائناً في حال علمٍ وخارجاً من حالُ طهورٍ(٤) ومصادقة... والرفع لا يجوز هنا ؛ لأنك أضمرت صاحب الصفة فلم تضمرْ مذكوراً قبل كلامك وهو العلم ، فمن ثم حسن في هذا الرفع ولم يجز الرفع فـي الصفــة ، ولا يكـون فـي الصفة الألـفُ والـلام، لأنّـه ليـس بمصدر فيكـون

---

(١) للرماح بن ميادة . الكتاب : ٣٨٦/١ .

(٢) الكتاب : ٣٨٥/١ .

(٣) صححه المحقق بقوله " ظاهر " .

(٤) صححه المحقق " بظهور " .

جواباً لقوله لِمَ ؟ "(١) . ورأى ابن مالك أن الحجازيين ينصبون المصدر بعد " أمّا " مطلقاً فيقولون أمّا العلمَ ، أو أمّا علماً ، فزيدٌ عالم ، بالنصب فيهما ، والتميميون يرفعوه معرفةً ، وينصبونه نكرة ، وقد يرفعونه (٢).

نجد مما سبق اختلاف لغات العرب في إعراب المصادر الواقعة بعد أمّا حيث يلتزمون الرفع والنصب وأحياناً نراهم يجيزونهما ، فالرفع لتميم والنصب للحجاز وهذا يتناسب مع طبيعة بيئة كل منهما فبنو تميم معظمهم بدو ومن ثم يلتزمون الرفع إذا كان المصدر معرفة وهذا من سمات نطق البدو وأهل الحجاز معظمهم حاضرة فيتجانس النصب مع طبيعة نطق الحاضرة لذا نراهم يلتزمون نصب المصدر إذا كان نكرة يضاف إلى ذلك أن اللغة التميمية كأنها في وجوب رفع المصدر معرفة جرت على قواعد الفصحى والحجازية في وجوب النصب في المصدر النكرة جرت أيضاً لغتها على الفصحى فالحال لا يكون إلا نكرة وليس فيه إلا النصب والمبتدأ الأصل فيه كونه معرفة ولا يبتدأ بنكرة إلا إذا أفادت ، ولإفادتها مسوغات ذكرها النحاة في مصنفاتهم وليس منها قول " أما علم فعالم " ولا ينكر ذلك لغة لأنها مسموعة ، وإنما ما سار على سنن العربية والقواعد التي وضعها النحاة فنعتبرها . ونقول عن جواز رفع تميم للمصدر النكرة أنه منسجم مع طبيعة نطق هذه القبيلة ليس إلا ، وكذا إذا كان معرفة أوجب الرفع وعليه تميم وجاء على الفصحى وجوز النصب وعليه أهل الحجاز وهو ثابت مسموع اختاروه بما يتناسب مع طبيعة نطق القبائل الحضرية الحجازية مع جواز الرفع عندهم ، فمن جوز الرفع في المصدر النكرة والمصدر المعرفة فأغلب الظن – بل هو يقارب الحقيقة – القبائل المتبدية من تميمية وحجازية . والذين جوزوا النصب وأوجبوه في المصدر النكرة والمصدر المعرفة المتحضرون من كلتا القبيلتين فميل تميم إلى الرفع يشعر ببدأ

---

(١) الكتاب : ١/٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) انظر المساعد على تسهيل الفوائد على شرح التسهيل لابن مالك لابن عقيل : ٣/٢٢٨ .

انتقال لغتها من مرحلة إلى أخرى وهذا ما يسمى تطور من ذلك قول سيبويه : "وقد يرفع في لغة تميم والنصب أحسن في لغتها"(١) ، وقال :" وقد ينصب أهلُ الحجاز في هذا الباب بالألف واللام لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غير الحال "(٢) . فالرفع في المعرفة على الابتداء متفق عليه وهذا الأقيس الصحيح ، ونصب المنكر لا خلاف فيه على الحالية ، وهذا جارٍ أيضاً على القياس . يقول السيوطي :" ورفع المصدر الواقع بعد أمّا جائز في لغة تميم ، قالوا : أما علم فعالمٌ ، أي فهو عالم مع ترجيحهم النصب ، فإنْ وقع بعد أمّا معرفة فالأرجح عند الحجازيين رفعه وأوجبه بنو تميم نحو : أما العلمُ فعالمٌ"(٣).

ويقول أبو حيان : " وتخصيصه الرفع في لغة تميم دليل على أن غيرهم من العرب ينصب المنكر ولا نصّ فيه على تعيين أن أهل الحجاز ينصبون ، وقال ابن مالك : وتلزم أهل الحجاز النصب فإن أدخلت " أل " رفع بنو تميم فيقول : أمّا العلمُ فعالمٌ وهو عند أهل الحجاز يجوز فيه الرفع وهو الأكثر وقد ينصبونه ، والنصب في ذي " ألْ " على أنه مفعول من أجله "(٤).

ففي قوله " لا نص فيه على تعيين أن أهل الحجاز ينصبون " دليل على أن النصب يقتضيه القياس وجاء على الفصحى . وفي المقابل قوله : "

---

(١)،(٢) الكتاب : ٣٨٤/١ ، ٣٨٥ .

(٣) الهمع ٢٣٩/١ ، وانظر المساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل : ٢٣٣/٢ .

(٤) الإرتشاف : ٣١٦/٢ .

فإن أدخلت " أل " رفع بنو تميم ... وهو عند أهل الحجاز يجوز فيه الرفع وهو الأكثر ، يدل دلالة قاطعة على أن الرفع في المصدر المعرفة جاء باللغة الأقيس لذا قال وهو الأكثر . وقوله : " قد ينصبونه " ، وقول سيبويه : " قد يرفع هذا في لغة تميم " اشعاراً بالقلة، أي قلة النطق بالرفع إذا كان المصدر بعد " أمّا " نكرة ، وقلة النصب إذا كان معرفة وكله مسموع وجائز لأنه ورد على سنن العربية وقياساتها . والله أعلم .

ثانيا - إعراب المصدر المعرف بـ " أل " في لغة تميم :

خالفت تميم لغة سائر العرب في نصب المصدر المحلي لـ (أل) إذا ابتديء به الكلام كقول (الحمد لله) على حين أنه مرفوع عند غيرهم ، قال أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ)(١) : " والجمهور قرؤا بضم دال الحمد واتبع ابراهيم بن أبي عبلة فيه لام الجر لضمة الدال كما أتبع الحسن وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام ، وهي أغرب لأن فيه اتباع حركة معرب لحركة غير إعراب والأول بالعكس وفي قراءة الحسن احتمال أن يكون الاتباع في مرفوع أو منصوب ويكون الاعراب إذ ذاك على التقديرين مقدراً منع من ظهوره شغل الكلمة بحركة الإتباع كما في المحكي والمدغم وقرأ هارون العتكي ورؤبة وسفيان بن عيينة الحمد بالنصب . وقراءة الرفع أمكن في المعنى ولهذا أجمع عليها السبعة لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى أي حمده وحمد غيره ومن نصب فلا بد من عامل تقديره أحمد الله أو حمدت الله ... ويكون في حالة النصب من المصادر التي حذفت أفعالها وأقيمت مقامها وذلك في الاخبار نحو شكراً لا كفراً وقدر بعضهم العامل للنصب فعلاً غير مشتق من الحمد أي أقول الحمدلله أو الزموا الحمد لله كما حذفوه من نحو اللهم ضبعاً وذئباً "(٢)

مما سبق يظهر أن في المصدر المحلى بـ(أل) كالحمد والعجب لغتين :

إحداهما لغة سائر العرب غير عامة تميم وبعض العرب مما جاورهم لأن حكم المجاورة يقتضي ذلك ، إذ المصادر لم تذكر من هؤلاء العرب غير عامة الذين ينصب المصدر المعرف بـ (أل) وهذه اللغة يرفع أصحابها المصدر المحلى بـ (أل) المبتدأ بـه وعلل سيبويه ذلك لأنه معرفة فيبتدأ بالمعرفة وهو الأصل وهذا الرفع مختار عند هؤلاء(٣).

والثانية : لغة عامة بني تميم وبعض العرب غير الذين اختاروا الرفع وقد فسر سيبويه ذلك بقوله : " فتفسير نصب هذا كتفسيره حيث كان نكرة كأنك قلت : حمداً وعجباً.."(٤) .

---

(١) الفاتحة : ١ .
(٢) البحر : ١/١٨ - ١٩ . وانظر المحتسب ١/٣٧ .
(٣) ينظر الكتاب ١/٣٢٩.
(٤) نفس المرجع ١/ ٣٣٠ .

وهذا النص المعزو لتميم جاء مخالفاً لما عُهد عنها في رفع المصادر إذا عُرفت وجوباً وجواز رفعها نكرة ولغيرها النصب واختيار الرفع فكل ما يمكن قوله بعد ذلك أن الرفع وإن كان يلائم البيئة البدوية[1]، والنصب يلائم البيئة الحضرية إلا أن اللغة كما هو معهود يطرأ عليها التغيير فلا تبقى على حال واحدة فترة طويلة وواقع اللغة العربية يشهد بذلك ، فاللغة التميمية وإن كان الرفع من سماتها فإنه وجد ميلها في بعض ظواهرها إلى النصب أو الفتح كما في ترجيحها النصب في المصدر النكرة الواقع بعد " أمّا " وكذا الحجازية في بعض ظواهرها الميل إلى الرفع ولعل من أسباب ذلك أن قبائل تميم ليست كلها بدوية وكذلك القبائل الحجازية فيهم البدو والحضر ، ثم لا يفوتني أن أذكر أن القبائل العربية على كثرتها واختلاف بيئاتها وصعوبة تنقلها أحياناً إلا أنها لم تكن في عزلة تامة عن بعضها البعض ولا يتعذر اتصالها واحتكاكها ببعضها البعض لدافع ما ، فمن الطبيعي والمسلم به ، ألا تبقى اللغة في بيئة مثل تلك على حال واحدة فلا بدّ من تأثر وتأثير والحال هذه(٢) ونستنتج من ذلك أن هذه المصادر المعرفة المنصوبة عند تميم قد تكون مرت بمرحلتين : الأولى : مرحلة الرفع أو الضم ، وهذا المعهود في لغة بني تميم ، والمرحلة الثانية : مرحلة النصب أو الفتح . ثم لا أنسى أن أذكر أن الذين نسبوا النصب لم ينسبوه لتميم كلها بل لعامتها فيكون بذلك الرفع لا زال باقياً في بعضهم بعد انتقال نطق القبائل التي تنصب من مرحلته إلى مرحلة النصب .

والجدير بالذكر أن أبا حيان لم يعز النصب في البحر ، وذكر ذلك في الارتشاف وإنما قال" وقراءة الرفع أمكن في المعنى ولهذا أجمع عليها السبعة .. ومن نصب فلا بد من عامل تقديره أحمد الله .." (٣).

---

(١) ذكر أن قراءة الرفع بضم الدال واللام قراءة أهل البادية ، انظر المحتسب ١/ ٣٧ .

(٢) انظر : " اللهجات في التراث " قسم أول : د. أحمد علم الدين الجندي ، ص ٣٦ – ٣٩ .

(٣) البحر : ١/ ١٨، ١٩ .

ثالثا - إعراب ضمير الفصل :

هو ضمير منفصل يرد بين المبتدأ والخبر أو بين ما كان أصله المبتدأ والخبر ويسميه البصريون فصلاً والكوفيون أطلقوا عليه عمدة أو دعامة وذهب أكثر النحاة إلى أنه حرف كالكاف في الإشارة ومذهب الخليل وسيبويه أنه باق على اسميته، يقول أبو حيان عنه : يعني به التأكيد واختلف في إعرابه فالبصريون يقولون أنه لا محل له من الإعراب والكوفيون يذهبون إلى أن له محلاً من الإعراب(١).

ويأتي مطابقاً لما قبله في الإفراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث والتكلم والخطاب والغيبة(٢) هذا بالإجماع، ويفيد ضمير الفصل الربط بين أجزاء الجملة الاسمية بجانب إفادته للتوكيد والحصر والإختصاص(٣) . أما موضعه من الإعراب فهو موضع الخلاف بين الحجازيين والتميميين ، يقول أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٥).

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾(٦).

---

(١) انظر الارتشاف ٤٨٩/١ ، الهمع : ٢٣٦/١ ، ٢٣٧

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) انظر مغني اللبيب :٥٤٩/٢ ، للاسم الذي بعده هذا الضمير شرط اشترطه النحاة ينظر المغني ٥٤٦/٢ – ٥٤٧ .

(٤) الأنفال : ٣٢.

(٥) الزخرف : ٧٦.

(٦) المزمل : ٢٠.

ما نصه " وقرأ الجمهور هو الحق بالنصب جعلوا هو فصلاً . وقرأ الأعمش وزيد بن علي بالرفع وهيجائزة في العربية ، فالجملة خبر كان وهي لغة تميم يرفعون بعد هو التي هي فصل في لغة غيرهم كما قال :

" وكنت عليها بالملأ أنت أقدر"

-.. وقال ابن عطية : ويجوز في العربية رفع الحق على أنه خبر والجملة خبر كان .قال الزجاج : ولا أعلم واحداً قرأ بهذا الجائز وقراءة الناس إنما هي بنصب الحق."(١)

وفي تفسير الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون ﴾ ، نص فقال : " وقرأ عبدالله وأبو زيد النحويان " الظالمون " بالرفع على أنهم خبر "هم " ، و "هم " مبتدأ ، وذكر أبو عمر الجرمي أن لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأويرفعون مابعده على الخبر ، وقال أبو زيد : سمعتهم يقرءون " تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجراً " يعني يرفع خيرٌ وأعظمُ ، وقال سيبويه : إن رؤبة كان يقول : أظن زيداً هو خير منك ، يعني بالرفع "(٢).

وفي الآية الثالثة وهي قوله عز وجل : ﴿ ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ قال : " وقرأ الجمهور " هو خير وأعظم أجراً " بنصبهما واحتمل " هو " أن يكون فصلاً وأن يكون تأكيداً لضمير النصب في تجدوه ولم يذكر الزمخشري والحوفي وابن عطية في إعراب " هو " إلا الفصل. وقال أبو البقاء : هو فصل أو بدل أو تأكيد ، فقوله : أو بدل وهم لو كان بدلاً لطابق في النصب فكان يكون اياه وقرأ أبو السمال وابن السميفع

---

(١) البحر : ٤٨٨/٤ ، وانظر النهر الماد من البحر نفس الجزء والصفحة .

(٢) البحر : ٢٧/٨ ، وانظر الكتاب : ٣٩٢/٢.

" هو خير وأعظم " برفعهما على الابتداء أو الخبر .

قال أبو زيد : هو لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون : كان زيد هو العاقل بالرفع ، وهذا البيت لقيس بن ذريح وهو :

تحنّ إلى ليلى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر(١)

قال أبوعمر الجرمي : أنشد سيبويه هذا البيت شاهداً للرفع والقوافي مرفوعة . ويروى " أقدرَ " . وقال الزمخشري : وهو فصل وجازوإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة . وليس ما ذكر متفقاً عليه ، ومنهم من أجازه وليس أفعل من أحكام الفصل ومسائله ، والخلاف الوارد فيها كثير جداً وقد جمعنا فيه كتاباً سمّيناه بالقول الفصل في أحكام الفصل وأودعنا معظمه شرح التسهيل من تأليفنا ."(٢)

وفي قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾(٣) .

قال : " قرأ الجمهور "الحق " بالنصب مفعولاً ثانياً ليرى وهو فصل ، وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع جعل " هو " مبتدأ ، و " الحق " خبره ، والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى ، وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ قاله أبو عمر الجرمي ."(٤)

فنرى أبا حيان يورد القراءات المتواترة في الاختلاف في إعراب الضمير الواقع بين المبتدأ والخبر وآراء النحاة في ذلك والتي تتضح من خلال عرضها وهي إعمال

---

(١) روى : تبكي على لبنى وأنت تركتها . انظر الكتاب لسيبويه ٢/٣٩٣، وشرح المفصل : ٣/١١٢ .

(٢) انظر البحر : ٨/٣٦٧ ، والدر اللقيط من البحر، نفس الجزء والصفحة ، والنهر الماد من البحر نفس الجزء ص ٣٦٥ والارتشاف ١/٤٩٠ .

(٣) سبأ : ٦ .

(٤) البحر : ٧/٢٥٩.

الفصل ومحله من الإعراب أن يكون مرفوعاً مبتدأ ومابعده مرفوعاً خبراً له ، وهي لغة تميم يرفعون ما بعد الضمير الذي هو فصل في لغة غيرهم(١). وهذا مذهب الكوفيين حيث يذهبون إلى أن الضمير المسمى عمدة عندهم له محل من الإعراب . والكسائي يرى أن له محل ما بعده ، أما الفراء فقال : محله كمحل ما قبله من المبتدأ والخبر محله الرفع ، وبين معمولي "ظن " النصب ، وبين معمولي" كان " الرفع وعندي الكسائي النصب ، وبين معمولي " إن " العكس .

يقول سيبويه : " وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ وما بعده مبني عليه فكأنك تقول : " أظن زيداً أبوه خيرٌ منه " [ووجدت عمراً أخوه خيرٌ منه] . فمن ذلك أنه بلغنا أنّ رؤبة كان يقول : أظن زيداً هو خير منك . وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرء ونها " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ "(٢)، وقال الشاعر ، قيس بن ذريح :

وتبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملأ أنت أقدرُ

وكان أبو عمر يقول : إن كان لهو العاقلُ "(٣) .

وقول سيبويه السالف يقفنا على أنها لغة بني تميم لأنه خص بالذكر أحدهم وهو رؤبة ، واستدل بقوله كشاهد ولورود ذلك منصوصاً عليه أنها لغة بني تميم.(٤)

---

(١) انظر البحر : ٤٨٨/٤، ٣٦٧/٨ ، ٢٧/٨ ، ٢٥٩/٧.

(٢) الزخرف : ٧٦ .

(٣) الكتاب : ٣٩٠/٢ ، ٣٩٢ .

(٤) انظر البحر : ٣٦٧/٨ ، ٢٥٩/٧ ، ٤٨٨/٤ ، ٢٧/٨ ، وانظر معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٣٢١/٢.

ويرى ابن هشام أن الابتداء ضعيف خاص بلغة تميم(١) ووردت على ذلك قراءات منفردة .

واستنتج أحد الباحثين أن إعمال ضمير الفصل لغة جمهور بني تميم لأنه وجد منهم من يجعله فصلاً ، ومنهم من يعربه الإعراب المنقول عنهم ، وقد ورد في بعض أشعار التميميين إهماله كقول جرير :

وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا(٢)

من النصوص السالف ذكرها أن جعل بني تميم الفصل عندهم مرفوعاً وإلزامه ذلك ملائماً لما هو معهود في لغتهم من الرفع في كثير من الظواهر اللغوية مثل رفع خبر " ما " المنصوب عند الحجازيين ، وإتباع الاسم المستثنى بإلا لما قبلها بينما الحجازيون ينصبونه على الاستثناء فالميل إلى الرفع من سمة لغة البدو أما أن الرفع والإعمال لغة جمهور تميم وبعضهم يجعله فضلاً فهذا بحكم تجاورهم مع القبائل التي تجعل هذا الضمير فضلاً بحيث أخذت لغة هذا البعض كما روي طوراً آخر غير طور رفع هذا الضمير وإعماله .

---

(١) المغني : ٢/٦١٤ .

(٢) د. عبدالله الحسيني البركاتي : النحو والصرف بين التميميين والحجازيين ، رسالة دكتوراة ، ص ١٨٥ ، والشاهد من شواهد المغني : ٢/٥١٨ ، وشرح المفصل : ٣/١١٠، والهمع : ١/٦٨.

الباب الثاني
الإعـــــراب

الفصل الأول - الإعراب بالحركات .

الفصل الثاني - الإعراب بالحروف .

الفصل الثالث - ما يتردد بين الإعراب والبناء .

أهمية الإعـراب :

الإعراب(١) له أهمية كبرى إذ به يستبين المعنى ويتضح ، فبالاعراب نعرف أحوال الكلمات العربية من حيث ما يعرض لها في حال تركيبها وما يجب أن يكون عليه آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو لزوم حالة واحدة بعد احتفاظها في الجملة .

يقول ابن فارس :(فأما الإعراب فبه تُميز المعاني ويُوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلاً لو قال " ما أحسنْ زيدْ " غير معرب أو " ضرب عَمرْ زيد " غير معرب ، لم يوقف على مراده ، فإذا قال :" ما أحسنَ زيداً " أو " ما أحسنُ زيدٍ" أو " ما أحسَنَ زيدُ " أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده) ، وقال : (من العلوم الجليلة التي خُصتْ بها العرب : الإعراب الذي هو الفاروق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وفيه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام . ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول ولا نعت من تأكيد)(٢) .

ويقول عبد القاهر الجرجاني : (إن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المُستَخرج لها وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يُعرض عليه ، والمقياس الذي لا يُعرف صحيحٌ من سقيم حتى يرجع إليه ...)(٣).

---

(١) لغة الإبانة والإظهار والمقصود به تغيير أحوال الأواخر أواخر الكلمات من الرفع والنصب والجر ، وهذا التغيير إما لفظي أو تقديري أو اعتباري (المحلى). انظر الارتشاف ٤١٣/١ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة /١٤٢.

(٣) دلائل الإعجاز ، ص ٧٥ .

وقال ابن يعيش : (وكل واحد من الرفع والنصب والجر علم على معنى من معاني الاسم التي هي الفاعلية والمفعولية والإضافة)(١)

وقد عرف علماء العربية من قديم أهمية الإعراب ، ولاحظوا أن العلامة الإعرابية قرينة تطرأ على الكلمة لتدل على معنى الفاعلية المفعولية والإضافة ، كما أن الصيغة تؤثر هركة على أخرى ، كلما ازدادت الحركة شبهاً بالمعنى(٢) .

لذا أخذ النحاة الأوائل القدامى منذ نشأة النحو يعنون بالإعراب فهذا أبو الأسود الدؤلي كما ذكرت الروايات أول من وضع حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم خوفاً من تفشي اللحن إلى لفظه كما تفشى إلى اللسان العربي في ذلك الوقت . ونتيجة تفشي هذا اللحن بسبب إختلاط العرب بالأعاجم حرص علماء اللغة على ضبط اللسان العربي وتقويمه ليعود إلى فصاحته الأولى ، وتمثل حرصهم هذا في تركهم الأخذ عند تدوين اللغة عن سكان المدن من الحر والأعراب المخالطين لهم وآثروا تقويم اللحن بالإرتحال إلى أعماق البادية ببوادي نجد والحجاز وتهامة حيث الأعراب الخلص الذين لم تفسد الحضارة والاختلاط ألسنتهم فأخذوا عن قبائل هذه البوادي المعروفة سلامةالسليقة اللغوية ، وكان من هؤلاء العلماء قراء الذكر الحكيم الذين نقلوا القراءات القرآنية رواية صحيحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا بدأ الإهتمام باللغات على اختلافها إذ كان علماء اللغة من نحويين

---

(١) شرح المفصل ٧٣/١ .

(٢) المحتسب ١٣٩/٢ ، وانظر علامات الإعراب بين النظر والتطبيق ، د . أحمد الجندي ، مجلة معهد اللغة العربية ، العدد الثاني ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ص ٢٧٥ .

وصرفيين عندما وصفوا القواعد النحوية والمقاييس والأحكام أخذوا يدعمونها بشواهد ونصوص من لغات القبائل على كثرتها واختلافها ونظرة فاحصة لأي كتاب نحوي تقف بنا على ظاهرة واضحة في كتب النحو هي العناية بلغات القبائل العربية في تقوية الأحكام استخلاص القواعد والاعتماد عليها في الاستنتاج والاستنباط، وبيان اختلاف التوجيهات عند النحاة يوقفنا على اختلاف منهج كل نحوي في ذلك فبعضهم يكثر في مصنفاته ذكر الخلافات الناجمة عن اختلاف اللغات والقراءات القرآنية ، فنجد أوجه التخريج والتأويل تتعدد .

وكتاب سيبويه " الكتاب " أصدق مثال لنا في ذلك فهو يعدّ منطلق هذا النقل للغات فنراه ينقل عن أئمة اللغة المشافهين للأعراب ، الناقلين عنهم أمثال الخليل ويونس وأبو عمرو بن العلاء وعبدالله بن اسحاق وعيسى بن عمر ويحيى بن يعمر فقد قيل هؤلاء ما سمعوه من العرب في كتبهم ، ونقل المتأخرون من العلماء هذا وقيدوه في مصنفاتهم أمثال النوادر والأضداد والمشترك . ثم جاء النحاة بعد سيبويه واستكثروا من نقل لغات القبائل ، فهذا ابن جنّي في خصائصه وسر صناعة الإعراب وشروحه للتصريف(١) وأشعار هذيل ، واضح الاعتماد على ذكر اللغات ، وغيره كثير ، فأبو حيان كان من النحاة الذين عنوا بذكر اللغات يظهر ذلك في تصانيفه مثل تفسير البحر المحيط وكتاب الارتشاف والتذييل والتكميل وغيرها ، فالبحر المحيط يعتبر مصدراً من مصادر اللغات العربية المختلفة لكثرة نقول أبي حيان الروايات المحكية عن الأعراب .

---

(١) كتاب للمازني شرحه باسم المنصف .

ولعلنا في هذا الفصل - فصل الإعراب - نحاول أن نتعرف على بعض الاختلافات الإعرابية في لغات العرب والتي منشؤها اختلاف لغات القبائل والتي كانت سبباً واضحاً في اختلاف آراء النحاة وتعدد مناحيهم في التأويل والتفسير والاحتجاج . وواضح اعتماد علوم اللغة بما فيها الصرف والنحو على لغات العرب في استقراء واستنباط أحكامها النحوية ، فالاختلافات التي نجدها في كتب التفسير، كتفسير البحر المحيط مثلاً تمدنا بمادة غزيرة لاختلافات لغات العرب .

الفصل الأول
الإعراب بالحركات

صرف الممنوع من الصرف في بعض اللغات .

أولاً - زكرياء ولغات العرب فيها .

ثانياً - سنون وبابه .

ثالثاً - " أمس " بين المنع والصرف .

رابعاً - " تترى " بين المنع والصرف .

خامساً - " فرادى " بين المنع والصرف .

صرف الممنوع من الصرف في بعض اللغات :

أولاً - زكرياء ولغات العرب فيها :

لمنع الصرف علل كثيرة عُني النحاة بشرحها في مصنفاتهم ، والذي يعنينا هنا ذكر علة العجمة حيث أنها تمنع الاسم الصرف على أن يكون علماً .

فمن الأعلام التي تمنع الصرف للعلمية والعجمة لفظ " زكريا"(١) ، يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(٢) : (" زكريا " أعجمي شُبِّه ما فيه الألف الممدودة والمقصورة(٣) ، فهو ممدود ومقصور ولذلك يمتنع صرفه نكرة ، وهاتان اللغتان فيه عند أهل الحجاز ولو كان امتناعه للعلمية والعجمة انصرف نكرة . وقد ذهب إلى ذلك أبو حاتم وهو غلط منه ويقال " ذكرى " بحذف الألف ، وفي آخره ياء كياء بختي منونة فهو منصرف وهي لغة نجد ووجهه فيما قال أبو علي انه حذف ياءي الممدود والمقصور وألحقه ياءي النسب ، يدل على ذلك صرفه ولو كانت الياآن هما اللتين كانتا في " زكريًا " لوجب أن لا يصرف للعجمة والتعريف)(٤).

هذا ما ذكره أبو حيان في هذه المسألة ومجمله أن " زكريا " منع

---

(١) انظر الكتاب ٢١٤/٣ وانظر التبصرة والتذكرة للصيمري :٥٥٤/٢-٥٥٥.

(٢) آل عمران : ٣٧ .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص زكريا مقصوراً ، وباقي السبعة ممدوداً. انظر البحر : ٤٤٢/٢ ، والنهر الماد من البحر : ٤٤١/٢ وانظر الكتاب : ٢١٣/٣ - ٢١٤ ت : هارون وإعراب القرآن : ٥/٣ هامش الكتاب (١) وانظر التبصرة في القراءات ٩٧١ ، وانظر الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش : ٦١٩/٢.

(٤) البحر : ٤٣٣/٢ .

الصرف فهو اسم أعجمي فعلته ليست العجمة وكونه علماً إنما فيما رأه أبو حيان لأنه انتهى بألف مقصورة أو ممدودة في قراءة من قرأ بمده " زكرياء " ، يقول : (" زكريا " أعجمي شُبّه ما فيه الألف الممدودة والمقصورة فهو مقصور و ممدود ولذلك يمتنع صرفه نكرة)(١) ، وفي قوله : (هاتان اللغتان فيه عند أهل الحجاز أي المد والقصر دليل على أنه يمنع الصرف عند أهل الحجاز لأن من علل منع الاسم الصرف أن يكون منتهياً بألف تأنيث مقصورة أو ممدودة(٢) . ذلك أنها ملازمة لما هي فيه ، فهي علة قوية للمنع أما صرفه فلغة نجد .

كما ذكر ذلك أبو حيان فقال : (ويقال " ذكرى " بحذف الألف وفي آخره ياء كياء " بختي " منونة فهو منصرف وهي لغة نجدٍ)(٣).

وقال الفراء : (وفي " زكريا " ثلاث لغات : القصر في ألفه فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض ، وتمدّ ألفه فتنصب وترفع بلا نون ؛ لأنه لا يُجْري وكثير من كلام العرب تحذف المدة والياء الساكنة فيقال : هذا زكريٌّ قد جاء فيُجْرَى ؛ لأنه يشبه المنسوب من أسماء العرب)(٤).

فهو مصروف في لغة نجد لأنه أشبه المنسوب من الأسماء ، يقول أبو حيان في توجيه صرفه : (ووجهه فيما قال

---

(١) البحر : ٤٣٣/٢ وانظر الحجة لأبي علي الفارسي ٣٥٧/٢ واعراب القرآن : ٣٧٢/٢ .

(٢) انظر شذور الذهب ص ٤٥١ وحاشية الصبان على شرح الأشموني ١٧٢/١ والتبصرة والتذكرة : ٥٤٨/٢ ، والارتشاف : ٤٢٦/١ ، ٤٣٩ ، وانظر اعراب القرآن للنحاس : ٣٧٢/١ ، وانظر الكتاب : ٢١٤/٣ ، وانظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ٢٠٩/٢ ، ٢٢٢ ، وشرح ابن عقيل : ٣٢١/٢.

(٣) البحر : ٤٣٣/٢ .

(٤) المعاني : ٢٠٨/١.

أبو علي(١) أنه حذف ياءي الممدود والمقصور وألحقه ياءي النسب يدل على ذلك صرفه فلو كانت الياآن هما اللتين كانتا في " زكريا " لوجب أن لا يصرف للعجمة والتعريف)(٢) .

وذكر النحاس أن المد والقصر لغة الحجاز ولغة نجد صرفه مع حذف ألفه نقلاً عن الفراء(٣). فلما حذفت منه العلة المانعة من صرفه انصرف ، يقول النحاس : (قال الأخفش فيه أربع لغات " زكرياءُ " بالمدّ ، و " زكريّا " بالقصر ، و " زَكَرِيٍّ " بتشديد الياء والصرف ، و " زَكَر " ، و " رأيت زَكَرياً ")(٤) .

ومجمل القول : أن " زكريا " يمنع من الصرف لأنه انتهى بألف تأنيث ، وتأتي مقصورة و ممدودة وهي لغة الحجاز يمدون " زكريا " ويقصرونها ، والمد في لغتهم أكثر ، ويصرف فتحذف الياآن(٥) فيقال " زكريٍّ "(٦) بالحاقه ياء النسب كما تحذف ألفه(٧) لكي تلحق به ياء النسب لأنها لا تلحق بالاسم وقبلها ألف تأنيث .

ويلاحظ أن الحذف يتفق وطبيعة الأداء في لغة البادية خاصة إذا كان الحذف في حرف(٨) كما أن الميل إلى صرف الاسم وتنوينه فيه ضرب من الخفة والميل إلى الاسراع في الأداء وكلاً من الحذف والتنوين يؤديان أحياناً إلى ذلك فناسب أن يكون ذلك كثير في لغات البادية مثل نجد عامة وتميم خاصة ومن جاورهم.

---

(١) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ٣٥٦/٢ – ٣٥٧ .
(٢) البحر : ٤٣٣/٢ .
(٣) إعراب القرآن : ٣٧٢/٢ ,وانظر شرح الكافية الشافية : ٩٦/٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٧٢/٢ وانظر الحجة ٣٥٧/٢ .
(٥) انظر المرجع السابق والصفحة .
(٦) يقول الفارسي : من قال " زكريٍّ صرف " نفس المرجع ص ٣٥٦ .
(٧) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣٧٢/١ ، والبحر : ٤٣٣/٢ .
(٨) انظر البحر ٢٦٢/٥ قراءة قوله تعالى ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ . هود / ١٠٥ ، باثبات الياء وصلا وحذفها وقفاً أن الحذف في الوقف والوصل وجهه التخفيف وحذف الحرف والاجتزاء عنه بحركة لغة هذيل خاصة في حذف الياء والواو. ومثله قوله تعالى (فلا تخشوهم) البقرة / ١٥٠ . انظر الكتاب ١٨٤/٤ – ١٨٦ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٩٠/١ .

وقد ذكر أن في هذا الاسم لغة ثالثة حكاها الأخفش : (وزكر ورأيت زكرياً)(١) على وزن عمر(٢) . أما مدى الاسم سواءاً انتهى بألف مقصورة أو ممدودة ففيه نوع من الانسجام مع طبيعة الأداء في لغات الحاضرة وهو من سمات لغات الحجاز حيث يميلون في نطقهم إلى التأني والتريث والتوضيح فترتب على ذلك منع الصرف عندهم وليس هذا بحتمي .

(١) اعراب القرآن للنحاس : ٣٧٢/١ .

(٢) انظر البحر : ٤٣٣/٢ .

ثانيا - سنون وبابه :

مما جاء عن العرب مختلف في صرفه ومنعه الصرف " سنون وأخواته " ، ذكر أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾(١) ، وقوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾(٢) بعد أن ذكر أن الجمع من عضة وأخواتها المحذوف لامها المعوض منها تاء التأنيث يعرب بالواو رفعاً و بالياء نصباً وجراً معهما النون على المشهور من لغات العرب إلا تميماً وعامر وأسد فيعاملون هذا النوع من الجمع معاملة الاسم المفرد فيجعلون علامة الإعراب على النون مع الزامه الياء في كل الأحوال فقال : (وفي سنين لغتان أشهرهما اعرابها بالواو رفعاً والياء جراً ونصباً ، وقد تكلف النحاة علة لكونها جمعت هذا الجمع والأخرى جعل الاعراب في النون والتزام الياء في الأحوال الثلاثة نقلها أبو زيد والفراء . وقال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني(٣) وغير مصروفة عند غيرهم)(٤).

وقال : (ومن العرب من يلزم الياء بجعل الاعراب في النون . فيقول : "عضينك " كما قالوا "سنينك " وهي كثيرة في تميم وأسد)(٥).

وقال : (يجوز أن يجعل الإعراب في النون وتلزم الياء وذلك عند بعض تميم في سنين . قاله الفراء ، وقال : تُنَوِّنُها بنو عامر ولا ينونها تميم : ... قال الفراء عن تميم إذا طرحوا الألف واللام من السنين لم يُجْرُوا ، أي لم

---

(١) الاعراف : ١٣٠ .

(٢) الحجر : ٩١ .

(٣) في النص غير معزوة وفي معاني القرآن للفراء هم بنو عامر حيث ينونون هذا الجمع مع الزامه الياء ، انظر المعاني : ٩٢/١ .

(٤) البحر : ٣٦٩/٤ .

(٥) البحر : ٤٥٦/٥ والنهر الماد ٤٦٨ ، وانظر الهمع : ١٥٩/١ .

يصرفوا ، وإذا كان الإعراب في نون سنين لم يسقط للإضافة وعلى هذه اللغة وزن "سنين" " فعين ")(١).

من النصوص السابقة يظهر لنا اختلاف لغات العرب الذين يلزمون جمع الأسماء المحذوفة اللام المعوض عنها تاء تأنيث كـ " سنة " و " عضة " وأخواتهما الياء وجعل الإعراب على النون على صورة " غسلين " و " حين "(٢) فبعضهم يعرب بالحركات بدون تنوين وقد عزيت لتميم وأسد وقيل بعض تميم(٣).

قال الفراء : تميم إذا طرحوا الألف واللام من " السنين " لم يُجْروا وإذا كان الإعراب في نون " سنين " لم يسقط للإضافة(٤) دلالة على أن النون هي حرف الإعراب . وهذه اللغة تُعامل هذه الجموع معاملة الممنوع من الصرف وبعضهم يعربها كذلك مع التنوين ، وعزيت لبني عامر ، يقول الفراء : (وتنونها بنو عامر ولا ينونها تميم)(٥) .

وقال : أنشدني بعض بني عامر :

نراني من نجد فإن سنينَهُ ... لعبن بنا شيباً وشيبننا مردا

متى ننج حَبْواً من سنين ملحةٍ ... نشمِّر لأُخرى تنزل الأعصم الفرْدا)(٦)

---

(١) الارتشاف : ٢٦٨/١ وانظر إعراب القرآن للنحاس : ١٤٥/٢ ، ٣٨٩ ومعاني القرآن للفراء : ٩٢/١ .

(٢) انظر الهمع : ١٦٠/١ ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل :٦٥/١ ، ٦٦ .

(٣) انظر البحر : ٤٦٥/٥ والارتشاف ٢٦٨/١ ، والهمع : ١٥٩/١ ، ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : ٦٥/١ .

(٤) انظر الارتشاف : ٢٦٨/١ .

(٥) الارتشاف : ٢٦٨/١ وانظر البحر : ٣٦٩/٤ .

(٦) معاني القرآن :٩٢/١ ، والشاهد الأول قائله الصمة القشيري ، والثاني لم يعين له قائل ، والرواية الأخرى " نتم " بدلاً من " نشمر " انظر الهمع١٥٩/١.

فالشاهد فيهما إعراب : " سنين " بحركات على النون مع إبقاء النون دون حذف في قوله " سنينه " وهو مضاف .

وتنوين " سنين " الشاهد الثاني وجعل ذلك في النون " سنينٍ " ، ومن الشواهد على ذلك قول :

ألم نسق الحجيج سلي معداً   سنيناً ما تُعدُّ لنا حساباً(١)

وقول :

سنيني كلهـــا لاقيتُ حَرباً   أعدُّ مع الصلادمة الذكور

فالشاهد فيهما الزام " سنين " الياء وجعل الاعراب على النون مع تنوين الأول وإضافة الثاني بدون حذف النون .

إذاً في سنين وأخواته من حيث الصرف(٢) ومنعه لغتان :

الأولى : لغة إلزامه الياء ومنعه التنوين وهي لغة تميم أو بعضهم كما روى أنها لأسد أيضاً ، وقد قال عنها ابن مالك : (فترك التنوين لازم لأن وجودها مع النون كوجود تنوينين في حرف واحد)(٣) .

وقال ابن عقيل : (وإن شئت حذفت التنوين وهو أقل من إثباته)(٤)

---

(١) قائله مجهول . وكذا البيت الثاني قائله مجهول .

(٢) يقصد به عدم تنوين أو حذف التنوين وهي اللغة الثانية في إعراب هـــذا الجمع وهناك لغتان أخريان ، انظر باب الإعراب " إعراب الجمـــع المعوض من لامه تاء تأنيث " .

(٣) شرح التسهيل لابن مالك : ٩٢/١ .

(٤) شرح ابن عقيل : ٦٥/١ .

فدل ذلك على أن العلة في حذف التنوين في لغة تميم وأسد حتى لا يجتمع نونان ، نون الاسم موضع الإعراب والنون الدالة على التنوين(١) كما دل على أن ذلك قليل في لغة تميم يوضح ذلك ما روى أن ترك التنوين لبعض تميم ، يقول أبو حيان : (يجوز أن يجعل الإعراب في النون وتلزم الياء وذلك عند بعض تميم في سنين ، قاله الفراء وقال تُنوِّنها بنو عامر فلا تنونها تميم)(٢).

ولعل ذلك يقع عند القبائل التميمية والاسدية التي تجاور القبائل المتحضرة من القبائل القيسية والحجازية يضاف إلى ذلك أن منع كثير من الأسماء الصرف يكثر عند تميم .

والثانية : لغة الإلزام مع تنوين النون وعزي لبني عامر ولعل السر في ذلك أن هذه القبيلة البدوية حرصت على التنوين لأنه أوضح في النطق وأبين ، وهذا سمة القبائل البدوية تتجه دائماً إلى السرعة في نطق الألفاظ وتميل إلى ما يعينه على التوضيح ويسعفها في سرعتها لظهور الألفاظ وبيانها وقد لاحظت أن التنوين يكثر في نطق القبائل البدوية فنراها كثيراً ما تميل إلى ذلك للتأكيد والتحقيق بما يلائم نطقهم ولا زالت هذه السمة واضحة في الأداء عند البادية من العرب وخاصة قبائل نجد وما يجاورها(٣).

---

(١) التنوين هو نون ساكنة تلحق الاسم لفظاً لا خطاً .

(٢) الارتشاف : /٢٦٨ ، وانظر الهمع : ١/١٥٩ .

(٣) ورأى د. غالب فاضل المطلبي أن مرحلة وسط بين حالة الإعراب الكامل وبين حالة البناء . انظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ص ٢٤٣ .

ثالثاً : " أمس " بين المنع والصرف :

أمس ظرف زمان مبني على الكسر وقد يستعمل غير ظرف ، ويبنى على الكسر(١) وقد يعرب ، وذكر أبو حيان أنه معرب عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ اليوم ﴾(٢) فقال : (وهو معرب فحركة سينه حركة إعراب لأنه دخلته "أل" بخلاف حاله إذا عري منها ، فالحجاز تبنيه إذا كان معرفة وتميم تمنعــــه الصرف حالة الرفع فقط ، ومنهم من يمنعه الصرف مطلقاً . وقد يُبنى مع "أل" على سبيل الندور ، قال الشاعر :

وأني حسبت اليوم والأمس قبله

إلى الليل حتى كادت الشمس تغرب)(٣)

وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾(٤).

فـ " أمس " معرب مصروف إذا عرف بالألف واللام وبالاضافة ، ولا جمع ، ولا يقع ظرفاً ولا يراد به التعيين ، أي يقصد الزمان الماضي ، وليس زمن اليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه .

وإذا وقع " أمس " غير ظرف اختلف في إعرابه ، فبنو تميم منهم من يعربه إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع ، ومنهم من

---

(١) انظر الارتشاف:٢٤٨/٢ ، وانظر لسان العرب لابن منظور: ٢٨٣/١٢، ٢٨٥ ، ٣٠٣/٧ ، ٣٠٦ .

(٢) القصص : ١٨.

(٣) البحر : ١١٠/٧ ، والدر : ١١٠/٧ على هامش البحر .
والبيت قائله نصيب . انظر المساعد في تسهيل الفوائد .

(٤) يونس : ٢٤ .

يعربه إعراب ما لا ينصرف مطلقاً.

فاللغة الأولى : لجمهور بني تميم(١) ، والثانية : لبعضهم ، وعلة منعه الصرف لأنه عدل عن الأصل ، لأن أصل الاسم أن يكون معرفة وأصل " أمس " الأمس(٢).

وورد في بعض المصادر أن عقيلاً تتفق مع تميم في إعراب " أمس " إعراب الممنوع من الصرف إذا استعملت اسماً(٣).

يقول أبو حيان : (وأجاز الخليل في " لقيته أمس " أن يكون التقدير " لقيته بالأمس " بحذف الباء " وألْ " فتكون الكسرة كسرة إعراب ... وإن استعمل غير ظرف فالحجاز تبنيه على الكسر كحاله حين كان ظرفاً ، تقول : " ذهب أمس بما فيه " ، و " أحببت أمس " ، و " ما رأيتك مُذْ أمْسِ " . وتميم تمنعه من الصَّرف حالة الرفع وتبنيه نصباً وجراً ، تقول : " ذهب أمسُ بما فيه ، و " كرهت أمْسِ " ، و " ما رأيته مذْ أمسِ . واختلف النحاة في إعرابه مطلقاً إعراب ما لا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى إثبات ذلك الأستاذ أبو الحسن بن الباذش وهو قول ابن عصفور ، وابن مالك ، وقال الأستاذ أبو علي : هذا غلط وإنما بنو تميم يعربونه في الرفع ويبنون في النصب والجر . وحكى الكسائي أن بعضهم يمنعه الصرف رفعاً ونصباً وجراً ، وبعضهم ينونه تنوين الصرف في الأحوال الثلاثة إلاّ في النصب على

---

(١) ذكر أنها لتميم ثم قال : ومنهم فيستدل على أنها لجمهورهم.
انظر البحر : ١١/٧ ، والكتاب ٢٨٣/٣ ، ت : هارون ، وشذور الذهب لابن هشام : ص ١٠٠ ، وأوضح المسالك لابن هشام : ١٥٣/٣ .

(٢) ينظر الكتاب : ٢٨٣/٣ .

(٣) انظر اللسان : ٣٤٠/٢ ، ٣٤١ ، بمراجعتي اللسان : ٨/٦ ، ٩ ، ١٠ ، لم أجد نسبتها لعقيل . ذكر أن جميع العرب تصرف « أمس » إذ استعملت استعمال الأسماء وعلق على كلام الجوهري بقوله : إن الجوهري على صواب . مرجعه الصحاح ٤٤٠/١ ، اللهجات العربية الغربية القديمة لشايم رابين ص ٢٨٣ .

الظرف ، فإنهم لا ينونوه)(١).

فالخلاصة : أن لغات العرب أختلفت في إعراب هذا اللفظ " أمس " .
فالاختلاف مرجعه أن الذين يعربون " أمس " ويصرفونه في الأحوال الثلاثة رفعاً ونصباً وجراً يمثلون القلة من بني تميم(٢) .

يقول أبو حيان : (ومنهم من يمنعه الصرف مطلقاً ...)(٣) بعد قوله : (وتميم تمنعه الصرف حالة الرفع فقط ...)(٤) .

وقال : (حكى الكسائي أن بعضهم يمنعه الصرف رفعاً ونصباً وجراً)(٥) ، هم على الأصل في لغة تميم ، كما أن الأصل في الكلام أن يكون معرفاً بالألف واللام . فكلمة " أمس " معدولة عن الأمس . يقول أبو حيان : (أجاز الخليل في " لقيته أمس " أن يكون التقدير " لقيته بالأمس " بحذف الباء و " ألْ " فتكون الكسرة كسرة إعراب ....)(٦) .

أما الذين يمنعونه الصرف حالة الرفع فهذا على لغة تميم واختيارهم للبناء لأن ديارهم قد تكون بالقرب من الحجاز . والذي يسند ذلك أن بعض المصادر ذكرت أن لغة عقيل تتفق مع لغة تميم في إعراب " أمس " غير مصروف ، وعقيل من القبائل القيسية البدوية التي على صلة وثيقة بتميم كما أنها تسكن أواسط نجد وشرقها(٧)

---

(١) انظر الارتشاف : ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ .
(٢) انظر الكتاب لسيبويه : ٢٨٣/٣ .
(٣) البحر " ١١٠/٧ .
(٤) نفس المرجع والصفحة ، وانظر شرح قطر الندى لابن هشام ١٥ – ١٩، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ٩٩ ، ١٠٠ .
(٥) الارتشاف : ٢٤٨/٢ .
(٦) نفس المرجع والصفحة وانظر شرح المفصل : ١٠٧/١ .
(٧) انظر ما رآه د. غالب المطلبي في كتابه لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ص ٢٣٢ .

رابعا: " تترى " بين المنع والصرف :

نص أبو حيان على أن " تترى " تمنع من الصرف وذلك عند جمهور العرب وتصرف لغة لكنانة فقال عند تفسيره لقوله عز وجل ﴿ ثم أرسلْنا رُسلَنَا تَتْرَى﴾(١) : (" تترى " واحداً بعد واحد . قال الأصمعي : وبينهما مهلة . وقال غيره :المواترة التتابع بغير مهلة وتاؤه مبدلة من واو على غير قياس إذ أصله الوتر كتاء " تولج " و " تيقور " ، الأصل " وولج " و " ويقور " لأنه من " الولوج " و "الوقار " ، وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تنونه ، وينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء يدل على ذلك . ومن زعم أن التنوين فيه كـ " صبراً " و " نصراً " فهو مخطيء لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الإعراب في الراء فتقول " تتر " في الرفع و " تتر " في الجر لكن ألف الإلحاق في المصدر نادر(٢) ولا يلزم وجود النظير . وقيل " تترى " اسم جمع كـ " سرى " و " شتى ")(٣).

وقال : (والتاء الأولى من " تترى " بدل من الواو وأصله " وترى " كما أبدلوا التاء من الواو في " تخمة " أصله " وخمة " ووزن الكلمة " فعلى " فقريء منوناً فتكون الألف فيه للإلحاق كهي في " أرطاً " منوناً وقريء بغير تنوين فتكون الألف للتأنيث اللازمة كهي في " أرطى " في لغة من لم ينون وانتصب على الحال أي متواترين واحد بعد واحد)(٤) .

---

(١) المؤمنون : ٤٤ .

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالتنوين على أنه مصدر . انظر الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٢٩٥/١ الهامش " تتراً ".

(٣) البحر : ٣٩٣/٦ ، ٣٩٤ .

(٤) النهر الماد على هامش البحر ٤٠٦/٦ .

كما أورد القراءات في " تترى " فقال : (وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتادة وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن والشافعي " تترى " منوناً ، وباقي السبعة بغير تنوين)(١).

مما سبق يستبين أن في " تترى " من المواترة لغتان(٢) ، لغة الصرف فتنون فيقال " تترىً " على وزن " فعلى " فالألف فيها للإلحاق بأرطى ، فالألف موضع الإعراب يظهر فيها ، يقول النحاس : (ومن نون جعل الألف للنصب كما تقول : رأيت زيداً يا هذا)(٣).

والذي يظهر لي من قول أبي حيان : (ينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في " علقى " المنون)(٤) . أن صرف " تترى " عنده أقيس كما أنه زاد فقال : (فقريء منوناً فتكون الألف فيه للإلحاق كهي في " أرطاً " منوناً ..)(٥) وهي لغة عزاها لكنانة .

يقول الفراء : (أكثر العرب على ترك التنوين تنزل منزلة تقوى ومنهم من نون فيها وجعلها ألفاً كألف الإعراب)(٦) .

واللغة الثانية لغة المنع من الصرف وعلته لأن الألف فيه للتأنيث ، يقول أبو حيان : (فجمهور العرب على تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم ..)(٧)

---

(١) النهر الماد على هامش البحر: ٤٠٧/٦ وانظر شرح الكافية الشافية: ١٧٤٩/٤ والقراءة بغير التنوين للكوفيين ونافع والحسن وابن محيصن . انظر اعراب القرآن : ١١٤/٣ ، وانظر التبصرة في القراءات ص ٢٦٩.

(٢) انظر الكتاب : ٢١١/٣ .

(٣) انظر إعراب القرآن : ١١٥/٣ وانظر الإقناع في القراءات السبع :٢٩٥/١.

(٤) البحر : ٣٩٦/٦ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٤٠٦ .

(٦) معاني القرآن : ٢٣٦/٢ .

(٧) البحر : ٣٩٦/٦ .

وقال: (قريء بغير تنوين فتكون الألف للتأنيث اللازمة كهي في أرطى في لغة من لم ينون ..)(١) .

قال الفراء : (إن شئت جعلت بالياء منها كأنها أصْلية ، فتكون بمنزلة المعزى تنون ولا تنون)(٢) .

ولعل انفراد كنانة دون سائر العرب بتنوين " تترى " المنتهي بألف مقصورة كألف " علقى " و " أرطى " . وقيل أنه على وزن " فعلى " كـ " سكرى "(٣) تلك القبيلة المتسمة بالبداوة فيه ميل إلى التثقيل بما يناسب طبع أهل البادية(٤) في النطق لما فيهم من خشونة وميلهم إلى استعمال الألفاظ والصيغ المؤدية لذلك . أما ترك التنوين وهو منع الاسم من الصرف فيظهر فيه الميل إلى التخفيف بما يناسب نطق الحاضرة ولكن تخفيفاً الهدف منه ليس السرعة في الأداء إنما بقصد التوضيح وقد عزى أبو حيان ترك التنوين إلى جمهور العرب عدا كنانة ، والفراء قال : (أكثر العرب على ترك التنوين .... ومنهم من ينون فيها) . وعبارة الفراء "منهم" بدون تحديد ، ونسبة فيها دلالة على أن الصرف يشمل أكثر من هذا الحيز القبلي المحدد بقول أبي حيان " وكنانة " فكنانة وإن كانت تلك القبيلة الكبيرة ذات الفروع العديدة وسكناها جنوب مكة في تهامة في رقعة واسعة من الجزيرة(٥) ، إلا أن عبارة الفراء توحي بشمول هذه الظاهرة حيزاً أكثر بالقرب من ديار هذيل ، فهذا ما أردت استظهاره من قول الفراء " ومنهم من ينون ..." .

---

(١) النهر الماد من البحر : ٤٠٦/٦ وانظر التبصرة والتذكرة للصيمري ٥٤٩/٢ .

(٢) المعاني : ٢٣٦/٢ ، وانظر اعراب القرآن ١١٤/٣ .

(٣) انظر اعراب القرآن للنحاس : ١١٤/٣ .

(٤) بعض الباحثين رأى أنه من لهجات البادية . انظر اللهجات في معاني القرآن للفراء ص ٣٣ ، د. صبحي عبد الحميد .

(٥) انظر معجم قبائل العرب : ٩٦٦/٣-٩٦٧ ، عمر رضا كحالة ومعجم معالم الحجاز ٢٠٢/٤ عاتق غيث البلادي .

خامساً : " فرادى "(١) بين المنع(٢) والصرف :

ذكر أبو حيان الإختلاف في لفظة " فراد " من حيث الصرف ومنعه فقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٣) : (ويقال فيه " فراد " منوناً على وزن " فُعال " وهي لغة تميم ، و " فراد " غير مصروف كأحاد وثلاث وحكاه أبو معاذ) (٤) .

فالصرف لغة تميم كما نص عليها أبو حيان فقال : (قال أبو البقاء : من صرفه جعله جمعاً مثل تؤام ورخال وهو جمع قليل)(٥) فدل على صرفه تنوينه. أما منع الصرف فيفهم من نص أبي حيان أنه لغة الحجازيين لأنه نص على نظيرتها التميمية وعلته أنه جاء على وزن " فَعالِ " كأحاد وثلاث المعدولة(٦) . يقول الفراء : (وهو جمع . والعرب تقول " قوم " فرادى وفرادُ يا هذا فلا يُجرُونها (٧) شبهت بثلاث ورباع . و "فرادى" واحدها " فرْد وفرِد وفريد " ، و "فراد" للجمع ، فلا يجوز " فرد " في هذا المعنى ، وأنشدني بعضهم :

---

(١) معناه فرداً فرداً ، ويقال " فراد " والألف في " فرادى " للتأنيث .
انظر البحر : ١٦٣/٤ .

(٢) الممنوع من الصرف هو المعرب الذي لا يوجد فيه تنوين ولا جرّ إلا إذا أضيف أو أدخلت عليه " ألْ " .

(٣) الأنعام : ٩٤ .

(٤) البحر : ١٦٣/٤ و ٢٩٨/٧ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) انظر الارتشاف : ٤٣٧,١ ذكر آراء النحاة في القياس في الأعداد المعدولة ما لم يسمع على ما سمع عند بعضهم ، وبعضهم منعه .

(٧) لا يصرفونها .

ترى النعرات(١) الزرق تحت لبانه

فراد ومثنى أصعقتها صواهله)(٢)

وروى أبو زيد عن الكلابيين صرفه " فراد " يقولون : جئتمونا " فرادْى" وهم فرادٌ وأزواج ينونون فيها(٣).

وقيل علة منع الصرف الألف في آخره ، قال النحاس : (ولم ينصرف لأن فيه ألف التأنيث ، وقرأ أبو حيوة " فُراداً " بالتنوين ، قال هارون : لغة تميم "فُراداً" بالتنوين . وهؤلاء يقولون في موضع الرفع فرادٌ . وحكى أحمد بن يحيى " فُرادُ " بلا تنوين مثل " ثلاث ورُباع ")(٤).

وقال أبو حيان : (وقرأ عيسى بن عمر وأبو حيوة " فرادًا" بالتنوين وأبو عمر ونافع في حكاية خارجة عنهما " فردَى " مثل " سكرى " كقوله ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ وأنث على معنى الجماعة والكاف في كما في موضع نصب . قيل : بدل من " فرادى ")(٥).

ومما سبق نلحظ أن " فرادى " اختلفت لغات العرب في إعرابه إذ وردت قراءات القراء(٦) بتنوينه ، وجاء القرآن باللفظ بغير تنوين(٧) " فرادى "،

---

(١) روي النعراق وآحاد بدل من فراد ، انظر الهمع : ٨٣/١ ، والبحر :١٦٣/٤.

(٢) المعاني : ٣٤٥/١ ، والقائل هو تميم بن مقبل ، انظر الديوان ص ٢٥٢ . الشاهد فيه ،قول : (فرادَ) بدون تنوين .

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري : ٩٨/١٤ .

(٤) إعراب القرآن : ٨٣/٢ . وانظر : معاني القرآن للأخفش : ٤٤٦/٢.

(٥) البحر : ١٨٢/٤ ، وانظر المعاني : ٢١٤/٢-٢١٥. الآية : الحج : ٢ .

(٦) البحر : ١٨٢/٤ .

(٧) انظر البحر : ٢٨٨/٧ وردت في قوله تعالى﴿ إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ هذه اللغة بدون تنوين . سبأ : ٤٣ .

والقرآن لا يجيء إلا على الأفصح والأشهر والأفشى فدل ذلك على أن القراءة بلا تنوين هي اللغة الفصحى في ذلك وأنها لغة الحجاز إذ كثيراً ما نُعتت بالفصاحة وعدم التنوين يعني منعه الصرف ، فإذا قيل : " جاء القوم فرادى " كان أبلغ في التعبير وأفصح ، كما أن قول " سكرى " أفصح من قول " سكرانة " وقد روي أن " فردى " مثل " سكرى " قراءة أبي عمرو ونافع(١) . وصرفه لا يقل فصاحة عن لغة المنع لأنها لغة تميم المشهورة بالفصاحة والبيان وشاركها الكلابيون ذلك لتجاورهم مع تميم . وقد جُوز صرف ما كان على " فَعَالِ " لأنه جرد عن الوصفية ، قاله الفراء وقال: (فيقال على هذا " ثلاث " ثلاث ثلاث وثلاثاً ثلاثاً وأن ذلك من كلام العرب)(٢) ، وأنشد على ذلك قول :

فإنّ الغلام المستهامُ بذكره قتلْنا به من بين مثنى وموْحدِ(٣)

وصرف الممنوع من الصرف مشهور في لغة العرب ، ونقل أن من لغات(٤) العرب صرف ما منع صرفه عند عامة العرب ، وقد تكلم النحاة فيه فبعضهم نقل أنه لغة(٥) وبعضهم رأى أنه ضرورة(٦).

---

(١) انظر البحر : نفس الجزء والصفحة . وانظر الكتاب : ٣/٢١٠-٢١١.

(٢) معاني القرآن للأخفش الأوسط ١/٢٢٥ ، ٢٢٦ ت : فائز فارس وانظر الشفاء ٢/٩١٠، وانظر الهمع : ١/٨٦ - ٨٧ .

(٣) الشاهد فيه قوله " مثنى وموحد " والقائل مجهول . انظر شفاء العليل : ٢/٩٠٦ .

(٤) انظر البحر : ٤/١٦٤ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٢/٩٧ .

(٥) نقل الأخفش ذلك عن العرب بأنها تنصرف جميع ما لا ينصرف مطلقاً . انظر المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل : ٣/٤٤ ، والهمع : ١/١١٩-١٢٠، وشرح المفصل : ١/٦٨ .

(٦) انظر الهمع : ١/٨٥ ، رأى السيوطي أنه ضرورة .

وقيل للتناسب(١) ، يقول أبو حيان : (ويجوز في الضرورة صرف ما لاينصرف وهو لغة عند قوم من النحاة ، وقد أجاز ذلك في الكلام أحمد بن يحيى(٢) ، وأما الجمع المتناهى فقال الأخفش : بعض العرب تصرفه وقد قرىء : " سلاسلاً وأغلالاً " ، و " قواريراً قواريراً " بالتنوين . وقال بعضهم : قد يصرف للتناسب وجعل من ذلك " سلاسلاً وقواريراً " ، و(وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ)(٣) في قراءة(٤) من نوّن ، واستثنى بعضهم ما آخره ألف تأنيث نحو :بُشْرَى فذكر أنه لا يصرف للضرورة ، واستثنى الكوفيون " أَفْضَلُ من " فلم يصرفوه للضرورة)(٥).

وكل ذلك مسموع عن العرب والأمثلة عليه منكورة في آي الذكر الحكيم وقراءات القراء ، فمن ذلك القراءات في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾(٦) .

يقول أبو حيان : (قرأ طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وأبو عمرو وحمزة " سلاسل " ممنوع الصرف وقفاً ووصلاً . وقيل عن حمزة وأبي عمر : الوقف بالألف . وقرأ حفص وابن ذكوان بمنع الصرف ، واختلف عنهم في الوقف وكذا عن البزي . وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلاً بالألف المبدلة منه وقفاً وهي قراءة الأعمش ، وقيل : هذا ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعل من وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم وعلل ذلك بأن هذا الجمع

---

(١) انظر المساعد : ٤٣/٣ . (٢) هو ثعلب ، توفي ٢٩١ هـ .

(٣) نوح : ٢٣ (وداً وسواعاً) ، انظر شرح ابن عقيل ٣٣٨/٢ .
ذكر أن صرف الممنوع من الصرف ضرورة وتناسب .

(٤) قراءة نافع وهشام والكسائي وأبي بكر وابن كثير في الأول . انظر التبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ت : د . محيي الدين رمضان ٣٦٦، وانظر معاني القرآن للفراء : ٢١٤/٣ .

(٥) الإرتشاف : ٤٤٨/١ .

(٦) الإنسان : ٤ .

لما كان يجمع فقالوا "صواحبات يوسف" ، و "نواكسي الأبصار" أشبه المفرد فجرى فيه الصرف ، وقال بعض الرّجاز :

والصرف في الجمع أتى كثيراً حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة ، وفي مصحف أبي وعبدالله وكذا "قوارير" . وروى هشام عن ابن عامر "سلاسل" في الوصل و "سلاسلا" بألف دون تنوين في الوقف . وروى أن من العرب من يقول : "رأيت عمرا" بالألف في الوقف)(١) .

وقال النحاس : (هذه قراءة أبي عمرو وحمزة بغير تنوين إلا أن الصحيح عن حمزة أنه كان يقف "سلاسلا" بالألف اتباعاً للسواد ؛ لأنها في مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة بالألف وقراءة أهل المدينة وأهل الكوفة غير حمزة ﴿انا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً ﴾ ، والحجة لأبي عمرو وحمزة أن "سلاسل" لا ينصرف ؛ لأنه جمع لا نظير له في الواحد ، وهو نهاية الجمع فثقل فمنع الصرف والوقوف عليه بالألف والحجة فيه أن الرؤاسي والكسائي حكيا عن العرب الوقوف على ما لا ينصرف بالألف ولبيان الفتحة فقد صحت هذه القراءة من كلام العرب ، والحجة لمن نونّ ما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين أن العرب تصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعل منك . فهذه حجة ، وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول : كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام ؛ لأن الشعر أصل كلام العرب فكيف نتحكَّمُ في كلامها ونجعل الشعر خارجاً عنه . وحجة ثالثة أنه لَما

---

(١) البحر : ٣٩٤/٨ ، ٣٩٥ ، وانظر التبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب ٣٦٦ ، وكتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش : ٧٩٩/٢ - ٨٠٠ ، ومعاني القرآن للفراء : ٢١٤/٣ ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٣٥٠/٣ - ٣٥١ .

كان إلى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني)(١).

و منه قراءة قوله تعالى:﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾(٢) يقول أبو حيان في ذكر القراءات في لفظ " يعوق ويغوث " : (وقرأ الجمهور " ولا يغوث ويعوق " بغير تنوين ، فإن كانا عربيين فمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل ، وإن كانا أعجميين فللعجمة والعلمية . وقرأ الأشهب " ولا يغوثاً ويعوقاً " بتنوينهما . قال صاحب اللوامح(٣) جعلهما " فعولاً " فلذلك صرفهما ... وقال ابن عطية : وقرأ الأعمش : " ولا يغوثاً ويعوقاً " بالصرف وذلك وهم لأن التعريف لازم ووزن الفعل . انتهى وليس ذلك بوهم ، ولم ينفرد الأعمش بذلك بل قد وافقه الأشهب العقيلي على ذلك وتخريجه على أحد الوجهين ، أحدهما : أنه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة، وقد حكاها الكسائي وغيره ، والثاني : انه صرف لمناسبة ما قبله وما بعده من المنون إذ قبله" وداً وسواعاً " ، وبعده "ونسراً " كما قالوا في صرف " سلاسلاً وقواريراً " قواريراً لمن صرف ذلك للمناسبة ، وقال الزمخشري: وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ففيهما منع الصرف ، ولعله فصل الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات " وداً وسواعاً ونسراً " كما قرىء " وضحاها " بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى. وكأن الزمخشري لم يدر أن ثم لغة لبعض العرب تصرف كل ما لا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلها)(٤) .

---

(١) إعراب القرآن : ٥/٩٦ – ٩٧ .

(٢) نوح : ٢٣.

(٣) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي ، اللوامح في شواذ القراءات كتابه ، وانظر البحر : ٦/١٧٢ .

(٤) البحر : ٨/٣٤٢ ، والدرر ، نفس الصفحة على هامش البحر .

ومن أمثلة ذلك في الشعر قول :

فأتاها أحيمرٌ كأخي السهم   بعضب فقال : كوني عقيراً(١)

فصرف الممنوع من الصرف ، قيل : للضرورة كما في هذا البيت ، وقيل : للتناسب كما في " سلاسل " و هي لغات للعرب كما هو ثابت: فالقراءات المذكورة خرجت عليه ، ومما ورد منوناً من الأسماء الممنوعة من الصرف في قراءة بعض القراء " آزر " اسم أعجمي ، فهو منع للعلمية والعجمة ، ذكر ذلك أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾(٢): (وقرأ ابن عباس أيضاً " أأزراً " أتتخذ بهمزة استفهام وفتح الهمزة وبعدها سكون ونصب الراء منونة ... وحذف همزة الاستفهام من أتتخذ . وقرأ الأعمش " إزرا " اتخذ بكسرة وسكون الزاي ونصب الراء وتنوينها بغير همزة استفهام في تتخذ)(٣) .

---

(١) الشاهد فيه تنوين "أحيمر" للضرورة مع كونه مستحق للمنع .
انظر شرح الأشموني في حاشية الصبان على شرحه للألفية : ٣/٢٧٤ ، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل : ٣ /٤٣ ، وقائل البيت : أمية بن أبي الصلت الثقفي.

(٢) الأنعام : ٧٤ .

(٣) البحر : ٤/١٦٤.

الفصل الثاني
الإعراب بالحروف

المبحث الأول – اختلاف لغات العرب في إعراب المثنى والملحق به وحركة نونه .

المبحث الثاني- إعراب الاسم الموصول عند الجمع وإعراب المحذوف اللام المعوض عنها تاء تأنيث .

-إعراب لفظ " شيطان " إعراب جمع المذكر السالم.

المبحث الأول : اختلاف لغات العرب في إعراب المثنى والملحق به وحركة نونه :

المثنى :

يعرب المثنى في معظم لغات قبائل الحجاز وتميم بالألف رفعاً و بالياء نصباً وجراً وهذا هو المشهور ، ولكن أوردت لنا الروايات أن بعض القبائل العربية الزمت المثنى الألف في الأحوال الثلاثة . وهذه الظاهرة وقف عندها النحاة معللين وذاكرين القبائل التي تنطق بهذه اللغة ، فقد ذكر أبو حيان ، بعد أن بين تخريجات النحاة ، لإعراب قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾(١) ، أنه يختار اجرائها على لغة من يجرون المثنى بالألف في جميع أحوال الإعراب فقال : (وهي لغة لكنانة حكى ذلك أبو الخطاب ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حُكى ذلك عن الكسائي ولبني العنبر ولبني الهجيم ومراد وعذرة)(٢).

وقال : (قريء هذين بالياء وهو اسم ان وقريء بالألف وهي لغة لطوائف من العرب بني الحرث من كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة يجعلون المثنى بالألف رفعاً ونصباً وجراً ، وقال شاعرهم في النصب : " أعرف منها الأنف والعينانا).

وقال في الجر :

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى   مصاغا لناباه الشجاع لصمما

يريد لنابيه ، وقريء " ان هذان " بتخفيف " ان " وهي المخففة من

---

(١) طه :٦٣ ، وردت في المصحف الامام مخففة .
(٢) البحر : ٢٥٥/٦ .

الثقيلة و " هذان " مبتدأ ، و " لساحران " الخبر ، واللام هي الفارقة بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة)(١) .

وقال : (جعل المثنى كالمقصور فتلزم ألفه رفعاً ونصباً وجراً لغة منقولة عن طوائف من العرب فبنو الحارث بن كعب ، وزبيد ، وخثعم ، وهمد ان ، وكنانة، وبنو العنبر ، والهجيم بكر بن وائل وبطون من ربيعة ...)(٢).

وقد أورد أبو حيان توجيهات القراءات المروية(٣) لهذه الآية أولها تشديد النون في " ان " و " هذا " بألف وهي قراءة أبي جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف وأبي عبيد وابن جبير الأنطاكي والأخوان والصاحبان من السبعة وفي تخريج هذه القراءة يرى النحاة أنه على حذف ضمير الشأن والتقدير : ان هذان لساحران(٤) .

قال أبو حيان : (ضعف هذا القول بأن حذف هذا الضمير لا يجيء إلا في الشعر وبأن دخول اللام في الخبر شاذ)(٥).

---

(١) الدر على هامش البحر : ٢٥٠/٩ ، وانظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي : ١٥١/١ ذكر أنها لخثعم وهي فخذ من طيىء، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧٦/٢-٧٠٤ .

(٢) الارتشاف : ٢٥٦/١ وانظر الشذور ٤٨ ، ومعاني القرآن للفراء : ١٨٣/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش : ٤٠٨/٢ ، وكتاب الاقناع في القراءات السبع : ٦٩٩/٢ ، أحمد بن خلف الأنصاري ، ت : د. عبد المجيد قطامش ، والبرهان في علوم القرآن : ٢٢٩/٤ ، ت : د. محمد أبو الفضل ابراهيم ، وانظر: شفاء العليل في إيضاح التسهيل للسلسيلي ، ت : د. عبدالله الحسيني البركاتي. انظر : الهمع : ١٣٣/١ زاد فيه فزارة وقيل مزادة ، ت : د. عبدالعال سالم مكرم . انظر اللهجات العربية القديمة ، شايم رابين ٢٨٢ .

(٣) البحر : ٢٥٠/٦ وانظر الكشاف : ٥٤٣/٢ ، الحجة لابن خالويه ٢١٧ .

(٤) انظر الشذور ، ص ٤٦ .

(٥) البحر : ٢٥٥/٦ .

وقال « قال الزجاج اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير لهما ساحران ، فدخلت على المبتدأ المحذوف واستحسن هذا القول شيخه أبو العباس المبرد والقاضي اسماعيل بن اسحاق بن حماد بن زيد . وقبل " ها " ضمير القصة وليس محذوفًا ، وكان يناسب على هذا أن تكون متصلة في الخط فكانت كتابتها " ان هذان لساحران " وضعف ذلك من جهة مخالفته خط المصحف(١).

ثانيها : أن " أن " بمعنى هـم ، وثبت ذلك في اللغة فتحمل الآية عليه و " وهذان لساحران " مبتدأ وخبره اللام في لساحران علـى ذينـك التقدير فـي هـذا التخريج والتخريج والـذي قبله ، وإلى هذا ذهب المبرد واسماعيل بن اسحاق وأبو الحسن الأخفش الصغير(٢).

يقول أبو حيان :(والذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغـة بعض العرب من اجـراء المثنى بالألف دائمـاً وهي لغـة لكنانة ، حكى ذلك أبو الخطاب الحارث بن كعب وخثعم وزبيد ، وأهل تلك الناحية ، حكى ذلك الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة ، قال أبو زيد : (سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفاً)(٣).

ثالثها : قراءة " ان " مخففة ، و " هـذا " بالألف وشدد نون " هذان " ابن كثير ، يقول أبو حيان : (وتخريج هذه القراءة واضح وهو على" أن " هي المخففة من الثقيلة و " هذان " مبتدأ ، و " لساحران " الخبر ، و " اللام " للفرق

---

(١) البحر : ٢٥٥/٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، بتصرف ، وانظر الشذور ، ص ٤٨ ، والبرهان في علوم القرآن : ٢٢٩/٤ ، والجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ، ت : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، ص ٣٩٨ .

(٣) البحر : ٢٥٥/٦ والشذور ٤٦ – ٤٩ ، إعراب القرآن للنحاس :٤٤/٣-٤٦ ، شرح المفصل ١٢٩/٣ ، الحاشية .

بيــن " ان " النافية ، و " ان " المخففة من الثقيلة على رأي البصريين والكوفيين يزعمون أن إن نافية واللام بمعنى إلا)(١).

وهي قراءة أبو بحرية وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير .

رابعها : قراءة " ان " بالتشديد ، و " هذين " بالياء بدل الألف ، وهي قراءة عائشة والحسن والنخعي والجحدري والأعمش وابن جبير وابن عبيد وهذه جارية على سنن العربية(٢).

يقول أبو حيان : (وإعراب هذا واضح إذ جاء على المهيع المعروف في التثنية لقوله " فذانك برهانان " ، " إحدى ابنتي هاتين " بالألف رفعاً وبالياء نصباً وجراً)(٣).

وفي قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾(٤).

ذكر أبو حيان القراءات الواردة في قوله ﴿ فكان أبواه مؤمنين﴾ والتخريجات لها ، فقراءة " مؤمنان " بالرفع لأبي سعيد الخدري والجحدري وخرجها الزمخشري وابن عطية وأبو الفضل الرازي على أن في كان ضمير الشأن

---

(١) البحر : ٦/٢٥٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، رد الزجاج هذه القراءة بحجة أنها خالفت المصحف ولكن هذا مردود لأنها قراءة أبي عمرو وهو أحد القراء السبعة ثم أن القراءة متواترة وصحيحة السند وأبو عمرو قارئ ثقة عدل ضابط للرواية فلا يجوز ردها . وهناك قراءات أخرى قرأت فرقة ذان لساحران ، وقرأ عبدالله إن ذان إلا ساحران ، قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لأبيّ، وقرأت فرقة ما هذا إلا ساحران . انظر البحر ١/٢٥٥ .

(٣) البحر : ٦/٢٥٥ وانظر الشذور ٤٩ – ٥٠ ، والنشر في القراءات العشر : ٣/١٨٢ لابن الجزري ، ت : د. محمد سالم محيسن .

(٤) الكهف : ٨٠ .

والجملة في موضع خبر لكان ، وأجاز أبو الفضل على أن يكون مؤمنان على لغة بني الحارث ابن كعب فيكون منصوباً وأجاز أيضاً أن يكون في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان(١).

وفي قوله تعالى : ﴿ فجعل منه الزَّوجَيْنِ الذَّكرَ والأُنثَى﴾(٢)، يقول أبو حيان : (وفي قراءة زيد بن عليّ " الزّوجان " بالألف وكأنه على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنى بالألف في جميع أحواله)(٣).

ومما سبق نلحظ أن في المثنى لغات :

الأولى : وهي الأكثر شيوعاً رفعه وعلامته الألف ونصبه وجره وعلامتهما الياء وهي لغة معظم قبائل الحجاز وتميم ، وهي اللغة المشهورة التي ورد بها أكثر كلام العرب يقول أبو حيان :(وذهب الكوفيون وقطرب والزجاجي وطائفة من المتأخرين إلى أن هذه الحروف هي الإعراب نفسه ونسب هذا إلى الزجاج ... وقطرب والزيادي وثعلب الألف إعراب وقد روي عن الكسائي ... وأما النون فذهب الزجاج إلى أنها عوضٌ من حركة الواحد وابن كيسان عوض من تنوينه)(٤) ، وحذفها من تثنية الموصول " الذي " و " التي " لغة لبني الحارث وبعض ربيعة ، والاثبات لغة الحجاز وأسد(٥).

الثانية : إعرابه كالمقصور من الأسماء من الزامه الألف وجعل الحركة

---

(١) انظر البحر : ١٥٥/٦ .

(٢) القيامة : ٣٩ .

(٣) البحر : ٣٩١/٨ .

(٤) الارتشاف : ٢٦٤/١، ٢٦٥.

(٥) الارتشاف : ٢٥٦/١، وانظر الكتاب :١٨٦/١، ت:هارون، والمقتضب :١٤٦/٤، ت : عضيمة ، انظر شفاء العليل في إيضاح التسهيل للسلسيلي : ٢٢٢/١ ، شرح المفصل ١٥٥/٣.

عليها ، يقول أبو حيان : (جعل المثنى كالمقصور فتلزم ألفه رفعاً ونصباً وجراً)(١).

وقال : (وذهب الخليل وسيبويه(٢) إلى أن حركات الإعراب مقدرة في الألف والواو والياء واختاره الأعلم والسهيلي وإليه أذهب)(٣).

وهي لغة طوائف من العرب كثيرهم بنو الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وهمدان وكنانة وبنو العَنْبر وبنو الهُجَيْم وبكر بن وائل وبطون ربيعة(٤) وخُرج عليها قراءة قوله تعالى : ﴿ قالوا إن هذان لسحران﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنان ﴾ ، وقوله جل ثناؤه :﴿ وجعل منه الزوجان ﴾ بالألف في كل الأحوال الثلاثة .

وقبل هذا الإلزام ضرورة(٥) شعرية ويرد بالمسموع المروي المحفوظ عن العرب .

وهناك لغة ثالثة(٦) وهي إلزام المثنى الألف وجعل الحركة على النون ظاهرة غير مقدرة يقول الصبان : (وبعض من يلزمه الألف يعربه بحركات ظاهرة

---

(١) الارتشاف : ٢٥٦/١ ، ٢٥٧ .

(٢) انظر الكتاب :١٧/١ .

(٣) الارتشاف : ٢٦٤/١ ، وانظر شرح ابن عقيل للألفية : ٥٨/١ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك :٨٩/١.

(٤) الارتشاف : ٢٥٧/١ ، فزاد أحد الباحثين سُليم وذكر المصدر الذي عزيت فيه البحر المحيط ولم أجدها معزوة لسُليم في الجزء الذي ذكر لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي ص ١٠٠ ، فتحي الدجني .

(٥) ما يجوز للشعر من الضرورة للقزاز القيرواني ٣٥٤ – ٣٥٥ ت : د. رمضان عبد التواب ، د. صلاح الدين الهادي .

(٦) لم يذكرها أبو حيان ولم ترد معزوة في المراجع التي اطلعت عليها إنما ثبت أنها لغة .

علـى النــون كالـمفرد الصحيح ، فيقــول : " جــاء الزيــدانُ " بضـم النون ، و " رأيت الزيدانَ " ، وبفتحها ، و " مررت بالزيدانِ " بكسرهـا وهـي لغـة قليلـة جداً)(١).

ونقل أبو حيان رأي سيبويه والكسائي والفراء في هذين الحرفين فقال : (وقال أبو القاسم خلف ابن فتح بن جودي : سيبويه والكسائي والفراء يقولون في ألف المثنى ويائه إنهما حرفا إعراب بمنزلة الدال في زيد ، وحركة الإعراب مقدرة فيهما)(٢) ، وقال:(وقيل هذا من العرب من يجعل الإعراب في النون فعلى هذا تفتح مع الياء نصباً وتكسر فيها جراً)(٣) .

وأخلص إلى القول : بأن المستحسن في توجيه قوله تعالى :﴿ إنْ هذان لسحران ﴾ أن هذه القراءة جاءت على لغة قبائل الحارث ابن كعب وخثعم وزبيد وهمدان وغيرهم من القبائل التي تُنسب إليها هذه اللغة ، فهي لغة لقبائل عدة منتشرة ومشهورة وردت عليها شواهد كثيرة منها قول :

* أعرف منها الأنف والعينانا *

وقول آخر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى　　　مساغاً لناباة الشجاع لصمما(٤)

---

(١) رأى سيبويه والكسائي والفراء أن الألف والياء في المعنى حرفا إعراب وحركة الإعراب مقدرة فيهما . انظر الارتشاف : ١/٢٦٤ ، ٢٢١، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/٨٩ .

(٢) الارتشاف : ١/٢٦٤ .

(٣) نفس المرجع ١/٢٥٦ .

(٤) انظر الدر اللقيط على هامش البحر المحيط : ٦/٢٥٠ ، ورد على هذه اللغة شواهد كثيرة ذكرها في كتبهم ، انظر على سبيل المثال شرح المفصل :٣/١٢٨-١٢٩ ، وقيل هي اللغة القديمة لبعض العرب . انظر الأصمعيات :٢٨٧، ت : عبد السلام هارون .

ثم ان قراءة " ان هذان " بالألف قراءة متواترة عن القراء الثقة ، جاءت على لغة كثير من القبائل وليس لتعليلها مدعاة فهي كغيرها من لغات العرب التي نزل القرآن بها فالقرآن نزل على سبعة أحرف كما روى في الحديث : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤا ما تيسر منه "(١) بل أنه ليس من المستحسن ذلك ثم أن من حكى هذه اللغة عن العرب علماء موثوق في روايتهم مثل أبي الخطاب(٢) والأخفش الكبير وهو من علماء اللغة الثقاة ، إمام في العربية كان يأخذ عن الأعراب مشافهة روى عنه سيبويه وغيره ، وأبي زيد الأنصاري(٣) وكل منهما مما يرتضى علمه وأمانته وصدق روايته .

وإذا نظرنا إلى سعة البيئة التي انتشرت فيها هذه اللغة وكثرة الناطقين بها من شرقي الجزيرة العربية وغربيها وجدنا أنها لغة فصيحة وقوية إذ قوة اللغة وفصاحتها في الغالب قائمة على كثرتها في كلام العرب وسعة إنتشارها ، كما أن بعض القبائل التي تلزم المثنى الألف حالتي النصب والجر منها قبائل شرقية عرف عنها أنها بدوية ضارية في الصحراء مثل بني العنبر وبني الهجيم وكنانة وربيعة(٤) التي من سماتها الميل إلى التخفيف والإسراع في النطق واستعمال الحروف التي يتأتى معها ذلك ، ونطق الياء في رأي يتطلب التأني في الأداء نوعاً ما وليس هذا من سمات نطق البرد ، وأما كون بعض هذه القبائل غربية فبحكم المجاورة اتفق

---

(١) انظر النشر : ١٦٨/٢ وانظر الاتقان : ١٥٩/٤ .

(٢) انظر بغية الوعاة : ٢٩٦ ، ت ١٧٧ هـ انظر طبقات الزبيدي ٣٥ . ونزهة الألباء . ٤٤.

(٣) هو سعيد بن أوس بن ثابت روى القراءة عن أبي عمرو وأبي السمال ت ٢١٥ هـ ، انظر غاية النهاية : ٣٠٥/١ ، انظر ما رواه أبو زيد ، البحر : ٢٥٥/٦ .

(٤) انظر نهاية الأرب : ٢٤٣ .

نطق تلك الشرقية مع هذه القبائل التي تسكن غرب الجزيرة (١) ، إذ المسلم به صعوبة إقامة حواجز فاصلة جغرافية لغوية بين القبائل العربية تميز لغة كل قبيلة عن الأخرى بسمات خاصة بها تلازمها لأن بيئة الجزيرة العربية على صعوبة التنقل بها نظراً لطبيعتها الجغرافية لم تقف حاجزاً في طريق تنقلات القبائل بها وتداخلها مع بعضها البعض بسبب ظروف حياتهم من مرعى وماء وحلف وحروب .

وفي رواية أبي زيد حين يقول : (سمعت من العرب من يقلب كل ياء يفتح ما قبلها ألفاً) دليل على ما ذكرت(٢) وقيل : من العرب من يقول : إذا وصل الحروف والأدوات بالضمائر لدال وعلال وألاك في لديك وعليك وإليك فلا يقلبون الفهن ياء وهي لغة بني الحرث بن كعب وعندهم يقلبون كل ياء ساكنة مفتوح ما قبلها الفاً(٣) وقال : قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً لغة لبني الحرث بن كعب يقولون : أخذت الدرهمان ، والسلام علاكم(٤) . وهذه السمة معروفة في لغات البادية مثل هذيل ولا تزال هذه الظاهرة في لغتهم ولغة الكثير من البادية في الوقت الحاضر(٥) .

---

(١) انظر معجم قبائل العرب : ٣٣١/١ ، معجم ما استعجم : ٦٣/١ ، صبح الأعشى : ٣٢٠/١ ، ١٠٦٦ .

(٢) البحر : ٢٥٥/٦ .

(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٣ ، الحاشية ١ .

(٤) انظر النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ٥٨ – ١٦٥ .

(٥) ونسبت هذه الظاهرة لهذيل .

كلا وكلتا الملحقتين بالمثنى :

اختلفت اللغات في إعراب (كلا) و (كلتا) فنكر النحاة هذا الإختلاف فالمشهور فيهما إذا أضيفتا لضمير المثنى أن تجريان في الإعراب مُجْرى المثنى وإذا أضيفتا إلى الاسم الظاهر كانتا بالألف في الأحوال الثلاثة رفعاً ونصباً وجراً وهذا في اللغة المشهورة لغة معظم القبائل العربية يقال: جاء كلا أخويك ، ورأيت كلا أخويك ، ومررت بكلا أخويك ، فتكون بذلك علامة الإعراب مقدرة على الألف كالمقصور .

وهناك من يجعل " كلا " و " كلتا " في حال إضافتهما إلى الاسم الظاهر كالمثنى وهذا قليل وهي لغة كنانة فيقال : على لغتهم جاء كلا أخويك ، ورأيت كلي أخويك ، ومررت بكلي أخويك .

وكلا و كلتا ملازمتان للإضافة ولا يضافان إلا لمعرفة واللغة الأولى وهي إعرابهما مع الاسم الظاهر كالاسم المقصور وردت كثيراً في القرآن من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى :﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾(١) يقول أبو حيان : (قرأ الجمهور كلتا الجنتين وفي مصحف عبدالله كلا الجنتين أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازي)(٢) .

وقال : (وأما " كلا " و " كلتا " فذهب البصريون إلى أنهما مفردان لفظاً مثنيان معنىً فإذا أضيفا إلى ظاهر كانا بالألف مطلقاً ، أو إلى مضمر انقلبت ألفهما ياء نصباً وجراً وتثبت رفعاً ، ولا يجيز البصريون غير هذا. وذهب الكوفيون إلى أنهما مثنيان حقيقة ، وحكى الكسائي والفراء وابن دريد(٣) وجماعة

---

(١) الكهف : ٣٣ .

(٢) البحر : ٦/١٢٤ .

(٣) ذكر المحقق أن في الأصل [دريود] .

أن بعض العرب يجريهما مع الظاهر مُجْراهما مع المضمر ، وحكى رأيت كلي أخويك ، وعزاها الفراء إلى كِنَانَةَ ، وأنهما قد تضافان إلى المضمر ويكونان بالألف في كل حال ، وقال أبو بكر بن طاهر ، وتلميذه ابن خروف وأبو ذر لغة قوم يجعلون " كلا " مثنى ولا يقولون كلاهما قام)(١) .

هذا ما ذكره أبو حيان في هذه المسألة من أن في " كلا " و " كلتا " لغتين إذا أضيفتا إلى الظاهر الأولى : وذهب إليها البصريون ولم يجيزوا غيرهما كما ذكر أبو حيان وهي لزومهما الألف كما قال " بالألف مطلقاً " .

والثانية : إعرابهما إعراب المثنى بالألف رفعاً وبالياء نصلاً وجراً ، وقد عزاها الكسائي والفراء إلى كنانة ، يقول الفراء : (وقد اجتمعت العرب على اثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان إلا بني كنانة فإنهم يقولون : رأيت كلى الرجلين ومررت بكلي الرجلين وهي قبيحة قليلة مضوا على القياس والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من هذا دعامة ليست بلام فعل فلما ثنيت زدتُ عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تـــــــزول على كل حال ، كما قالت العرب " الذي " ثم زادوا نوناً تدل على الجماع فقالوا : " الذين " في رفعهم ونصبهم وخفضهم . كما تركوا " هذان " في رفعه ونصبه وخفضه وكنانة يقولون "اللذون "(٢).

وذكر أنهما إذا أضيفا إلى المضمر من العرب من يخالف ما عليه جلّ لغات العرب فيلزم " كلا " و " كلتا " الألف في كل حال ، يقول أبو حيان : (وأنهما قد تضافان إلى المضمر ويكونان بالألف في كل حال ، وقال أبو بكر بن طاهر ،

---

(١) الارتشاف : ٢٥٧,١ .

(٢) المعاني : ١٨٤/٢ ، ١٤٢ ، والارتشاف : ٢٥٧/١ ، وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٨٧/١ .

وتلميذه ابن خروف وأبو ذر(١) لغة قوم يجعلون " كلا " مثنى ولا يقولون كلاهما قام)(٢) .

فهي لغة ثبت ذلك في نقل النحاة ذكر ابن عقيل أن لغة العرب في المثنى والملحق به الزامه الألف مطلقاً فيقول : " جاء الزيدان كلاهما ، ورأيت الزيدان كلاهما ، ومررت بالزيدان كلاهما "(٣) ولغة إلزام المثنى الألف مطلقاً حال الرفع والنصب والجر خلاف لما عليه عامة العرب في إعراب المثنى مفردة وثابت نقلها عن قبائل عدة هم : كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو العنبر وبنو الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وعَذْرة ومراد وخَثْعم وهَمْدان ومزاده وخرج عليه قراءة ، قوله عز وجل : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾(٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا وتران في ليلة)(٥) وجاء على ذلك شواهد عديدة روتها لنا كتب اللغة والنحو .

ومما استشهد على تلك اللغة قول :

نعم الفتى عمدت إليه مطيتي   في حين جدٌ بنا المسير كلانا(٦)

يظهر لنا مما سبق أن كنانة انفردت من بين القبائل العربية بأنها أعربت " كلا" و " كلتا " إعراب المثنى تجعل الياء فيهما حالتي النصب والجر ونلاحظ أنهم أجروها على القياس وهي على قلتها إلا أنها رويت عن كنانة وهي من

---

(١) هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الأندلسي ، ترجم له في البغية ٢٧٨/٢ .

(٢) الارتشاف : ٢٥٧/١ .

(٣) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٥٨/١ ، ٥٩ .

(٤) طه : ٦٣ .

(٥) سنن النسائي ٢٣٠/٣ .

(٦) الشاهد فيه مجيء " كلا " مضافة إلى المضمر " نا " وملازمتها للألف مع وقع اللفظ مجرور بحرف الجر " ب " من قوله " بنا " قبله .

القبائل التي اعتد النحاة بلغاتها .

أما لغة الزام " كلا " و " كلتا " الألف مع المضمر فقد جرت على لغة من الزم المثنى الألف في كل حال وقد قال بعض النحاة بأنها قياسية يقول الفراء : (وقرأ بعضهم : " إن هذان لساحران " خفيفة ... فقراءتنا بتشديد إن وبالألف على جهتين : إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما ، وخفضهما بالألف وأنشدني رجل من الأسد عنهم يريد بني الحارث :

فاطرق اطراق الشجاع ولو رأى   مساغاً لناباه الشجاع لعما

قال : "وما رأيت أفصح من هذا الأسدي وحكى هذا الرجل عنهم : هذا خط يدا أخي بعينه وذلك – وإن كان قليلاً – أقيس لأن العرب قالوا : مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ، لأن الواو لا تعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ، فلما رأوا أن الياء من الاثنين لا يمكن كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً ، تركوا الألف تتبعه فقالوا : رجلان في كل حال ..."(١)

فتكون " كلا " جرت على هذه اللغة حين خالفت لغة إعرابهما إعراب المثنى بالألف في الرفع والياء في النصب والجر والجدير بالذكر أن أبا حيان لم يذكر هذه اللغة معزوة في البحر وذكرها في الارتشاف ولعل لقلة هذه اللغة وندرت الشواهد المذكورة للاستدلال عليها سر ذلك .

---

(١) معاني القرآن : ١٨٤/٢ .

اللغات في تشديد نون اسم الإشارة والاسم الموصول :

اختصت أسماء الإشارة والأسماء الموصولة إذا استثنيت بتشديد نونيهما لأنهما عوض عن محذوف وقد تحذف وتبدل بياء وكل ذلك لغات(١). يقول أبو حيان ذاكراً القراءات واللغات في قوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ... ﴾(٢) وقوله عز وجل : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾(٣) ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿إِن هـٰذان لساحران﴾(٤) ، وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾(٥) ، وقوله : ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ﴾(٦) .

يقول في الآية الأولى : (وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " فذانك " بتشديد النون وباقي السبعة بتخفيفها . وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وسبل "فذانيك" – بياء بعد النون المكسورة – وهي لغة هذيل . وقيل بل لغة تميم ، ورواها شبل عن ابن كثير وعنه أيضاً " فذانيك " بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون التثنية(٧) نحو قوله :

" على احوذيين استقلت عشية "

وقرأ ابن مسعود بتشديد النون مكسورة بعدها ياء قيل: وهي لغة هذيل وقال المهدوي " بل لغتهم تخفيفها "(٨).

وقال : (وتشديد النون في اللذين واللتين وهذين وهاتين حالة كونهما

---

(١) انظر البحر : ٧٤/١ . انظر الإرتشاف:٥٢٦/١ .

(٢) القصص : ٣٢.   (٣) فصلت : ٢٩ .

(٤) طه : ٦٣ .   (٥) النساء : ١٦ .

(٦) القصص : ٢٧ .

(٧) فتحها لغة بني أسد نقلها عنهم الفراء . انظر شرح الأشموني ، ت : محي الدين عبد الحميد ، ٧٣/١ .

(٨) البحر : ١١٨/٧.

بالياء لا يجيزه البصريون والقراءة بذلك في السبعة حجة عليهم)(١).

وقال : (وقرأ الجمهور واللذان بتخفيف النون وقرأ ابن كثير بالتشديد ، وذكر المفسرون علة حذف الياء وعلة تشديد النون وموضوع ذلك علم النحو)(٢).

وقال : (وشد نون هذان ابن كثير)(٣) ، وقال : (ونقول في التثنية رفعاً اللذان واللتان وتخفيف نونيهما لغة الحجاز وبني أسد وتشديدهما لغة تميم وقيس ونصباً وجراً اللذين واللتين)(٤) .

ووجه التشديد(٥) في " فذانك " و " هاتين " و " اللذان " و " اللتان " . "فذانك" بتشديد النون أن إحدى النونين للتثنية والأخرى خلف لام ذلك أو بدل منها وكذلك في " هاتين " إحدى النونين للتثنية والأخرى عوض من لام تلك أو بدل منها ، وقيل التشديد عوض من الألف(٦)، قال الفراء : (وقوله ﴿ فذانك برهانان ﴾ اجتمع القراء على تخفيف النون من " ذانك " وكثير من العرب يقول " فذانك " و "هذان" قائمان ﴿واللّذان يأتيانها منكم ﴾ فيشدّدون)(٧).

وقال النحاس : (ومن قرأ " فذانّك " فله تقديران : منها أنه مثني ذلك فقال : ذانّك ومن قال " ذانكِ " وقيل : تشديد النون عوض من الألف التي حذفت من

---

(١) البحر : ٤٩٥/٧ .

(٢) نفس المرجع : ١٩٧/٣ .

(٣) نفس المرجع : ٢٥٥/٦ وانظر النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري : ٢٦/٣-٢٧ ، ١٨٣ ، ت : محمد سالم محيسن ، والارتشاف ٥٠٥/١.

(٤) الإرتشاف : ٥٢٦/١ .

(٥) لم يسمع التشديد إلا في تثنية اسم الإشارة والاسم الموصول .

(٦) الألف الأصلية في (ذا) التي حذفت . انظر التصريح على التوضيح:١٣٢/١ للأزهري .

(٧) معاني القرآن : ٣٠٦/٢.

" ذا " وكذا " واللذين يأتيانها منكم " وكذا " هذان خصمان " وهكذا القول الثاني قول أبي حاتم ، وقيل : بتشديد النون للفرق بين النون التي لا تقع معها إضافة فتحذف(١) وبين النون المحذوفة في الإضافة)(٢).

ومن رأى أن ألف " ذا " محذوفة لذلك اسقطت عند الإضافة الكوفيون والسهيلي(٣) وردّ هذا القول بأنها حذفت لالتقاء الساكنين ، لذا عوض عنها بالتشديد.

وقبل التشديد للفرق بين تثنية المبني وتثنية المعرب ، وقبل النون المشدودة هي الثانية وهي زائدة أتي بها لئلا يفصل بين ألف التثنية ونونها ، وقيل هي الأولى لئلا يكثر العمل بإسكان الأولى وإدغامها الأول رأي الفارسي والثاني لأبي حيان(٤) .

---

(١) الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة لا تحذف نونها لأنها صارت لا تضاف إنما يحتاج للإضافة النكرات ليعرف بها فتحذف النون فيهما من غير سبب الإضافة لا يكون إلا في الإسم الموصول وحذفها لغة رويت عن العرب وهم بنو الحارث بن كعب وبعض ربيعة ، وخرج عليه قوله تعالى ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ وقول الشاعر : " إن اللذي حانت بفلج دماؤهم " .
انظر البحر: ٧٦/١ ، وشرح المفصل : ١٥٤/٣ ، أوضح المسالك ١٣٩/١، وانظر الارتشاف : ٥٢٦/١ ، والحجة لأبي علي الفارسي : ٩٣/١، ١١٢. ومن شواهد الحذف قول الشاعر : " أبني كليب ان عميّ اللذا ..." قيل هو الفرزدق ، انظر شرح المفصل ١٥٥/٣ وحاشية الصبان ١٥٧/٨، وقيل الأخطل وهوفي ديوانه : ١٠٨/٢ ، انظر شفاء العليل في شرح التسهيل ٢٢٢/١-٢٢٣.

(٢) إعراب القرآن : ٢٣٧/٣ - ٢٣٨ ، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ١٤٢/٣ ، وانظر ١٣٥ - ١٣٦ ، وشذور الذهب لابن هشام ص ٤٩ .

(٣) انظر الهمع : ٢٥٧/١ - ٢٦٢ ، والإرتشاف : ٥٠٥/١ ، وشفاء العليل في شرح التسهيل : ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٥٧/١ - ١٥٨ .

أما التخفيف فوجهه على أنه على أصل التثنية الحقيقية(١) حيث اختلف النحويون في تثنية أسماء الإشارة والأسماء الموصولة هل هي صناعية أم هي صيغ وضعت للتثنية فرأى بعضهم أنها صناعية حيث أن أسماء الإشارة والأسماء الموصولة إذا ثنيت عادت إلى حكم التمكن بمفارقتها الحرفية عندما كانت مبنية فأصبحت النون عوض من الحركة والتنوين ، ومنهم من رأى أن النون عوض من الحرف الأصلي (الألف) حين حذفت من (ذا) لإلتقاء الساكنين عند التثنية .

ومنهم من رأى أن التثنية في أسماء الإشارة والموصولة ليست صناعية وإنما هي صيغة للتثنية فيها والنون ليست عوض من الحركة والتنوين و لا عوض من الحرف المحذوف والعلة في ذلك أن أسماء الإشارة والموصولات معارف فلا يصح تنكيرها بحال ومن ثم لا يصح تثنية شيء منها لأن التثنية إنما تأتي في النكرات(٢).

يقول أبو حيان : (وأسماء الإشارة مبنية فأما ذان وتان فهي عند المحققين صيغة لتثنية حقيقية)(٣).

وقال : (وتقول في التثنية رفعاً اللذان واللتان وبتخفيف نونيهما لغة الحجاز وبني أسد ، وتشديدهما لغة تميم وقيس ، ونصباً وجراً اللذين واللتين ولا يجوز تشديدهما مع الياء عند البصريين وأجازه الكوفيون ، وقرأ به بعضهم في قوله تعالى فقال : ﴿ ربنا أرنا اللذينّ أضلانا ﴾(٤) .

والصحيح أن تشديد النون وتخفيفها وزيادة ياء بعد النون المكسورة أو

---

(١) شرح المفصل ١٤١/٣ ، والنشر في القراءات العشر : ٢٧/٣.

(٢) انظر شرح المفصل : ١٢٧/٣ – ١٤١ – ١٤٢ . بتصرف .

(٣) الارتشاف ٥١٣/١ .

(٤) الارتشاف : ٥٢٦/١ .

المفتوحة لغات سمعت عن العرب وبها قرأ القراء ، فالتخفيف لغة الحجاز ، وبني أسد(١)، وقيل لغة جمهور العرب(٢) وبه قرأ معظم القراء(٣) في إسم الإشارة والاسم الموصول ، وقد وجه التخفيف على أنه على أصل التثنية وعدم التعويض من الألف أو الياء المحذوفتين عند التثنية(٤).

وقيل من قرأ مخففاً فهو تثنية (ذاك) اسم الإشارة للبعيد ، فلغة تميم "ذاك" مع الكاف بدون لام ، قال الفراء : (وأهل نجد من تميم وقيس وربيعة بغير لام)(٥) ، وقال : (وتميم تقول ذاك)(٦) .

فدل ذلك على أن التخفيف من لغة تميم وقيس وربيعة أيضاً إضافة لما روي أنه للحجاز وبني أسد ، وقيل لغة هذيل(٧) .

والتشديد لغة تميم وقيس ، وقيل لغة هذيل(٨) .

ومن توجيهات التشديد على أنه عوض من لام ذلك في أسماء الإشارة والياء في الأسماء الموصولة . وقيل من قرأ بالتشديد فهو تثنية " ذلك " . يقول الفراء : (وأهل الحجاز يقولون : ذلك وبه جاء القرآن وأهل نجد من تميم وقيس وربيعة بغير لام)(٩).

---

(١) الإرتشاف : ٥٢٦/١ .
(٢) انظر شرح التصريح : ١٣٢/١ .
(٣) ذكره الفراء في المعاني : ٣٠٦/٢ ، وانظر البحر ١١٨/٧ ، ١٩٧/٣ ، ٤٩٥/٧.
(٤) انظر شرح المفصل : ١٤١/٣ ، والنشر في القراءات العشر : ٢٧/٣.
(٥) الإرتشاف : ٥٠٧/١ .
(٦) المعاني : ١٠٩/١ ، وانظر أوضح المسالك : ١٣٩/١.
(٧) انظر الإرتشاف :٥٢٦/١ و البحر ١١٨/٧ ، والكشاف : ١٧٥/٣.
(٨) انظر البحر : ١١٨/٧.
(٩) انظر الإرتشاف : ٥٠٧/١ .

وقال : (وكثير من العرب يقول " فذانك " و " هذان " قائمان و ﴿اللّذان يأتيانها منكم﴾ فيشدّدون)(١).

ويقول أيضاً : (ذلك وتلك لغة قريش وتميم تقول " ذاك وتيك الوقعة")(٢).

فدل ذلك على أن التشديد من لغة الحجاز وروي أن ابن مسعود قرأ بتشديد النون في " ذان " وقيل هي لغة هذيل(٣).

فالتشديد لغة تميم وقيس وهذيل والتخفيف لغة الحجاز وبني أسد وهذيل حيث روى أن لغة هذيل التخفيف(٤) .

كما أن لغة تميم وهذيل بتشديد النون وبعدها ياء يقول أبو حيان : (وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وشبل " فذانيك " بياء بعد النون المكسورة وهي لغة هذيل ، وقيل : بل لغة تميم رواها شبل عن ابن كثير ، وعنه أيضاً " فذانيك" بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون التثنية ... وقرأ ابن مسعود بتشديد النون المكسورة بعدها ياء ، قيل : وهي لغة هذيل ، وقال المهدوي : بل لغتهم تخفيفها)(٥).

والتخفيف يكثر في لغة تميم وقيس وأسد فقد وردت عليه قراءات كثيرة ، فالحذف للتخفيف ظاهرة صوتية تكثر في لغة تميم رواها عنهم أبو عمرو بن العلاء من ذلك على سبيل المثال قراءته لقوله تعالى : (فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ)(٦) بسكون

---

(١) المعاني : ٣٠٦/٢ ، وانظر: شرح الأشموني ، حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٥٣/١.

(٢) المعاني : ١٠٩/١، وانظر أوضح المسالك ١٣٦/١.

(٣) البحر : ١١٨/٧ ، وانظر شرح التصريح على التوضيح للأزهري ١٣٢/١.

(٤) انظر البحر : ١١٨/٧ رواه المهدوي .

(٥) البحر : ١١٨,٧ ، وانظر شفاء العليل من شرح التسهيل ٢٥٦/١.

(٦) البقرة : ٥٤ ، وانظر البحر :٢٣٣/١، روى قراءة بالتخفيف على لغة أسد وقيس . انظر البحر : ١٠٩/١.

الهمزة . وهذا يناسب طبيعة الأداء عند تميم إذ هي قبيلة جمهورها بادية ، وقد تميل إلى التشديد لما في ذلك من ميل إلى التثقيل بما يناسب خشونتها ، فالسرعة في النطق وتفخيم الألفاظ أو الميل إلى ما يؤدي ذلك منهما لغة بدوية .

أما أهل الحضر فمن طبعهم في الأداء التأني في توضيح الكلمات وتأدية الحروف مع ميلهم أحياناً إلى التخفيف المناسب لطبيعتهم في الأداء وترقيق الحروف بما يلائم طبيعتهم الحضرية وهذا يناسب لغة الحجاز فمعظم قبائل الحجاز تميل إلى التحضر فهم سكان مدن وأهل تجارة وزراعة لذا نسب إليهم نطق اسم الإشارة للبعيد " ذلك " بلام ووجه تشديد نون المثنى في إسم الإشارة بأنه تثنية "ذلك" ، وقيل : ووصف التشديد في الفعل بأنه اللغة العليا(١)، وقيل : التشديد لغة الحجاز القديمة وبه قرأ ابن كثير(٢)، وقيل : التخفيف هو اللغة الغالبة(٣) ، فالتخفيف والتشديد ظاهرة في لغات العرب على السواء الحاضرة والبادية منهم ولكنه يقل في بيئة ويكثر في أخرى.

أن ما روي من أن هذيلاً وتميماً تنطقان بياء بعد النون " نون التثنية " في اسم الإشارة خاصة حيث أبدلوا النون الثانية المدغمة في الأولى ياء(٤) وهي ظاهرة من ظواهر لغات البادية لغات البادية .

---

(١) انظر البحر : ١٠٩/١روي بالتشديد في قوله تعالى"وبشر الذين آمنوا " يقول أبو حيان في الفعل لغتان التشديد وهي اللغة العليا والتخفيف لغة أهل تهامة . وروي بالتخفيف

(٢) القراءة سنة متبعة فلا يدل ذلك على أنه قرأ على بيئته الحجازية لما كثر عنه القراءة بالتشديد جاز أن تكون على لغة الحجازيين .

(٣) ينظر اللهجات في معاني القرآن للفراء : ٣١٦ ، د . صبحي عبدالحميد عبد الكريم .

(٤) انظر الهمع : ٢٥٧/١ – ٢٦٠ ، وشفاء العليل في شرح التسهيل :٢٥٦/١، وانظر الخصائص ١٢١/٣ ، وذكر ابن جني أن مطل الحركات كثير في لغات العرب ، ت : محمد علي النجار.

وأما ما روي من أن لغة هذيل التشديد وعليها قراءة ابن مسعود " فذانِّك" وقيل : بل التخفيف لغتهم فوجهه فيما أرى أن هذيلاً قبيلة تغلب عليها سمة البداوة فهي تسكن في بوادي الحجاز فيكون ميلها إلى التشديد من قبيل أنها تنطق بذلك ملائمة لخشونة أهل البادية وأما أن لغتهم التخفيف فهذا من سمات لغات البادية والمعهود فيها أن تميل إلى الإسراع في النطق وحذف بعض الحروف وإمالتها لغرض التخفيف بما يلائم البيئة البدوية الصحراوية ، وقد يكون أن بعض هذيل يخفف وبعضهم يميل إلى التشديد(١) ولكن من روى ذلك عمّم في روايته . أما الحذف فإنه مروي لغة(٢) فذلك مجرد ظاهرة صوتية إذا قيل أنه لغير إضافة ولا ضرورة شعرية وهو لغة بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة وقد علله النحاة بأن الموصول لما طال بالصلة قصد تقصيره لكون الصلة والموصول كالشيء الواحد .

---

(١) قراءة ابن مسعود التشديد لا تجعلنا نجزم بأنها لغة كل هذيل إذا روي أنه لغتهم التخفيف وهو الأكثر في لغة البدو ، يضاف إلى ذلك أن القاريء لا يقرأ على لغة قومه في كل قراءته إنما يتبع شيوخه في القراءة ، فالقراءة ثابت أنها متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا دخل للقاريء فيها .

(٢) لم يسمع حذف النون إلا في الأسماء الموصولة . انظر أوضح المسالك : ١/١٤٠ ، ١٤١ ، وشرح المفصل : ٣/١٥٥ وشفاء العليل : ١/٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والهمع ١: ٥/١ .

المبحث الثاني - إعراب الاسم الموصول عند الجمع وإعراب المحذوف اللام المعوض عنها تاء تأنيث .
- إعراب لفظ " شيطان " إعراب جمع المذكر السالم.

المشهور في اسم الموصول " الذي " إذا جمع وأريد به من يعقل(١) أن يكون مبنياً فيكون على صورة واحدة في الرفع والنصب والجر نحو : حضر الذين أحترمُهم ، وأكرمْتُ الذين احترمُهم ، وتحدثت مع الذين احترمُهم ، هذا هو المحفوظ في لغة معظم العرب ما عدا هذيلاً وعقيلاً وطيئاً وكنانة ؛ فتعرب هذا الاسم بالحروف تشبيهاً بصفات الذكور العقلاء يقال على لغتهم : جاء اللّذُون أسدوا إلينا معروفاً ، ورأيت الذين سلمت عليهم بالأمس ، وتحدثت مع الذين سلمت عليهم بالأمس .

يقول أبو حيان عند تفسيره قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾(٢): (والذي نختاره انه مفرد لفظاً وإن كان في المعنى نعتاً لما تحته أفراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد ناراً ... وقد جعل الزمخشري ذلك مثل قوله تعالى ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ ، وأعل لتسويغ ذلك بأمرين(٣) ، قال أحدهما ان الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة واستطالته بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم

اقتصروا به على اللام وإن كان في أسماء الفاعلين والمفعولين وهذا الذي ذكره من أنهم حذفوه

حتى اقتصروا به وان كان قد تقدمه إليه بعض النحويين خطأ لأنه لو كانت اللام بقية الذي لكان لها موضع من الإعراب كما كان للذي ولما تخطى العامل إلى أن

---

(١) انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك : ٢٥٨/١ ، وشرح ابن عقيل ١٤٤/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٥٨/١ ، وشرح المفصل : ١٣٨/٣، وشفاء العليل في شرح التسهيل للسلسيلي ٢٢٢/١، والهمع : ٢٨٢/١، والشذور : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ١٧ .

(٣) انظر تفسير الكشاف للزمخشري : ١٩٦/١ .

يؤثر في نفس الصلة فيرفعها وينصبها ويجرها ويجاز وصلهابالحمل ، كما يجوز وصل الذي إذ أقرن ياؤه أو حذفت . قال : والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن سواء . وما ذكره من أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون صحيح من حيث اللفظ ، وأما من حيث المعنى فليس كذلك بل هو مثله من حيث المعنى ألا ترى انه لا يكون واقعاً إلا على من اجتمعت فيه شروط ما يجمع بالواو والنون من الذكورية والعقل ولا فرق بين الذين يفعلون والفاعلين من جهة أنه لا يكون إلا جمعاً لمذكر عاقل ولكنه لما كان مبنياً التزم فيه طريقة واحدة في اللفظ عند أكثر العرب ، وهذيل أتت بصيغة الجمع فيه بالواو والنون رفعاً والياء والنون نصباً وجراً وكل العرب التزمت جمع الضمير العائد عليه من صلته كما يعود على الجمع المذكر فدل هذا كله على أن ما ذكره ليس بمسوغ لأن يوضع الذي موضع الذين إلا على التأويل الذي ذكرناه من ارادة الجمع أو النوع وقد رجع إلى ذلك الزمخشري أخيراً . وقد قرأ ابن السميفع كمثل الذين على الجمع وهي قراءة مشكلة لأنا قد ذكرنا ان الذي إذا كان أصله الذين فحذفت نونه تخفيفاً لا يعود الضمير عليه إلا كما يعود على الجمع فكيف إذا صرح به ، وإذا صحت هذه القراءة فتخريجها عندي على وجوه..)(١).

وزاد فقال:(وإعراب "الذين" مشهور في لغة طيء قاله ابن مالك وذكر أنها لغة هذيل وبعضهم أنها لغة عقيل(٢) نقلها عنهم أبو زيد(٣) في نوادره(٤) فتقول

---

(١) ينظر البحر : ٧٧/١ ذكر وجوه تخريج هذه القراءة بالتفصيل .

(٢) رواها أبو زيد في نوادره ٨٩ ، وابن عقيل في شرحه على الألفية ١٤٤/١. واطلعت عليها في النوادر ص ٤١مروية" الذين" .

(٣) يقول أبو زيد في نوادره : سمعت رجلاً من بني عقيل يقول : "هم اللُّذُون" ص ٨٩ .

(٤) انظر النوادر ص ٢٣٩ ، ط/دار الشروق .

:اللذون نصباً وجراً وذكر أصحابنا أنه يجوز حذف النون من التثنية والجمع فصيحاً وفصل ابن مالك فقال : إن قصد بالذي مخصص فلا محيص عن اللذين في التثنية والذين في الجمع ولا تحذف النون إلا في ضرورة شعر قال : ويغني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيراً نحو قوله : " والذي جاء بالصدق وصدق به " ، وقال الأخفش : يكون الذي للجمع والواحد كمن ، ولغة هذيل يقولون : في معنى اللذين واللائين رفعاً ونصباً وجراً وبعض هذيل يعرب فيقول : اللاءون رفعاً واللائين نصباً وجراً"(١)

والفراء يقول : (وكنانة تقول : اللذون)(٢).

وقال ابن مالك : (وكذا يفعلون بـ " اللأئين " ، وهو جمع " اللأئي " بمعني " الذين " ، فيقولون :" لُعن اللاءُون كفروا ")(٣).

وقال (وسَمِعَ الكسائي " اللاءُو فعلُوا ")(٤).

من النصوص السابقةيظهر أن إعراب الاسم الموصول (الذي) إذا أريد به من يعقل ثابت في لغة العرب المثنى والجمع بنوعيه المذكر والمؤنث ، أما المفرد فيبنى بلا خلاف، فالمعرب منه المثنى عند جميع العرب باتفاق وسمع إعراب الجمع عند هذيل ومن اتفق معها من القبائل التي عزيت لها استعمال اسم الموصول كصيغة جمع المذكرالسالم حال الرفع بالواو والنصب والجر بالياء كعامة العرب ، وهذه

---

(١) الإرتشاف : ٥٢٦/١ . وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٨/١ ذكر الأشموني أنها لهذيل أو عقيل فقط ، شرح الأشموني ٦٧/١ .

(٢) معاني القرآن : ١٨٤/٢ .

(٣) شرح الكافية الشافيه : ٢٥٨/١ .

(٤) انظر ابن الشجري في أماليه ٣٠٨/٢ ذكر أن الكسائي سمع هذيل يقولون : هم اللاؤ فعلوا كذا وكذا ومنهم من يقول : هم اللائي فعلوا بالياء في الأحوال الثلاثة .

القبائل بالاضافة إلى هذيل طيء وعقيل وكنانة مما استشهد النحاة بشعرهم وأقوالهم فقد ثبت مسموعاً عن العرب مجيء صفة " الذين " بالواو " اللَّذُون " ، كقول الشاعر:

نحن اللَّذُون صبحوا الصباحا　　　يوم النُّخَيْل غارةً مِلْحَاحاً(١)

وكقول :

بنو نُوَيجِية اللذُون كأنَّهم　　　مُعْطٌ مُخَدَّمةٌ من الخُذَّانِ(٢)

كما سمع إعراب " اللائين " كـ " اللذون " بالواو و " اللائين " في معنى "الذين" فاختُلف في " اللَّذُون " فقيل إن الواو علامة رفعه والنصب والجر بالياء وقيل بل هو مبني. يقول أبو حيان :(ولما كان مبنياً التزم فيه طريقة واحدة في اللفظ عند أكثر العرب وهذيل أتت بصيغة الجمع منه بالواو والنون رفعاً والياء والنون نصباً وجراً)(٣).

وقال ابن مالك :

وللذكور العقلا (الذَّينا)　　　في كل حال وأتى (الَّذُونا)

في الرفع عن هذيل و (اللاَّءُونا　　　وجاز الأولى) و(اللاء)كـ(الذَّينا)(٤)

---

(١) نسب هذا البيت لأبي حرب الأعلم العقيلي ، ونسب لرؤبة بن العجاج ونسب لليلي الأخيلية من شواهد النوادر لأبي زيد ٤٧ ، وشرح ابن عقيل :١/١٤١ ، الهمع ١/٢٨٥ .

(٢) الشاهد لم يعرف قائله ولم ينسب في المراجع التي استشهدت به . انظر الهمع :١/٨٣، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ص ٣٠.

(٣) البحر : ١/٧٧ .

(٤) شرح الكافية الشافية :١/٢٥٨ . ذكر أنه في الأصل : عن طيء رفعاً كذا (اللاءُون) وفي شرح التسهيل ١/١٣٢ أن الإعراب في هذا الاسم عندالجمع مشهور في طيء.

وقال :

(جمع الذي الأُلى الذين مطلقاً ويعضهم بالواو رفعاً نطقا)(١)

وقال ابن عقيل : (وبعض العرب يقول : " اللَّذُون " في الرفع و " الذين " في النصب والجر وهم بنو هذيل)(٢).

وقال الفراء : (وكنانة يقولون اللَّذُون)(٣).

وقال ابن خالويه : (من العرب من يقول " جاء اللذون " ، و " مررت باللذين " فيعرب)(٤).

وقال أبوحيان : (ولغة هذيل يقولون في معنى الذين اللائين رفعاً ونصباً وجراً ، وبعض هذيل يعرب فيقول : اللاءون رفعاً واللائين نصباً وجراً)(٥).

وقال الكسائي : (سمعت هذيلاً تقول : " هم اللاءو فعلوا كذا وكذا" ومنهم من يقول " هم اللائي فعلوا " بالياء في الأحوال الثلاث)(٦).

ومما استشهدوا به على معاملة " اللائين " معاملة " اللَّذُون " من جعله بالواو في الرفع والياء في النصب والجر قول الشاعر :(٧)

---

(١) شرح ابن عقيل على الألفية : ١/١٤١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٤ .

(٣) معاني القرآن : ٢/١٨٤ ، وانظر شرح التسهيل لابن مالك : ١/١٣٢ .

(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ص ٣٠ وانظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ١/١٤٣ ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد .

(٥) الارتشاف : ١/٥٢٦ ، وانظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/١٧٢.

(٦) ذكره ابن الشجري في الأمالي : ٢/٣٠٨.

(٧) قيل هو هذلي . انظر : شفاء العليل في شرح التسهيل ١/٢٢٣ ورد في المغني : ٢/٤٥٨ . انظر اعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٣٠ . لم يعين قائله في أي مصدر .

هم اللاّؤون فكوا الغلَّ عنيً بمروْ الشاهجان وهُم جناحي

فالقول بإعرابه مؤيد بنقل العلماء الثقاة أمثال الفراء وأبي زيد والكسائي الذين تلقوا اللغة مشافهةً ، وفي ذلك حجة على من قال أنه لا يعرب وأن بعض النحاة إنما قالوا بإعرابه تمسكاً منهم بقول الشاعر :

" نحن اللَّذُون صبحوا الصباحا "

لأنهم رأوا مجيئه بالواو(١) كصيغة جمع العقلاء فظنوا أنه (الذين) معرب في لغة هذيل وعقيل وكنانة وطيىء وتميم(٢) فيمن أشركها مع غيرها في إعراب الاسم الموصول إذاجمع(٣)ثم لولم تكن الواو فيه علامة رفعه للزمته في كل الأحوال كما لزمت الألف المثنى في لغة طوائف من العرب .

ويذهب النحاة إلى تعليل إعراب " الذين واللائين " عند هذيل وغيرها فيقول ابن مالك : (أما هذيل فيشبهونه بصفات الذكور العقلاء فيعربونه) (٤) وبعضهم استدل على إعرابه بأن جاء على الأصل ، فهذا الرضي يرى أن الموصول حقه أن يورد عليه الإعراب لأنه المقصود بالكلام وجيء بالصلة بقصد توضيحه

---

(١) انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل . محمد محي الدين عبدالحميد، ١٤٥/١ .

(٢) ذكر الدكتور يعقوب التركستاني أنهما لهذيل وطيىء وعقيل وكنانة وزاد تميماً ولكني لم أجدها معزوة لتميم في المصادر التي اطلعت عليها .
انظر أطلس لغات طيىء.رسالة دكتوراة ، مخطوطة بمكتبة جامعة أم القرى ورقة ١٥٢ ، قسم اللغة . وانظر لغة تميم وأثرها في العربية الموحدة د . فاضل المطلبي، ولغة تميم د. ضاحي عبد الباقي لم تذكر معزوة لتميم عندهما.

(٣) انظر : أبرز خصائص لغات هذيل ، د . عبد الرحمن اسماعيل ، بحث مجلة معهد اللغة العربية ، العدد الثاني ص ٢١٤ .

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك : ٢٥٨/١ .

والدليل ظهور الإعراب في (أي) الموصول نحو : جاء أيُّهم ضربته ، ورأيت أيَّهم ، مررت بأيِّهم ضربته(١) .

وقال ابن يعيش :"والصواب عندي أن الإعراب للإسم الأول الموصول ومجرى الصلة من الموصول كمجرى الصفة من الموصول فكما لا يتوقف إعراب الموصوف على تمامه بالصفة كذلك لا يتوقف إعراب الموصول على تمامه بالصلة ويوضح ذلك أن المعرب من الموصولات يظهر الإعراب فيه نحو " أي ")(٢) .

ويقول : (كذلك ينبغي أن يكون في الذي وأخواتها ...)(٣).

ويؤيد ذلك " ذو " الموصولة الطائية فهي تعرب كما تبنى في لغة طيىء ثم أنه روى أن " الذي " تشدد ياؤه فتدل على إعرابه نحو جاء الذيُّ صنع لي معروفاً ، ورأيت الذيَّ صنع المعروف ، ومررت بالذيِّ بضمة وفتحة وكسرة ظاهرة مع التشديد فمن أعرب الجمع جاء به على لغة من شدد ياء المفرد(٤) يزاد على ذلك أن التصغير يلحق الأسماء الموصولة والتصغير من تصاريف الأسماء المتمكنة، فلما كانت هذه الأسماء أشبهت المتمكنة ناسب أن يلحقها التصغير فتقوى بذلك الحجة بإعرابها وأنها أشبهت المتمكنة بجانب أن جميع الروايات التي نقلها العلماء تؤكدإعراب الموصول إذا ثنى وجمع جمع مذكر

---

(١) شرح الكافية للرضي : ٣٩/٢ . انظر أوضح المسالك : ١٥٢/١ .

(٢) شرح المفصل : ١٣٩/٣ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) انظر المساعد في تسهيل الفوائد على كتاب التسهيل لابن مالك ، شرح ابن عقيل : ٥٢٤/٣ ، ط. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ت : د. محمد كامل بركات . انظر: شرح الكافية الشافية : ١٩٢٤/٤ ، ١٩٢٩ .

سالم ، كما ذُكر أن إعراب المفرد مع تشديد يائه لغة(١).

وأنتهي إلى القول بأن إعراب " الذين " ثابت بنقول العلماء والشواهد من كلام العرب الذين ينطقون بإعرابه وهم ليسوا بقلة في العدد ولكن الأشهر والأكثر(٢) حيث ورد القرآن ببناء " الذي " حتى في حال الجمع فيكون بصفة واحدة على كل حال.

ثم أن مجيء الواو في هذا الاسم عند هذيل وغيرها يتناسب مع طبيعة الأداء عند هذه القبائل البدوية والتي معظمها متوغل في البداوة فالصيغة الواوية من سمات لغات البدو(٣).

---

(١) انظر شرح الرضي للكافية : ٢/٤٠ وينظر : (بحث) أبرز خصائص لغات هذيل : د. عبد الرحمن اسماعيل ، مجلة معهد اللغة العربية ، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ ، من لغات العرب لهجة هذيل ، رسالة دكتوراة ، د . عبد الجواد الطيب ص ٣٤ ، منشورات جامعة الفاتح – ليبيا .

(٢) انظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ١ / ١٧١ ، وشرح المفصل لابن يعيش : ٣/١٤٣ .

(٣) انظر مقالة : ثلاث مصطلحات في دراسة اللهجات ، د. أحمد علم الدين الجندي ، مجلة مركز البحوث ، العدد السادس ، ص ٩٦ ، ١٤٠٣هـ .

الإختلاف في علامات إعراب الجمع المعتل اللام المعوض منها تاء تأنيث :

نص أبو حيان على أن في هذا الجمع لغات أشهرها التي ورد بها القرآن وكون هذا الجمع وعلامته واواً وياءاً هو المحفوظ المشهور فقال عند تفسير قوله عز وجلّ : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾(١) : (عضين جمع عضة وأصلها الواو والهاء يقال عضيت عضية فرقته وكل فرقة عضة فأصله عضوه ... قال الكسائي : العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون ، وذهب الفراء(٢) إلى أن عضين من العضاة وهي شجرة تؤذي تخرج كالشوك ومن العرب من يلزم الياء ويجعل الإعراب في النون فيقول عضينك كما قالوا سنينك وهي كثيرة في تميم وأسد)(٣) . فيفهم من قول أبي حيان (من العرب من يلزم الياء ويجعل الإعراب في النون ...) إن في هذا الجمع لغة أخرى وهي أشهر وبها ورد أكثر ما جاء في القرآن من هذا الجمع وهي لغة الحجاز وعليا قيس ، ولغة الإلزام لغة تميم وأسد يجعلونه كحين وقيل لتميم وعامر.

---

(١) الحجر : ٩١ .

(٢) معاني القرآن ٢/٩٢ ، ٩٣ .

(٣) البحر : ٥/٤٥٦ .

يقول أبو حيان : (وكون هذا الجمع علامته واو وياء(١) هو المحفوظ المشهور في لسان العرب ، وقال أبو جعفر بن الباذش : للعرب في المجموع بالعلامة مذهبان أحدهما هذا الذي ذكر(٢) من الإعراب بالحروف ، والآخر نقله من الإعراب بالحروف إلى نقله بالحركات ، وقال بعض أصحابنا : ومن العرب من يجعل الإعراب من النون من جمع المذكر السالم إلا أن ذلك لا يحفظ إلا في الشعر وأنشدوا على الإعراب بالنون أبياتاً(٣) حملها المبرد(٤) على أن ذلك مذهب للعرب لا يختص بالشعر ، ومن البسيط هو ضربان حقيقي كزيدون وعمرون فهو هكذا ، وغير حقيقي نحو : بنون وأرضون وآخرون وأوَزُّون ، وهذا قد يجعل الإعراب في النون وقبل النون الياء ، فأما من أجاز إثبات الواو هنا قياساً على زيتون فبعيد)(٥)، وعزاها فقال : (ذكر ابن مالك)(٦) إنما أعرب من المعتل اللام المعوض منها هاء تأنيث بالواو والنون وهي لغة الحجاز وعُليا قيس في سنين يجوز أن يجعل الإعراب في النون وتلزم الياء. وذلك عند بعض تميم في سنين قاله الفراء ، وقال : تُنَوِّنُها بنو عامر ولا ينونونها تميم ، يقولون : مضت عليه سنون كثيرة ، وأقمت عنده سنين يا هذا ، قال الفراء عن تميم : إذا طرحوا الألف واللام من السنين لم يُجْرُوا . أي لم يصرفوا وإذا كان الإعراب في نون سنين لم تسقط للإضافة)..(٧)

---

(١) ليكون ذلك جبراً لما فاته من حذف اللام . انظر شرح القطر لابن هشام ، ص ٤٩ .

(٢) ذكر قبل ذلك أن علامة جمع التصحيح في المذكر الواو رفعاً والياء نصباً وجراً . انظر الارتشاف ٢٦٢/١ .

(٣) قول الصِّمة القشيري (دعاني من نجد فإن سنيه) .

(٤) انظر المقتضب للمبرد : ٣٣٢/٣ ، ٣٧/٤ .

(٥) الارتشاف ٢٦٣/١ .

(٦) انظر شرح الكافية الشافية : ١٩٢/١ – ١٩٦ ، وانظر الكتاب : ٥٩٨/٣ .

(٧) الإرتشاف : ٢٦٨/١، وانظر الهمع : ٤٦/١ ، ٤٧ ، وانظر شفاء العليل في شرح التسهيل للسلسيلي : ١٤٦/١ .

يفهم من النصوص السابقة أن في هذاالجمع ثلاث لغات أشهرها في لسان العرب إعرابه بالواو حال الرفع وبالباء حالتي النصب والجر وعزيت لأهل الحجاز وعليا قيس والثانية الزامه الياء وجعل علامة الإعراب على النون ، وعزيت لتميم وبني عامر ، والثالثة الزامه الواو وجعل الإعراب على النون ولم تعز . يقول السيوطي : (ومن العرب من تلزمه الواو وتعربه على النون كزيتون ، قال في البسيط : وهو بعيد من جهة القياس)(١) .

وقال ابن مالك : (وقد يجيء كـ " الحين " أوْ كـ " الزُّون")(٢) ، وقال: (والثاني إجراؤه مُجْرى " غسلين " في لزوم الياء وكون النون حرف إعراب ، والثالث إجراؤه مُجْرى " عربون " من لزوم الواو وكون النون حرف إعراب .

والرابع : استصحابُ الواو على كلِّ حال مع كون النُّون مفتوحة غير ساقطة في الإضافة . ذكر هذا الوجه أبو سعيد السيرافي وزعم أنّه ثابت في كلام العرب وأشعارها بالرواية الصحيحة، ثم قال: " كأنهم حَكوْا لفظ الجمع المرفوع في حال التسمية وألزَمُوهُ طريقة واحدة ، وأنشد :

ولها بالماطرون إذا أكل النَّمْلُ الذي جمَعَا(٥)

---

(١) الهمع : ٤٧/١ .

(٢) شرح الكافية الشافية : ١٩١/١ . وانظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية : ٩٧/١، والمقتضب للمبرد : ٣٨/٤ .

(٣) الشاهد قيل ليزيد بن معاوية ، ونسب للأحوص ، ونسب لأبي دهبل الجمحي. انظر : الأغاني : ١٠٥/٦ ، والخزانة ٢٧٨/٣ .

ففتح نُونَ (الماطرون) وأثبت الواو . وهو في موضع قال : والعرب تقولُ (الياسمون) في حال الرفع ، و النصب والجرّ ، ويقولون (ياسمُونَ البرِّ) فيثبتون النون مع الإضافة ويفتحونها .

ومنهم من يرويه (الماطرونِ) ويعرب نون (الياسمون) ويجريه مُجْرى (الزيتون) وهو الأجود)(١).

وفيما ذكره ابن مالك ما يغني عن البيان والتوضيح ، وقد علل النحاة لمجيء هذا الجمع " سنين " وبابه على صيغة جمع المذكر السالم ، ولإلزامه الياء أو الواو في بعض اللغات والإعراب على النون يقول سيبويه :(وأما ما كان من بنات الحرفين وفيه الهاء للتأنيث فإنك إن أردت الجمع لم تكسره على بناء يرُد ما ذهب لأنها لها ما لم يفعل بما فيه الهاء مما لم يحذف منه شيء وذلك أنهم يجمعونها بالياء والواو والنون كما يجمعون المذكر نحو مسلمين فكأنه عوض ، فإذا جمعت بالتاء لم تغير البناء وذلك كقولك : هنة وهنات ، ومئة ومئات ، وشية وشيات ، وثبة وثبات ، وقلة وقلات ، ... فإذا جمعوا بالواو والنون كسروا الحرف الأول وغيروا الاسم وذلك كقولهم: سنُون وقِلون وثبون ومئون)(٢)

وقال الفراء : (وإنما جاز ذلك في هذا المنقوص الذي كان على ثلاثة أحرف فنقصت لامه فلما جمعوه بالنون توهموا أنه فُعُول ، لذا جاء ت الواو وهي واو جماع فوضعت في موقع الناقص فتوهموا أنها الواو الأصلية وأن الحرف على فُعُول، ألا ترى أنهم لا يقولون ذلك في الصالحين و المسلمين وما أشبهه).(٣)

---

(١) شرح الكافية الشافية : ١٩٦/١ ، ١٩٨ ، والمخصص لابن سيده : ١٠٤/٧ . وانظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : ٦٤/١ للشيخ محمد محي الدين عبد الحمد ، وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٩٧/١ .

(٢) الكتاب : ٥٩٨/٣ .

(٣) معاني القرآن : ٩٢/٢ ، ٩٣ ، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣٨٩/٢ .

وذكر ابن هشام فقال : (فلما حذفوا من المفرد اللام وهي الواو أو الهاء وعوضوا عنها هاء التأنيث أرادوا في جمع التكسير أن يجعلوه على صورة جمع المذكر السالم ليكون ذلك جبراً لما فاته من حذف اللام وكذلك في نظائره عضة وعزة وثبة وقلة)(١).

وقيل : (فإنما يكون ذلك في المنقوص نحو سِنة و عِضة وثُبة ... إنه قد يكون في المؤنث الذي يؤنث بعلامة عوضاً من العلامة التي ينبغي أن تكون له في الأصل إذ الأصل في التأنيث أن يكون بعلامة ألا ترى أنهم قد فعلوا ذلك في أرض فقالوا : أرضون ، ليكون ذلك عوضاً من التاء التي ينبغي أن تكون فيه في الأصل فكذلك هذه العقود جاء ت بالواو و النون والياء والنون ليكون ذلك عوضاً من التاء المحذوفة من ثلاث وأربع وسائر أخواتها لأن أسماء العدد كلها مؤنثة فكان ينبغي أن تلحقها التاء على كل حال فهي جمعها بالواو والنون بمنزلة أرضين)(٢).

وقيل : (الحامل على جمعه بالواو والياء والنون : جبر حذف لامه ، وشرط بعضهم شرطاً آخر ، وهو أن لا يكون له مذكر جمع بالواو والياء والنون ليخرج نحو " هنة " فإن مذكره ، وهو " هن " جمع " به " فلو جمع هو أيضاً به التبس المؤنث بالمذكر).(٣)

أما الزام الياء أو الواو وجعل الإعراب على النون سواءاً من نون وهم بني عامر ، وفي رواية بني أسد ، أو لم ينون وهم بعض بنو تميم (٤) ، فعلة ذلك مذكورة في كتب النحو ، يقول ابن مالك : (وقد يجعل إعراب هذا النوع في نونه وتلزمه الياء ولا تحذف نونه للاضافة ... وعُومل هذا النوع بهذه المعاملة لشبهه بجمع

---

(١) شرح القطر : ٤٩ . وانظر سر صناعة الإعراب لابن جني : ٢/٦١ ، ٦٧ . ونظائره يقصد بها سنة.

(٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي : ١/١٥٦ ، ت : د.صاحب أبو جناح

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية : ١/٩٤ .

(٤) سيذكر ذلك في مبحث الممنوع والصرف .

التكسير لأن تغييره أكثر من سلامته)(١).

وقيل : (لأنه لو لم يلزم الياء وأتى بالواو لجمعوا بين إعرابين في كلمة واحدة إعراب بالحروف وإعراب بالحركات)(٢).

بقي أن أشير إلى الاختلاف في اطراد هذا الجمع بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجراً ، فابن مالك رأى أن المطرد منه ما كان واحده المذكر عاقل أو شبيه به خالياً من تاء التأنيث علماً أو صفة والأكثر استعمالاً منه محذوف اللام المؤنث بالتاء وهو سنة وأخواتها(٣).

أما ما ورد مجموع على صيغة جمع المذكر السالم غير مستوفي لشروطه فمسموع لا يقاس عليه ، ممن رأى ذلك ابن مالك وابن عقيل ، يقول ابن مالك :(وإن ورد من هذه الأنواع مجموع بالواو والنون حفظ ولمْ يقس عليه كقولهم:(رجل علانيةٌ ورجال عَلانُون فجمعوه بالواو والنون وليس خالياً من التاء)(٤)، وقال : (وهذا وأمثاله يحفظ ولا يقاس عليه)(٥) .

وقال ابن عقيل : (والصحيح أنه لا يطرد ، وأنه مقصور على السماع)(٦) . ورأى الأشموني ما رآه ابن عقيل(٧).

أما مجيء هذا النوع من الجمع بالياء مع ثبوت النون فلا تسقط في الإضافة ، فرأى بعض النحاة أنه خلاف القياس فهذا الرضي يقول : (وقد يجعل النون في بعض هذه الجموع التي جاءت على خلاف القياس معتقب الإعراب ، ثم

---

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك : ١٩٤/١ .

(٢) شفاء العليل في شرح التسهيل ١٠٥/١.

(٣) انظر شرح الكافية الشافية : ١٩٣/١ ، ١٩٤ .

(٤)،(٥) نفس المرجع والجزء ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٦) شرحه على الألفية : ٦٥/١ .

(٧) حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٩٧/١ .

علل لمجيئه كذلك فقال : (وتنبيهاً على مخالفة القياس فكأنه مجرى فيه إعراب المكسر فيدخله التنوين ولا يسقط بالإضافة)(١) .

ويقول ابن هشام :(ويجوز في هذا النوع أن يجرى مجرى "غسلين" في لزوم الياء والإعراب بالحركات على النون مُنَوَّنة ، ودون هذا أن يجرى مُجْرى عربون في لزوم الواو والإعراب بالحركات على النون مُنونة كقوله :

* واعْتَرَتْني الهموم بالماطرون *

ودون هذه أن تلزمه الواو وفتح النون ، وبعضهم يُجري بنين وباب سنين مجرى " غِسْلِين ")(٢).

وننتهي إلى القول بأن مجيء المعتل اللام المعوض عنها هاء تأنيث قياسه أن يجمع بالواو والياء فتكونا علامتا أعراب له وهي لغة عامة العرب(٣) ، وقد حددت في كثير من المصادر بأنها لغة الحجاز وعُليا قيس وقد فهم ذلك من تصريحهم بأن الزام هذا الجمع الياء وجعل النون حرف الإعراب تعتقب عليها الحركات في لغة بعض العرب مخالف للقياس فوازنوا بين اللغة الأولى التي تجعل علامات الإعراب الحروف الواو والياء وبين لغة الإلزام التي تلزم هذا الجمع الياء وتعامله معاملة المفرد وجمع التكسير بجعل النون محل الإعراب تظهر عليها حركاته الثلاث مع تنوينها عند بعضهم وهم بنو عامر وحذف التنوين عند بعضهم وهم بعض تميم .

وأرى أن ورود كثيرٍ من الشواهد التي تنسب هـذه اللغـة لفصحـاء

---

(١) شرح الكافية : ١٧٢/٢ .

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٥٣/١ ، ٥٥ .

(٣) ما رآه الشيخ محي الدين عبد الحميد . انظر تحقيقه لشرح ابن عقيل المسمى منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : ٣٦٤/١ حاشية الكتاب .

العرب وهم تميم كقول :

دعاني من نجد فإن سنينَهُ   لعبْن بنا شيباً وشيبننا مردا(١)

وقول :

أرى مر السنين أخذن منِّي   كما أخذ السِّرَارُ مِنَ الهلالِ(٢)

وقول :

ألم نَسُقِ الحجيج سلي معداً   سنيناً ما تُعَدُّ لنا حسابا

وورد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف ".

فالشاهد فيها أجرى لفظ " سنين " مُجْرى جمع التكسير كـ " غسلين " والمفرد كمسكين من لزومه الياء وجعل حرف الإعراب النون فـ " سنينه " و " السنينَ"، و " سنيناً " ومن الحديث " سنيناً " و " كسنين " لازم الاسم الياء والنون ولم تحذف عند اضافته في قوله صلى الله عليه وسلم : " كسنين يوسف "وفي قول الشاعر " سنينه " دلالة على أنها كنون " غسلين ومسكين " .

وهذا يكفينا دليل على كثرة استعمال هذا الجمع على هذا الإعراب في لغة العرب وشيوعه عند من نطقوا به وأنه مقيس عليه فالناطقون بهذه اللغة بعضالفصحاء الموثق بفصاحتهم وهم تميم وأسد وعامر . ولو نظرنا إلى قول ابن مالك حين قال:

---

(١) البيت قائله: الصمّة بن عبدالله القشيري .

(٢) قائله جرير . الديوان : ٢٤٦ تحقيق الصاوي ١٣٥٣ح .

أولو وعالمون ، علـيون   وأرضـــون شـــذ السـنونا

وبابه مثل حين قد يرد   ذا الباب وهو عند قوم مطَّرد(١)

لظهر أن هذا الجمع يكثر عند العرب سواءاً منه المعرب بالواو والياء أو ما ألزم الياء وأعرب على النون يقول ابن هشام : " ويجوز في هذا النوع أن يجري مُجْرى " غِسْلين " في لزوم الياء والإعراب بالحركات على النون منونةً وبدون هذا أن يجري مجرى عربون في لزوم الواو وبدون هذه أن تلزمه الواو وفتح النون"(٢) فيفهم من قوله السابق تدرج فصاحة اللغات الثلاثة التي تلزم هذا الجمع النون وتجعله موضع الإعراب ومع النون الياء والواو وعلى كل لغة شواهد من كلام العرب .

وأميل إلى أن تميماً وعامراً اختارت الزام هذا الجمع الياء في الحالات الثلاثة حالة الرفع والنصب والجر لأن هذا يتناسب مع نطق تلك القبائل البدوية من ميلهم إلى التخفيف واستخدام الأيسر في الأداء . وليس أدل على ذلك من قول " لو لم يلزم الياء وأتى بالواو لجمعوا بين إعرابين في كلمة واحدة ، إعراب بالحروف وإعراب بالحركات " (٣).

---

(١) شرح الألفية لابن عقيل : ٦٢/١ يقول الشيخ محي الدين " عند قوم " من النحاة أو من العرب ، وكل سواء لأن النحاة يضعون قواعدهم على لغات العرب . انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للألفية ٦٣/١ . **فالقوم هم " القراء ".**

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٥٣/١ ، ٥٥ .

(٣) شفاء العليل في شرح التسهيل للسلسيلي ١٥٠/١ ، وهذا الاستعمال ينطق به في لغات الوقت الحاضر من الزام جمع المذكر السالم عامة الياء والنون في كل الأحوال وكذا المثنى .

ومما ألحق بجمع المذكر : استعمال لفظ : " الشياطين " بالواو والياء كإعراب المذكر السالم .

استعملت بعض العرب جمع التكسير " الشياطين " كصيغة جمع المذكر السالم حال الرفع وقد ثبت استعماله على هذه الصيغة لغة عن العرب وقرأ بها . يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل :﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾(١): (وقرأ الحسن " الشياطون " وتقدمت في البقرة(٢) وقد ردها أبو حاتم والقراءة . قال أبوحاتم: هي غلط منه أو عليه . وقال النحاس : هو غلط عند جميع النحويين . وقال المهدوي : هو غير جائز في العربية . وقال الفراء : غلط الشيخ ظن أنها النون التي على هجائن . فقال النضر بن شميل : إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ بها الا وقد سمعا فيه . وقال يونس بن حبيب : سمعت أعرابياً يقول : دخلت بساتين من ورائها بساتون ، فقلت : ما أشبه هذا بقراءة الحسن)(٣).

ثم يوجه أبو حيان هذه القراءة بقوله : (ووجهت هذه القراءة بأنه لما كان آخره كآخر يبرين وفلسطين فكما أجرى اعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون ، أجرى ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا الشياطين والشياطون . وقال أبو فيد مؤرج السدوسي : إن كان اشتقاقه من شاط أي احترق بشيط شوطه كان لقراءتهما وجه . قيل ووجهها ان بناء المبالغة منه شياط وجمعه الشياطون مخففاً الياء وقد روى عنهما التشديد وقرأ به غيرهما . وقرأ الأعمش الشياطون كما قرأه الحسن وابن السميفع ، فهؤلاء الثلاثة من نقلة

---

(١) الشعراء : ٢١٠ .

(٢) البحر :٦٢/١ ذكر جمع شيطان شياطين نحو غراثين جمع غرثان ، وحكاه الفراء ، وهذا على تقدير أن نونه زائدة . بتصرف .

(٣) البحر : ٤٦/٧.

القرآن قرؤا ذلك ولا يمـكن أن يقال غلطوا لأنهم من العلم . ونقل القرآن بمكان[١] ما أحسن مـا ذكره أبو حيان من دفاع عن قراءة الحسن وابن السميفع وليس ليّ من تعليق على ذلك إلا أن أقول مـا قرأ به لا يجوز ردّه وهو ثابت عن العرب لأن اختلاف القراءات مـرده اختـلاف لغات العرب فهذا يونس بن حبيب فيما ذكره عنه أبو حيان يقول :(سمعت أعرابياً يقول : دخلت بساتين من ورائها بساتون)(٢) فهذه قراءة مروية فلا يمكن ردها لأن القراءة سنة متبعة يجب تقبلها والاستشهاد بها والاعتماد عليها في إثبات قاعدة أو رفضها،

يقول ابن جني : (هذا مما يعرض مثله في الفصيح ؛ لتداخل الجمعين عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم : مَسِيل فيمن أخذه من السَّيل ، وعليه المعنى ، ثم قالوا فيه : مُسْيلان وأمْسِلَة ومَعِينٌ ... ... وعلى كل حال فـ«الشياطون » غلط لكن يشبهه)(٣)

والذي يظهر لي أن هذه اللغة في استعمال هذا الجمع بصيغة جمع المذكر السالم فيها سمة لغة البدو لأن لفظ " شياطون " فيها تثقيل في النطق فالأكثر في لغة البادية الميل إلى التثقيل والتفخيم واستخدام الحروف والتراكيب التي تؤدي ذلك مع ميلهم أحياناً إلى التخفيف بما يناسب نطقهم البيئي فتخفيفهم ليس كتخفيف لغة الحضر .

---

(١) البحر : ٤٦/٧ ، وانظر الهمع : ١٦٠/١ ، وانظرتفسير الكشاف ١٣١/٣، وانظر المعاني : ٧٦/٢ ، والمحتسب : ١٣٣/٢ .

(٢) البحر : ٤٦/٧ .

(٣) المحتسب : ١٣٣/٢ .

الفصل الثالث
ما يتردد بين الإعراب والبناء

المبحث الأول - الظروف :

أولاً - :" أمس " عند الحجازيين وبني تميم .

ثانياً - " حيث " .

ثالثاً - " لدنْ " .

رابعاً - " قبلُ وبعدُ "

خامساً - " معْ "

المبحث الثاني - الاسم الموصول المفرد في لغة طيئ .

[" ذو " الطائية بين الإعراب والبناء].

المبحث الأول - الظروف :

أولاً - أمس(١) في عند الحجازيين وبني تميم :

أمس يأتي ظرفاً مبنياً على الكسر نحو لقيته أمْس ، ويأتي معرباً إذا اقترن بـ(أل) نحو:كان الأمس حسناً . وللعرب في ذلك مذاهب يقول أبو حيان : (اسم متصرف يستعمل في موضع رفع ونصب وجر موضوع لليوم الذي يلي اليوم الذي أنت فيه أو ما هو في حكمه في إفادة العرب ، وكونه معرفة فإن استعمل ظرفاً بُني على الكسر خلافاً للزجاج والزَّجاجي إذ يزعمان أنه يجوز بناؤه على الفتح وأجاز الخليل " في أمس " أن يكون التقدير : لقيته بالأمس ، بحذف الباء و " ألْ " فتكون الكسرة كسرة إعراب . فإن استعمل غير ظرف فالحجاز تبنيه على الكسر كحاله حين كان ظرفاً نقول : " ذهب أمس بما فيه " ، و " أحببت أمس " ، و " ما رأيتك مُذ أمس " . وتميم تمنعه من الصرف حالة الرفع وتبنيه نصباً وجراً نقول : "ذهب أمسُ بما فيه " ، و " كرهت أمسِ " ، و " ما رأيته مُذ أمسِ " واختلف النحاة في إعرابه مطلقاً إعراب ما لا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى اثبات ذلك الأستاذ أبو الحسن بن الباذش ، وهو قول ابن عصفور وابن مالك ، وقال الأستاذ أبو علي هذا غلط ، وإنما بنو تميم يعربونه في الرفع ويبنونه في النصب والجر)(٢). وتعرب لفظة " أمس " إذا دخلت عليها "أل" ورد ذلك في قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾(٣) ، وقوله :

---

(١) اسم معرفة لزمان اليوم الذي قبل يومك مباشرة . انظر الـدر على هامش البحر : ١٤٢/٥ .

(٢) الارتشاف : ٢٤٨/٢ .

(٣) القصص : ١٨ .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ﴾(١) . يقول أبو حيان عند تفسيره لهذه الآية : (و " بالأمس " تعني اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ وهو معرب فحركة سينه حركة إعراب لأنه دخلته أل بخلاف حاله إذا عري منها فالحجاز تبنيه إذا كان معرفة وتميم تمنعه الصرف حالة الرفع فقط ، ومنهم من يمنعه الصرف مطلقاً وقد يبنى مع " أل " على سبيل الندور . قال الشاعر :

وإني حسبت اليوم والأمس قبله

إلى الليل حتى كادت الشمس تغرب)(٢)

ويظهر لنا من النصوص السابقة أن في " أمس " ثلاث لغات :

الأولى : بناؤها على الكسر إذا استعملت ظرفاً وهذا المشهور.

الثانية : إذا استعملت غير ظرف فأهل الحجاز يبقون اللفظ على بنائه فهو عندهم مبني على الكسر في الرفع والنصب والخفض يقولون : ذهب أمسِ بما فيه ، وأحببت أمسِ ، وما رأيتك مذ أمسِ ، قال الشاعر :

اليوم أعلمُ ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمسِ(٣)

وبنو تميم يوافقون أهل الحجاز في البناء على الكسر في النصب والجر ، ويخالفونهم حالة الرفع فيعربون " أمس " مرفوعة بالضمة إعراب ما لا ينصرف قال شاعرهم :

اعتصمْ بالرّجاء إنْ عنَّ يأس وتناسى الذي تضمّن أمسُ(٤)

---

(١) القصص : ١٩ .

(٢) البحر : ٧/١١٠ ، وانظر النهر الماد على هامش البحر : ١٠٨ ، والدر :١١٠.

(٣) لا يعرف قائله والشاهد فيه كسر آخر لفظ أمس وهو وقع في محل رفع فاعل .

(٤) لم يعلم قائله والشاهد فيه ضم لفظ أمس بدون تنوينه .

الثالثة : أن من بني تميم من يعرب هذا اللفظ إعراب الممنوع من الصرف مطلقاً نحو قول : مضى أمسُ ، واعتكفت أمسَ ، وما رأيته مُذ أمسِ ، قال الشاعر :

لقد رأيت عجبا مذ أمْسا   عجائزاً مثل السَّعالي خمْسا(١)

قال سيبويه : وهذه لغة قليلة أي جعل علامة جره الفتحة ، وقد فسر الاختلاف في إعراب" أمس " عند التميميين ، فهم لا يصرفون في الرفع فقال :(لأنهم عدلوه عن الأصل الذي هو عليه في الكلام لا عما كان ينبغي أن يكون عليه في القياس . ألا ترى أن أهل الحجاز يكسرونه في كل المواضع وبنو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر فلما عدلوه عن أصله في الكلام ومجراهُ تركوا صرْفه كما تركوا صرف أُخَرَ حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها)(٢).

ومن العرب من يبني " أمس " مع دخول " أل" ، قال الشاعر :

وإني وقفت اليوم والأمس قبله(٣)   ببابك حتى كادت الشمس تغرب

ولكن النحاة رفضوا ذلك وتأولوا على أن " أل " زائدة وليست للتعريف . ونخلص إلى القول بأن : لفظة " أمس " معربة بإتفاق النحاة بشرط أن لا تنكر ، وأن تعرف بـ " أل " أو بالإضافة ، أو تجمع وإلا ففيه خلاف بين الحجازيين والتميميين في إعرابها وبنائها ، قال الشاعر :

مرّتْ بنا أول مِنْ أمُوسِ   تميسُ فينا مشية العروسِ

---

(١) قائله العجاج .

(٢) الكتاب : ٢٨٣/٣ ، ت : عبد السلام هارون ، وانظر الصحاح ٩٠٤/٣.

(٣) لم يعثر على قائله .

فالشاهد فيه قوله : " من أموس " حيث جمعه لفظة " أمس " " أموس " وظهرت عليها علامة الجر الكسرة وهي كسرة إعراب ، ولعل من تمام الفائدة أن نشير إلى ما ذكر في كتاب " لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة " من رأى حول الاختلاف في إعراب " أمس " بين الحجاز وتميم حيث قال الباحث :(وأرجح أن الحالة النحوية التميمية هنا اذهب في القوم من الحالة الحجازية ، وذلك أن الأصل في العربية وفي سائر الساميات الإعراب)(١) .

أما الدكتور ضاحي فإنه يذكر أن " أمس " في صورتها التميمية تمثل مرحلة وسط بين مرحلتين هما الاعراب والبناء(٢) . وبهذا يمكنا القول بأن ما ذكر يقفنا على أن كثيراً من الخصائص التي ترد ما بين لغة تميم ولغة أهل الحجاز يمكن إرجاعها إلى أنها تطورات حدثت في اللغة وهذا ليس بدعاً إذ أننا نرى كثيراً من اللغات تمرّ بمثل هذه المراحل .

ثانيا - " حَيْثُ " :

" حَيْثُ " ظرف مكان مبني على الضم ، ويبنى على الفتح وقد يبنى على الكسر . وهو ملازم للإضافة(٣) نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٥).

وهذا المشهور في(٦) إعراب "حيث " حيث بناؤها ظرفاً على الضم وهي

---

(١) د. غالب فاضل المطلب ، ص ٢٣٢ .

(٢) انظر كتاب : لغة تميم ، د. ضاحي عبد الباقي ، ص ٤٩٦.

(٣) يضاف إلى الجملة الفعلية وذلك كثير وإلى الاسمية وهذا قليل ويندر إضافته للمفرد .

(٤) النساء : ٨٩ .

(٥) الأنعام : ١٢٤ . .

(٦) انظر المقتضب : ١٧٥/٣ ذكر أنها اللغة الفاشية و ١٧٨ .

لغة معظم القبائل الحجازية وجمهور بني تميم وغيرها من القبائل العربية .

ويلي البناء على الضم البناء على الفتح لغة لبعض العرب ، ويقرب من لغة بعض القبائل المشهود بفصاحتها ، على قلة الناطقين بها ، يقول أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(١) : (" حيث " ظرف مكان مبهم لازم الظرفية وجاء جره بـ " من " كثيراً وبـ "في" وإضافته لدن إليه قليل وهي مبنية وتعتقب على آخرها الحركات ويجوز حوث بالواو وبالحركات الثلاث ، وحكى الكسائي أن اعرابها لغة بني فقعس)(٢).

وقال : (عند بني يربوع وطَهْيـة تبنى على الفتح على كل حال في الخفض والنصب نحو : " قعدت حيث قعد زيد " (من حيث لا يعلمون) ، ولا تضم في لغتهم وعندبني الحارث من أسد ، وبني فقعس يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب ، يقولون : من حيث لا يعلمون ، وكان ذلك حيثُ التقينا ، قال اللحياني : (لغة طيىء في حيث حوث)(٣)، وقال الكسائي : (الضمُّ - أي في حيث - لغة قيس وكنانة)(٤) ، وقال : (والفتح لغة لبني تميم)(٥).

ويظهر مما نص عليه أبو حيان أن " حيث " تأتي مبنية على الفتح مع بنائها على الضم ، وهذا ثابت عزوه لغة لبعض العرب ، أما الكسر فلم يذكر عند أبي حيان ولكن يفهم من إطلاق قول :(وهي مبنية)(٦) ، قال السيوطي : (.. ومنهم

---

(١) البقرة : ٣٥ . (٢) البحر : ١/١٥٥ .

(٣) الارتشاف : ٢/٢٦١ .

(٤) البحر : ١/١٥٥ ، وانظر اعراب القرآن للنحاس : ١/٢١٣ ، والمقتضب للمبرد : ٣/١٧٨ ، ولهجة تميم وأثرها فقي العربية الموحدة : غالب فاضل المطلبي ص ٢٤٢، وهي لغة تميم . د . ضاحي عبد الباقي ٤٩٩ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ١/٢١٣ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين ، ولغة طيء إبدال يائها واواً فيقولون : حوث و"في" ثانها أيضاً الحركات الثلاث)(١) .

وقال : (وقريء قوله تعالى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) بالكسر فيحتمل الإعراب ، ولغة البناء على الكسر)(٣) .

ومن ذلك يستدل على أنها تبنى على الكسر(٤) كما بنيت على الضم والفتح . وقدعلل النحاة لبنائها على الضم والفتح وكذلك الكسر فمن جعل "حيث" مضمومة فإنما إلحقها بالغايات ؛ نحو : منْ قبلُ ومن بعدُ . أما فتحها فللياء التي قبل آخرها فهي ظرف بمنزلة (اينْ) و (كيف)(٥) . قال سيبويه : (وقال بعضهم حيث شبهوه بأين)(٦) .

وقال السيوطي معللاً : (ومن العرب من بناها على الفتح طلباً للتخفيف)(٧) .

وأما كسرها لأنها أجريت مجرى ظروف الزمان في إضافتها إلى الجمل، يقول شارخ المفصل : (وحكى الكسائي عن بعض العرب ، الكسر حيث يقول " من حيث لا يعلمون " فكسرها مع اضافتها إلى الجملة. ووجه هذه اللغة أنهم أجروا "حيث " إن كانت مكاناً مجرى ظروف الزمان في إضافتها إلى الجمل ، وإذا

---

(١) انظر الهمع : ٢٠٥/٣ .
(٢) الأعراف : ١٨٢ .
(٣) الهمع : ٢٠٦/٣ .
(٤) ينظر المغني :١/ ١٤٠.
(٥) انظر المقتضب للمبرد : ١٧٨/٣ ، وشرح المفصل : ٩١/٤ .
(٦) الكتاب ٢٨٦/٤ .
(٧) الهمع : ٢٠٥/٣ .

أضيفت إلى الجملة كان فيها وجهان الإعراب والبناء)(١).

وقال السيوطي :(ومنهم من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين)(٢) . ويظهر من ذلك أن " حيث " مبني على السكون فكسر آخره دفعاً لالتقاء الساكنين ، قال ابن يعيش " ويجوز أن يكون من قال حيث بناه أيضاً إلا أنه كسر على أصل التقاء الساكنين ولم يبال الثقل ، كما قالوا جير وذيب ، فكسروا وأن كان قبل الآخر ياء"(٣) . إذاً علة بناء حيث أنها أجريت مجرى ظروف الزمان وافتقارها إلى جملة بعدها توضحها فخالفت أخواتها في إضافتها إلى جملة(٤).

ويعرب هذا الظرف عند بعض العرب وقد انفرد بذلك قبيلة فقعس ، يقول أبو حيان :(وحكى الكسائي أن إعرابها لغة لبني فقعس)(٥) ، وقال : (عند بني الحارث من أسد وبني فقعس يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في النصب فيقولون ، من حيث يعلمون ، وكان ذلك حيثُ التقينا)(٦) .

وقال السيوطي : (ولغة فقعس اعرابها يقولون : جلست حيثُ كنتَ ، وجئتُ من حيثِ جئتَ ، فيجرونها بـ " منْ " وهي عندهم " كعند " ، وقريء " من حيث لا يعلمون " بالكسر فيحتمل الإعراب ، ولغة البناء على الكسر(٧) .

---

(١) ٩١/٤ .
(٢) الهمع : ٢٠٥/٣ وانظر شرح المفصل : ٩٢/٤ .
(٣) شرح المفصل : ٩١/٤ ، ٩٢ وانظر الكافية الشافية : ٩٤٩/٢ .
(٤) المرجع السابق : ٩١ .
(٥) البحر : ١٥٥/١ وينظر إعراب القرآن للنحاس :٢١٣/١ .
(٦) الارتشاف : ٢٦١/٢ ، ولهمع : ٢٠٥/٢ ، والمغني : ١٤١/١ ، شرح ابن عقيل : ٥٥/٢ ، ٥٦ ، الاتقان في علوم القرآن : ٢٧٤/٤ .
(٧) ينظر الهمع : ٢٠٦/٣ .

وقال الكسائي : (وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب)(١) .

وقال : (وسمعت في بني أسد بن الحارث بن ثعلبة ، وفي "بني فَقْعَس" كلها يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النَّصب ..)(٢). فـ"حيث" إضافتها إلى الجملة تقتضي فيها وجهان الإعراب والبناء(٣) . وتضاف إلى المفرد من جهة أنها ظرف كغيرها من ظروف المكان(٤) وذلك نادر كقول الشاعر:

ونطعنهم تحت الحبابعد ضربهم

ببيض المواضي حيثُ ليِّ العمائم(٥)

وقول آخر :

أما ترى حَيْثُ سُهيلٍ طالـــــعاً

نجماً يضيء كالشهاب ساطعـــاً(٦)

والشاهد في البيتين إضافة " حيث " إلى مفرد في الأول "حيث ليِّ العمائم " وفي الثاني " حيث سهيل ..." .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٢١٣/١ .

(٢) انظر اللسان : لسان العرب لابن منظور : ٤٤٩/٢ " حيث " .

(٣) انظر شرح المفصل : ٩١/٤ .

(٤) ينظر المرجع السابق والصفحة .

(٥) نسبة البيت للفرزدق . المغني ١٤١/١ وقيل : قائله مجهول . انظر الهمع : ٢٠٦/٣ ، ويروى " ونطعنهم حيث الكلى بعد ضربهم . والبيت من شواهد شرح المفصل : ٩٢/٤ ، وانظر أوضح المسالك ١٤٥/٣ ، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٥٩/٣-٢٦٠.

(٦) قائله مجهول ، ينظر الهمع : ٢٠٦/٣ والمغني : ١٤١/١ ، ويروى " حيثَ " بفتح التاء .

وقيل إذا أضيفت إلى المفرد اعربتا ، يقول ابن هشام :(قال أبو الفتح في كتاب التمام : ومن أضاف حيث إلى المفرد أعربها ..)(١) . وأورد الشاهد قول " أما ترى حيثَ سهيل " بفتح التاء في " حيث " ، وانفردت طيىء بإبدال ياء " حيث " واواً فيقولون " حوث " . يقول أبو حيان : (ويجوز حوث بالواو بالحركان الثلاثة)(٢) هذا في أكثر المصادر وعزيت لتميم(٣) .

وقال : (وقال اللحياني : لغة طيىء في حيث حوث "(٤) وهي مبنية عندهم أيضاً .

ونخلص إلى القول بأن : حيث الأصل فيها البناء وقد تعرب ، فالبناء على الضم لغة معظم قبائل الحجاز وتميم وغيرها من القبائل العربية الأخرى وهو الاكثر استعمالاً وشيوعاً والكسائي عزاه لقيس وكنانة (٥) .

ذكر المبرد أنها اللغة الفاشية(٦) .

---

(١) المغني : ١/١٤١ .

(٢) البحر : ١/١٥٥ .

(٣) انظر التهذيب ٥/٢١٠ . وانظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د . غالب فاضل المطلبي ١٣٨ حيث نفى كونها لتميم واعتمد على سماع الكسائي عنهم مع أنه ذكر أن ذلك ورد في التهذيب كأن لسان حاله يقول : من سمع حجة على من لم يسمع . وهذا يتفق مع ما عرف عن هذه القبيلة من ميلهم إلى صيغ الواو مثل قوله مبيوع ومصيون . أما د . ضاحي عبدالباقي فقد أقرها لكنه قال بقلتها . انظر لغة تميم ص ٥١١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة ، وانظر الارتشاف ٢/٢٦١ ، ومغني اللبيب : ١/١٤٠، وشرح المفصل : ٤/٨٩١ .

(٥) يطلق قيس على قبائل قيس عيلان بن مضر ومنها : (هوازن وثقيف وسليم وغطفان ، ويطلق على أبناء قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن مناة بن تميم وغيرها كثير .
الجمهرة لابن حزم ١٩٦ / ١٠ . ٤٣ .
ينظر المنتخب في ذكر قبائل العرب : عبد الرحمن المغيري ص ١٦٩ . ١٧٠ ، وكنانة تطلق على قبائل كنانة بن خزيمة ، ومنها قريش . انظر نفس المرجع ص ١٥٥ ، والجمهرة لابن حزم ص ١٨٠ ، ومعجم قبائل الحجاز ص ٤٤٥ -٤٤٦ ، عاتق البلادي : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة ٣/٩٩٦ .معجم قبائل الحجاز : ٤٣٢ .

(٦) ينظر المقتضب : ٣/١٧٥ ، ١٧٨ .

ثم إن ضم الثاء من حيث هي اللغة العالية(١) .

أما الكسر فأهمل عزوه ويحتمل أن يكون هذا الكسر كسر إعراب لأن " حيث " ظرف مكان مضافة كظروف الزمان إذا أضيفت جاز فيها الإعراب والبناء .

كما يحتمل أن يكون الكسر للتخلص من التقاء الساكنين الياء والثاء وإن آخره ساكن فتحرك بالكسر وإن كان في قول أبي حيان : (وتعتقب على آخره الحركات الثلاثة) دلالة على أن هذه الحركات الضم والفتح والكسر فالكلمات العربية أواخرها إما متحركة أو ساكنة .

وتعرب عند فقعس وبعض الروايات تذكر أنها تعرب عند بني الحارث بن أسد وفقعس ، وفقعس هم بنو طريف بن عمرو من أسد(٢) فيكون بذلك إعرابها عند بني الحارث بن ثعلبة من بني أسد ومنهم فقعس(٣) .

وإن كان البناء الأشهر والأكثر استعمالاً إلا أن الإعراب مسموع ومروي عن فقعس وهم من فصحاء بني أسد .

بقي أن أشير إلى ما عزي إلى طيىء من ابدالها ياء حيث واواً و بالحركات الثلاث على الثاء أن ذلك أي إبدال الياء واواً من سمات لغة البدو ويتناسب مع نطق هذه القبيلة ، فكثيراً ما تميل إلى الألفاظ الأكثر وضوحاً والواو قد يناسب ذلك .

---

(١) عن التهذيب : ٥/٢١٠ .

(٢) فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثدان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن نزار بن عدنان . اضطررت للإطالة لأنني قد وجدت فقعس عند الباحثة صالحة آل غنيم جعلتها متفرعة من أسد من ربيعة . ينظر الرسالة : ٦٣ ، وينظر الجمهرة ١٩٥ ، ٤٦٦ .

(٣) نفس المرجع والصفحة . وانظر : لهجات قيس ، رسالة دكتوراه د. محمد العمري .

رأى أن الصواب في الرواية قول : سمعت من بني أسد من الحارث بن ثعلبة .

ثم أنها عندهم مبنية على الضم والفتح والكسر ، يظهر ذلك من قول أبي حيان (ويجوز " حوث " بالواو وبالحركات الثلاثة)(١) .

وقول السيوطي : (ولغة طيىء ابدال يائها واواً فيقولون : حوثُ ، وفي ثائها أيضاً الحركات الثلاث)(٢).

يضاف لذلك أنه لم يثبت في أي نص أنه حكى عن طيىء إعراب " حيث " كما حكى الكسائي ذلك عن فقعس ، أي الإعراب ، ولو ثبت ذلك لما أغفل أبو حيان عزوه وهو الذي يكثر من ذلك في مصنفاته ، وطيىء من القبائل المعتد بها عند النحاة والله أعلم .

وفي اللهجات اليوم ينطق بـ"حيث" مجرورة بـ"من"،وبدون من حسب موقعها في الجملة وهي عند أصحاب هذه اللهجات ظرف مكان، وتضاف إلى الجملة وإلى المفرد(٣).

ثالثاً - " لـدُنْ " :

ظرف زمان مبني على السكون بمعنى " عند " ويُبنى لشبهه بالحروف في لزومه استعمالاً واحداً ، وهذا الأكثر فيه ، وإعرابه لغة ، وهو من الظروف الملازمة للإضافة.(٤)

ذكر أبو حيان عند تفسيره لقوله عز وجل ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٥) .

---

(١) ينظر البحر : ١/١٥٥ .

(٢) الهمع : ٣/٢٠٥ .

(٣) ينظر الأدب الشعبي في الحجاز ، لعاتق غيث البلادي ، ص١٠١، فيه شاهد على إضافة " حيث " إلى المفرد مع فتح آخرها .

(٤) انظر شرح الكافية الشافية : ٢/٩٢٦ ، والكتاب : ٢/٣١١.

(٥) آل عمران : ٨ .

فقال : (" لدن : ظرف وقل أن تفارقها من قاله ابن جني ومعناها ابتداء الغاية في زمان أو مكان أو غيره من الذوات غير المكانية وهي مبنية عند أكثر العرب واعرابها لغة قيسية وذلك إذا كانت مفتوحة اللام مضمومة الدال بعدها النون فمن بناها قيل فلشبهها بالحروف في لزوم استعمال واحد وامتناع الاخبار بها بخلاف "عند " ولدى فانهما لا يلزمان استعمالاً واحداً فانهما يكونان لابتداء الغاية وغير ذلك ويستعملان فضلة وعمدة ، فالفضلة كثير ومن العمدة "وعنده مفاتح الغيب " ، " ولدينا كتاب ينطق بالحق " وأوضح بعضهم علة البناء كونها تدل على الملاصقة للشيء وتختص بها بخلاف " عند " فإنها لا تختص بها بالملاصقة فصار فيها معنى لا يدل عليه الظرف بل هو من قبيل ما يدل عليه الحرف فهي كأنه متضمنة للحرف الذي كان ينبغي أن يوضع دليلاً على القرب ، ومثله " ثم و هنا " لأنهما بنيا لما تضمنا معنى الحرف الذي كان ينبغي أن يوضع ليدل على الإشارة ، ومن أعربها وهم : قيس فتشبيهاً بـ " عند " يكون موضعها صالحاً لـ"عند" وفيها تسع لغات غير الأولى لدَن ولدْن ، ولُدْن ، ولَدُن ، ولدِن ، ولَدَ ، و لَدُ ، ولدْ ، و لَتِ ، بإبدال الدال تاء ، وتضاف إلى المفرد لفظاً كثيراً وإلى الجملة قليلاً فمن إضافتها إلى الجملة الفعلية قول الشاعر :

صريع غواني راقهن ورقنه ... لدن شب حتى شاب سود الذوائب (١)

وقال الآخر :

لزمنا لدن سألتمونا وفاقكم ... فلا يك منكم للخلاف جنـــــــوح (٢)

ومن إضافتها إلى الجملة الاسمية قول الشاعر :

تذكر نعماه لدن أنت يافع ... إلى أنت ذو فودين أبيض كالنسر

وجاء اضافتها إلى أن والفعل قال :

وليت فلم يقطع لدن إن وليتنا ... قرابة ذي قربى ولاحق مسلـــم

(١) الشاهد فيه إضافة « لدن » للفعل « شب » . قائله القطامي . انظر أمالي الشجري :٢/٥٨ .

(٢) الشاهد فيه إضافة « لدن » للفعل . قائله مجهول . من شواهد المغني ٤٨٣ وانظر معجم شواهد العربية ص ٥٨ .

وأحكام لدن كثيرة ذكرت في علم النحو)(١) .

إذن " لَدُنْ " الأكثر فيها البناء عند جمهور العرب لشبهها بالحروف في لزوم استعمال واحد وامتناع الاخبار بها وتعرب عند قيس وتكون مفتوحة اللام مضمومة الدال بعده نون(٢) . وعلى ذلك وردت قراءة أبي بكر عن عاصم ﴿ مِّن لَّدُنْهِ ﴾(٣) وأصله ضم الدال وسكون النون . وفي القراءة جر النون وإسكان الدال وإشمامها الضم .

جاء في اللسان عن أبي زيد أن اعرابها لغة الكلابيين وهم من قيس قال :(عن الكلابيين أجمعين هذا من لدنه ، ضموا الدال وفتحوا اللام وكسروا النون)(٤).

ويعلق الباحث د. العمري على ذلك بقوله : (وهذا النص عن الثقة أبي زيديشير إلى شمول الإعراب في " لدن " في لغة الكلابيين أجمعين)(٥) .

و مجمل القول أن " لدن " تلزم حالة واحدة وهي البناء وعليه أكثر لغات العرب ، وبه نزل القرآن الكريم ووردت أكثر النصوص . أما إعراب " لدن " فعزي لقبيلة قيس ، وهي قبيلة ذات فروع عديدة تدل على أنها تقارب لغة البناء في الشهرة والاتساع لكنها أقل منها فصاحة لعدم ورودها في القرآن .

---

(١) البحر : ٣٧٢/٢ ، والدر اللقيط من البحر المحيط ٣٧١/٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، والكتاب : ٢٨٦/٣ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة ٩٦/٦ ، وينظر الارتشاف ٢٦٥/٢ .

(٣) الكهف :٢.

(٤) اللسان : ٣٨٤/٣ ، والهمع ٢١٧/١ ، ٢١٦/٣ ، وشرح المفصل : ١٠٠/٤ ، وشرح ابن عقيل ٦٧/٢ ، حاشية الصبان ٢٧٠/٢ .

(٥) لهجات قيس / رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية .

رابعاً - " قبلُ و بعدُ " :

من الظروف الملازمة للإضافة معناً ولفظاً قبل وبعد وتأتي مبنية على الضم وتعرب ولإعرابها أحوال ذكرها النحاة في مصنفاتهم(١) وإعرابها لغة معزوة نص أبو حيان عند تفسيره قوله عز وجل ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾(٢):(وقرأ الجمهور من قبلُ ومن بعدُ بضمهما أي قبل غلبة الروم ومن بعدها ولما كانا مضافين إلى معرفة وحذفت بنيا على الضم والكلام على ذلك مذكور في علم النحو وقرأ أبو السمال والجحدري وعون العقيلي من قبل ومن بعد بالكسر والتنوين فيهما قال الزمخشري على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قبل قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخر . وقال ابن عطية ومن العرب من يقول (من قبل ومن بعد بالخفض والتنوين ، قال الفراء(٣) : ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف المضاف . وأنكر النحاس(٤) ما قاله الفراء ورده وقال للفراء في كتابه في القرآن أشياء كثيرة من الغلط منها أنه زعم أنه يجوز من قبلٍ ومن بعدٍ وإنما يجوز من قبل ومن بعد على أنهما نكرتان والمعنى من متقدم ومن متأخر . وحكى الكسائي عن بعض بني أسد لله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ الأول مخفوض منوّن والثاني مضموماًبلا تنوين)(٥) .

---

(١) ينظر في ذلك الارتشاف : ٢/٥١٣ ، ٥١٤ ، والكتاب : ٣/٢٨٩-٢٩٠ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري : ١/٣٠٦ ، ٣١٢ ، وشرح الكافية الشافية : ٢/٩٦٤ ، والهمع : ٣/١٩١-١٩٤ ، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان على شرحه ٢/٢٧٥: ، وشرح ابن عقيل : ٢/٧٢ - ٧٥ .

(٢) الروم : ٤ .

(٣) انظر المعاني : ٢/٣٢ ، وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك : ٣/١٥٤ - ١٦ .

(٤) انظر اعراب القرآن للنحاس : ٣/٢٦٢.

(٥) البحر : ٧/١٦٢.

مما نص عليه أبو حيان أن قبل وبعد مبنيان وبناؤهما على الضم(١) وهي قراءة الجمهور وذلك لأنهما مضافين والمضاف إليهما محذوف ومنوي معناه دون لفظه وتعربان فيلحقهما الجر والنصب ، والجر بدخول حروف الجر عليهما(٢) ، والنصب على الظرفية(٣) وإعرابهما لغة لبني أسد فقال حكى الكسائي عنهم قراءة قوله تعالى : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ بخفض الأول (قبل) وتنوينه وبقي الثاني مضموم بدون تنوين(٤) ، يقول أبو حيان :(قال ابن عطية : ومن العرب من يقول " من قبلٍ ومن بعدٍ " بالخفض والتنوين)(٥).

وقال :(وإذا قطعا عن الإضافة لفظاً ونوى ما أضيفا إليه وكان معرفة بنياً على الضم ..)(٦) وقال : (ولما كانا مضافين إلى معرفة وحذفت بنيا على الضم ..)(٧) كما يظهر من النصوص السابقة أن الإعراب أكثر وأشهر وتحديد بيئة الضم فيهما وهو البناء باتفاق جميع النحاة دل على تعميم الإعراب فيكون بذلك لغة عامة العرب أو جمهورهم إعراب هذين الاسمين ولغة أسد(٨) بناؤهما

---

(١) انظر الارتشاف : ٥١٣/٢

(٢)(٣) لا يدخل عليهما من حروف الجر إلا (من) . انظر الارتشاف : ٥١٣/٢ وانظر المقتضب للمبرد :٣٤٠/٤ ت : محمد عبدالخالق عضيمة .

(٤) انظر البحر : ١٦٢/٧ ، ومعاني القرآن للفراء : ٣٢٠/٢ .

(٥) البحر : ١٦٢/٧.

(٦) الارتشاف ٥١٤/٢ .

(٧) البحر : ١٦٢/٧.

(٨) روى الفراء في معاني القرآن أن بعض بني عقيل أنشده بيتاً استشهد به ، أي الفراء على رفع لفظ " بعد " مع التنوين ٣٢١/٢ ، وانظر البحر : ١٦٢/٧ ، قراءة الجر مع التنوين في قوله تعالى " لله الأمر من قبل ومن بعد " ، عوف العقيلي ، وانظر شرح المفصل : ٨٨/٤ .

على الضم ولذلك أحوال ذكرها النحاة في مصنفاتهم موضحين حالات الإعراب وحالة البناء.

يقول أبو حيان :(يجوز فيهما الإضافة لفظاً ومعنىً وذلك بحذف ما يضاف إليه فمن ذلك قبل وبعد وانتصابهما على الظرفية ... وقد يقطعا عن الاضافة لفظاً ومعنى فينكران ويعربان قريء شاذاً من قبل ومن بعد ، أي من زمن متقدم ومن زمن متأخر ، قال الشاعر :

فساغ ليّ الشراب وكنتُ قبلاً

أكاد أغصُّ بالماء الحميم

وقراءة الجمهور " لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ " أي من قبل الحوادث ومن بعدها)(١) ، وقبله قال : (إذا قطعا عن الإضافة لفظاً ونوى ما أضيفا إليه وكان معرفة مبنياً على الضم)(٢) .

وذهب سيبويه إلى أنهما مما يجري مُجْرى الأسماء المتمكنة لأنهما تضافان وتستعملان غير ظرف ، ونقل عن العرب قولهم : مِنْ فوقُ ومِنْ تحتُ ، يُشبهه بقبلُ وبعدُ وروي شاهداً على ذلك قول أبي النجم العجلي :

* أقبُّ من تحتُ عريضٌ مِنْ علُ *

وأن الخليل رأى : فوق وبعد وقبل وتحت نكرات إذا لم تضف إلى معرفة ، يقول سيبويه :(وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه ويجعلونه كقولك :

---

(١) الإرتشاف : ٢/٥١٣ ، ٥١٤ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

مِنْ يَمنةٍ وشأمةٍ كما جعلت ضَحْوةُ نكرة ونكرةُ معرفة)(١).

وقال ابن مالك معللاً للبناء ذاكراً سبب الإعراب أن بعد وقبل حقهما البناء في الأحوال كلها لشبههما بالحرف لفظاً من حيث إنهما لا تتصرفان بتثنية ولا جمع ولا اشتقاق ومعنىً لافتقارهما إلى غيرهما في بيان معناها لكن عارض ذلك لزومهما للإضافة فأعربتا فلما قطعت عن الإضافة ونوى معناها دون لفظها أشبهت حروف الجواب في الاستغناء بهما عن لفظ ما بعدها فكان ذلك سبب ضمهما وهو البناء(٢).

وقال : (قبل مثل " غير " في أنه ذو إبهام يشابه الحرف وذو إضافة تعارض الشبه وأنه إذا قطع عن الإضافة ونويت على الوجه المذكور زال المُعارض اللفظي فَبُني ... وكانت الحركة ضمةً لأنها حركةٌ لا يعرب بها (قبل) حين يُعرب ، إذْ لا يكون إلا منصوباً ، أو مجروراً)(٣) .

ثم علل سبب إعرابهما إذا قطعتا عن الإضافة ونكرتا فقال (وإنما أعربنا هذه الأسماء في تنكيرها لأنها في تنكيرها لم تخالف النظائر وهي في تعريفها مقطوعةٌ عن الإضافة مخالفة للنظائر لأن المعتاد فيما عرف بالاضافة كون إضافته صريحةً فينضمُّ ذلك إلى ما فيها من شبه الحرف السابق بنائه ، فيتكمَّل

---

(١) الكتاب : ٣/٢٨٩ – ٢٩٠ ، ت : هارون ، وانظر التبصرة والتذكرة : ١/٣٠٦ – ٣١٢ ، والشاهد في البيت ضم لفظ " تحت وعل " حيث بنيا على الضم لأن كل منهما حذف منه لفظ المضاف إليه ونوى معناه . ويرى محي الدين عبد الحميد أن الشاهد ببناء " تحت " فقط إما عل مجرور لموافقة القافية ، انظر ص ٥ . انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل : ٢/٧٤ ، والشاهد فيه مروي بجر لفظ " عل " .

(٢) انظر الهمع : ٣/١٩٢ – ١٩٤ .

(٣) شرح الكافية الشافية : ٢/٩٦٤ .

موجبُ البناء)(١).

وقال المبرد : (فأما الغاياتفمصروفةعلى وجهها ؛ وذلك أنها مما تقديره الإضافة لأن الإضافة تصرفها وتُحقق أوقاتها فإن حذفت منها ، وتركت نياتها فيها كانت مُخالفة للباب معرفةً بغير إضافة ، فصرفت عن وجوهها ، وكان محلها من الكلام أن يكون نصباً أو خفضاً . فلما أُزيلت عن مواضعها ألزمت الضمَّ ، وكان ذلك دليلاً على تحويلها وأنَّ موضعها معرفة(٢) وإن كانت نكرة أو مضافة ، لزمها الإعراب ، وذلك قولك : جئت قبلَك وبعدَك ، ومن قبلِك ومن بعدِك وجئت قبلاً وبعداً . كما تقول أولاً وآخراً)(٣) .

ونخلص من النقول السابقة أن : إعراب (قبل وبعد) وما شابههما من الظروف الغير متصرفة لغة عامة العرب وقد أعربت(٤) في حالات :

(١) أن يكونا مضافين مصرح بمضافهما نحو : "وجئت بعدك وقبلك" فيعربان منصوبين على الظرفية ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾(٥) . وقال عز وجل : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾(٦) . وقد يجران بـ "من" فيعربان نحو "جئت من قبلك ومن بعدك" قال تعالى : ﴿ ألم

---

(١) شرح الكافية الشافية : ٩٦٦/٢ وانظر الهمع : ١٩٣/٣ ، وانظر شرح الأشموني مع حاشية الصبان : ٢٧٥/٢ .

(٢) انظر المقتضب : ١٨٠/٢ ، وانظر شفاء العليل : ٧١٤/٢ .

(٣) المقتضب : ١٧٤/٣-١٧٥ وانظر : ٢٠٥/٤-٢٠٧وانظر إعراب القرآن ٢٦٥/٣ .

(٤) إذا أضيفتا لفظاً ومعنىً اعربتا لأن الإضافة تمنع البناء كما أن التنوين يدل على اعرابهما لأنه إنما يلحق بهما عوضاً عن حذف لفظ المضاف إليه ، انظر شرح الكافية الشافية : ٩٦٦/٢ .

(٥) الحج : ٤٢ .

(٦) الجاثية : ٦ .

يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾(١) وقوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾(٢) ، وقوله عز وجل : ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾(٣). وقوله عز وجل : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾(٤).

(٢) أن يحذف المضاف إليه فيعربان ولا ينونان لانتظار المضاف إليه المحذوف وعلى ذلك قول الشاعر :

من قبلِ نادى كلُّ مولى قرابة

فما عطفتْ مَوْلىً عليه العواطفُ(٥)

والشاهد فيه جر " قبل " معرب بغير تنوين على نية المضاف إليه فدل الجر على إعرابه وترك التنوين على نية إثبات لفظ المضاف إليه وجاء على ذلك قراءة قوله تعالى :﴿ لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ ﴾ بالجر بدون تنوين(٦) ولقد جاءت هذه القراءة على لغة بعض بني أسد فقد روى أنهم يقرؤون قوله تعالى : " لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ " بجر " قبل " أما بعد فمرفوع " بعدُ " على قراءة الجمهور يقول الفراء :(سمع الكسائي بعض بني أسد يقرؤها " لله الأمر من قبلِ ومن بعدُ "

---

(١) التوبة : ٧ .

(٢) القصص : ٤٣ .

(٣) الفتح : ٢٤ .

(٤) الروم : ٣ .

(٥) قائله غير معروف ، من شواهد ابن عقيل : ٧٢/٢ ، وأوضح المسالك ١٥٤/٣ ، وشرح الكافية الشافية : ٩٦٣/٢ ، والهمع : ١٩٣/٣ ، وشرح الأشموني مع الحاشية للصبان ٢٧٥/٢ .

(٦) ذكر ابن هشام في الشذور ١٠٦ والقطر ٢١ أن هذه قراءة الجحدري وأبي السماك والعقيلي وذكر أبو حيان في البحر غير ذلك أن قراءتهم بالجر مع التنوين . انظر البحر : ١٦٢/٧.

بخفض " قبل " ويرفع " بعد " على ما نوى)(١) قال تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ وقوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾(٢) .

(٣) أن يقطعا عن الإضافة لفظاً ومعنىً فينونان ويعربان لأنهما أصبحا اسمين نكرتين كسائر الأسماء النكرات نقول جئتك قبلاً وبعداً ومن قبلٍ ومن بعدٍ ، وعلى ذلك قراءة قوله تعالى (لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ) وهي قراءة شاذة(٣).

يقول أبو حيان : (وقال ابن عطية : ومن العرب من يقول " من قبل ومن بعد " بالخفض والتنوين)(٤).

وقد يرفع وينون(٥) ، يقول الفراء : (ولو أطلقتهما بالعربية فنونت وفيهما معنى الإضافة فخفضت في الخفض ونونت في النصب والرفع لكان صواباً قد سمع ذلك من العرب ، وجاء في اشعارها فقال بعضهم :

وساغ ليَ الشراب وكنت قبلاً   أكاد أغصُّ بالماء الحميم

فنون وكذلك تقول : جئتك من قبلٍ فرأيتك)(٦).

كما نص أبو حيان على ذلك : (وقد جاء في الشعر تنوين ما بني على

---

(١) انظر المعاني : ٣/٣٢٠ ، والبحر : ٧/١٦٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣: ٢٦٢/٣-٢٦٣ .

(٢) الآية الأولى : الفتح : ٢٤ ، والثانية : يوسف : ١٠٠ .

(٣) انظر الارتشاف : ٢/٥١٣ ، والهمع : ٣/١٩٢ ، والقطر ص ٢٣ .

(٤) البحر : ٧/١٦٢.

(٥) انظر الهمع : ٣/١٩٢ ، ١٩٣ ، قال الفراء : التنوين خاص بضرورة الشعر ، انظر المعاني : ٢:١٣٢١.

(٦) معاني القرآن : ٣/٣٢٠ .

الضم وتنوين ما ينصب قال :

حَبَوْتُ بها أبا عمرو بن عوفٍ

بما قد كان قَبْلُ من عتابِ

ويروى قبلاً بالنصب والتنوين ، وقد يقطعا عن الإضافة لفظاً ومعنىً فينكران ويعربان قريء شاذاً من قبلٍ ومن بعدٍ أي من زمن متقدم ومن زمن متأخر قال الشاعر :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً)(١) .

ومن شواهد ذلك ، قول الشاعر :

ونحن قتلْنا الأسدَ أسدَ شَنُوءَةٍ

فما شربوا بعداً على لذةٍ خمرا(٢)

روى " بعدُ " بالرفع والتنوين وكلٌ اعرا ب(٣) .

والشاهد فيه نصب " بعد " منوناً معرباً لأنه قطع عن الإضافة لفظاً ومعنىً .

---

(١) الإرتشاف : ٥١٣/٢ وانظر الشذور ١٠٤ ، والقطر ، قطر الندى لابن هشام ٢١ ، والهمع : ١٩٢/٣ ، وقائله قيل لعبد بن يعرب وقيل الصواب أنه ليزيد بن الصعق ، انظر الشذور ١٠٤ ، والقطر ٢١ وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن هشام ١٥٦/٣ ، وشرح ابن عقيل الحاشية ٧٣/٢ ، والهمع : ١٩٤/٣ .

(٢) نسب لبعض بني عقيل ، انظر المعاني :٣٢١/٣ . روى الأسد خفية . انظر شذور الذهب ص ١٠٥ .

(٣) انظر أوضح المسالك: ١٥٨/٣ ، والهمع : ١٩٢/٣-١٩٣ ، والرواية فيه بالرفع والنصب ، وانظر الشذور ١٠٥ ، وشرح ابن عقيل : ٧٣/٢ .

وقول:

هتكت به بيوت بني طريفٍ   على ما كان قبلُ من عتاب(١)

أما بناء " قبل وبعد " وما شابههما يكون إذا حذف المضاف إليه ونوى معناه فيبنيان على الضمّ كقراءة الجمهور " لله الأمر من قبلُ ومنْ بعدُ " بالرفع بغير تنوينٍ ، يقول الفراء : (لأنهما في المعنى يراد بهما الإضافة إلى شيء لا محالة . فلمّا أدتا عن مَعنّى ما أُضيفتا إليه وسَمُوها بالرفع وهما مخفوضتان ؛ ليكون الرفع دليلاً على ما سقط ممّا أضفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما كقول الشاعر :

*إن تأتِ من تحتُ أجئْها من عَلُ *

ومثله قول الشاعر :

إذا أنا لم أُومن عليك ولم يكُن   لقاءك إلاَّ من وراءُ وراءُ

تُرفعُ إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه فإن نويت أن تُظّهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ ...)(٢).

وقد روي شواهد كثيره لذلك منها قول :

لعن الإلهُ بعلّة بن مسافرٍ   لعناً يشنُّ عليهِ مِنْ قدامُ(٣)

---

(١) انظر معاني القرآن ٢/٣٢١ .

(٢) معاني القرآن : ٢/٣٢٠ وانظر الشذور ١٠٣ ، والهمع ٣/٦٩٥ .

(٣) قائله رجل من بني تميم ، لم يعين ، انظر الشذور ١٠٤ ، الحاشية منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحي الدين عبد الحميد .

وقول :

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ　　　على أينا تعدد المنيةُ أولُ (١)

وقول :

أقبُّ من تحتُ عريضٌ من علِ (٢)

وقول طرفة بن العبد البكري :

ثم تفري اللحمَ من تعْدائها　　　فهي من تحتُ مُشيخاتُ الحزم(٣)

وقول امريء القيس :

مكر مفرٍّ مُقبل مُدْبرٍ معاً　　　كجلمود صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ(٤)

وقول الفرزدق :

ولقد سددتُ عليْكَ كلَّ ثنيةٍ　　　وأتيتُ نحوَ بني كُلَيْبٍ مِنْ عَلُ (٥)

وموضع الاستشهاد في الأبيات السابقة ضم ، قدام ، أولُ ، عل ، وتحت مبنيات فهي أشبهت قبلُ وبعد فأُلحقت بها لأنها قطعت عن الإضافة على تقدم

---

(١) قائله معن بن أوس المزني ، انظر معاني القرآن للفراء : ٢/٣٢ ، قطر الندى ٢٣ . وانظر أوضح المسالك : ٣/١٦٠ ، ١٦١ استشهد بالبيتين .

(٢) قائله : أبو النجم العجلي ، والرواية عند سيبويه (من علُ) بالضم، انظر الكتاب ٣/٢٩٠ وصدره : مُوَثَّقِ الأعْلَى أمينِ الأسْفَلِ .
انظر منتهى الأريب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محي الدين عبد الحميد ١٠٨ .

(٣) انظر الكامل للمبرد١/٣٨ ومنتهى الأريب ، بتحقيق شرح شذور الذهب ١٠٤.

(٤) من شواهد الهمع : ٣/١٩٦ ، وأوضح المسالك ٣/١٦٤ –١٦٥ . وانظر الديوان : ٥٢ .

(٥) في ديوانه الرواية " اني ارتفعت " و " علوت " مكان سددت وأتيت .
انظر الديوان ٤٩٥ شرح : علي فاعور .

حروف الجر على بعضها إلا أنها مضمومة الأواخر لعدم الاضافة اللفظية يقول المبرد معللاً : (فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهةُ التعريف أن يكون معرفة بنفسه كزيد وعمرو أو يكون مُعرَّفاً بالألف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا انما هو مُعرَّف بالمعني فلذلك تُبنى إذ خرج من الباب)(١) والأمثلة من لغات العرب على ذلك كثيرة مثل : مُذ ومنذُ بضمهما وأخيراً ان هذا التباين في الإعراب في لغات العرب إنما مرجعه لاختلاف طبيعة الأداء عندهم فبعضهم يميل إلى الضم وبعضهم يفضل الكسر وبعضهم الفتح إذا نطق مع الميل إلى التحقيق والتوضيح أو التخفيف والإسراع نظراً لتأثرهم ببيئاتهم وظروف الحياة لديهم .

فالضم والكسر مما يناسب طبيعة الأداء عند البدو فالناظر إلى ما استشهد به النحاة من أشعار العرب في حالة البناء من أسماء الزمان المبهمة كـ " قبل وبعد " وأشبههما يلحظ أنها معزوة لشعراء من قبائل بدوية مثل تميم وعقيل وأسد وعجل .

---

(١) الكامل في اللغة والأدب :١/٣٨ ، وانظر شرح المفصل : ٤/٨٦.

خامسا - " مع " :

نص أبو حيان عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾(١) : (" مع " اسم معناه الصحبة اللائقة بالمذكور وتسكينها قبل حركة لغة ربيعة وغنْم ، قاله الكسائي ، إذا سكنت ، فالأصح أنها اسم ، وإذا لقيت ألف اللام أو ألف الوصل ، فالفتح لغة عامة العرب والكسر لغة ربيعة ، وتوجيه اللغتين في النحو ويستعمل ظرف مكان فيقع خبراً عن الجثة والأحداث ، وإذا أفرد نوّن مفتوحاً وهي ثلاثي الأصل من باب المقصور إذ ذاك لا من باب خلافا ليونس وأكثر استعمال معاً حال نحو : جميعاً ، وهي أخص من جميع لأنها تشترك في الزمان نصاً وجميع ليحتمله ، وقد سأل أحمد بن يحيى أحمد بن قادم عن الفرق بين قام عبدالله وزيد معاً ، وقام عبدالله وزيد جميعاً ، قال فلم يزل يركض فيها إلى الليل . وفرق ابن يحيى بأن جميعاً يكون القيام في وقتين وفي وقت واحد وأما إذا قلت : " معاً " فيكون في وقت واحد)(٢) .

وقال :(والجمهور على تحريك العين من معكم ، وقريء في الشاذ " انا معكم " وهي لغة غنْم وربيعة)(٣) .

وفي قوله تعالى :﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾(٤) قرأ " ذكر " منوناً والميم من " من " مكسورة .

---

(١) البقرة : ١٤.

(٢) البحر : ٦٢/١ ، ٦٣ .

(٣) البحر : نفس الجزء : ٦٩ ، والنهر الماد على هامش البحر ، نفس الجزء والصفحة . وانظر المصباح المنير : ٢٤٢/٢ ، والتسهيل لابن مالك ٩٨ ذكر فيهما لغة ربيعة فقط ، وانظر الجنى الداني في حروف المعاني ٣٠٥ – ٣٠٧.

(٤) الأنبياء : ٢٤ ، قراءة التنوين ليحيى بن يعمر وطلحة ، انظر البحر : ٣٠٦/٦.

وقال :(ودخول " من " على " مع " نادر ولكنه اسم يدل على الصحبة والاجتماع أجري مجرى الظرف فدخلت عليه " من " كما دخلت على " قبل وبعد " وعند . وضعف أبو حاتم هذه القراءة لدخول " من " على " مع " ولم ير لها وجهاً ، وعن طلحة ذكر منوناً معي دون " من " وذكر منوناً قبلي دون "من " ..)(١) .

كما قال : (" مع " ساكنة العين قيل إنها حرف ، والصحيح أنها اسم كحالها إذا كانت مفتوحة العين)(٢) .

وقال : (وتقع "مع " خبراً وصلة وصفة وحالاً دالة على حضور نحو "نَجّني ومن مَعِي " وعلى الظرف إن مع اليوم أخاه عذراً وحركته حركة إعراب وكان قياسه البناء وقد بناه بعضهم على السكون وهي لغة لربيعة وغَنْم يسكنون قبل حركته ولم يحفظ سيبويه أن السكون لغة فزعم أنه لا يكون إلا في الضرورة كقوله :

* فريشي مِنْكُمْ وهواي مَعْكُمْ *

وزعم أبو جعفر النحاس أن الاجماع منعقد على حرفيتها إذا كانت ساكنة ، والصحيح كونها اسماً إذ ذاك ، وكلام سيبويه يشعر بذلك ، فإذا ألغيت الألف واللام أو ألف الوصل فعامة العرب على فتح العين ، وبعض العرب يكسرها تقول " مَعِ " الرجل و " مَعِ " ابنك ، وإذا أفردت " مَعَ " نونت ، واختلفوا في حركة " معاً " فذهب الخليل وسيبويه إلى أنها حركة إعراب كحالتها في حالة الإضافة والكلمة ثنائية اللفظ حالة الإفراد وحالة الإضافة ، وذهب يونس والأخفش إلى أن الفتحة فيها كفتحة " تاء " " فتى " وأنها حين أفردت رد إليها المحذوف ، وهو لام الكلمة فصار مقصوراً ، وقال ابن مالك : وهو الصحيح ، والصحيح عندي مذهب الخليل وسيبويه والأكثر في " معاً " النصب على الحال ووقوعها خبراً للمبتدأ قليل

---

(١) البحر : ٣٠٦/٦ ، وانظر المغني ٣٧٠/١ ، والارتشاف ٤٤٩/٢ ، ٢٦٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

نحو " وأهواء نا معاً " وقال بعضهم في نحو : وأهواءنا معاً أنه حال والخبر محذوف تقديره كائنة معاً وليس بصحيح)(١) .

ومن النقول السابقة يظهر أن " مع " اسم تفتح عينه وتسكن وتكسر والفتح والتسكين والكسر لغات ثبتت بنقول العلماء وهي والحال كذلك مبنية وتعربه ، وقد نص أبو حيان على ذلك : (وتسكينها قبل حركة لغة ربيعة وتميم قاله الكسائي ... وإذا لقيت ألف اللام أو ألف الوصل فالفتح لغة عامة العرب والكسر لغة ربيعة)(٢).

فيظهر من تسكينها على أن الفتح أشهر وأعم ، يؤيد ذلك قراءة جمهور القراء بتحريك العين ، والتسكين قليل كالقراءة(٣) الشاذة لبعض القراء فالفتح دل على الإعراب ، والسكون هو البناء(٤) ، نص أبو حيان على أنه يقع حالاً وصفة وصلة وخبراً (وحركته حركة إعراب وكان قياسه البناء وقد بناه بعضهم على السكون وهي لغة لربيعة وغَنْم يسكنون قبل حركته ... وإذا الغيت الألف واللام أو الف الوصل فعامة العرب على فتح العين ، وبعض العرب يكسرها تقول : مَعِ الرجل ومَعِ ابنك وإذا أفردت مع نونت ... واختلفوا في حركة معاً فذهب الخليل وسيبويه إلى أنها حركة إعراب كحالتها في حالة الإضافة والكلمة ثنائية اللفظ حالة الإفراد وحالة الإضافة ، وذهب يونس والأخفش إلى أن الفتحة منها كفتحة " تاء " " فتى " وأنها حين أفردت رد إليها المحذوف وهو لام الكلمة فصار مقصور ، وقال

---

(١) الارتشاف : ٢٦٧/٢ ، ٢٦٨ ، وانظر الهمع ٢٢٨/٣ .

(٢) البحر : ٦٣/١ .

(٣) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٧١/٢ (شرح الأشموني) .

(٤) انظر الجني الداني في حروف المعاني ٣٠٥ ، وشرح ابن عقيل ٧٠١/٢ ، وأوضح المسالك : ١٤٨/٣ ، ١٤٩ ، والارتشاف : ٢٦٨/٢ .

ابن مالك : وهو الصحيح ، والصحيح عندي مذهب الخليل وسيبويه ..)(١).

وهذا ما رآه ابن عقيل حين نص بأن : (المشهور فيها فتح العين وهي معربة ، وفتحتها فتحة إعراب ، ومن العرب من يسكنها ، ومنه قوله :

خريشي منكم وهواي مَعْكُمْ وإن كانت زيارتكم لمَامَا(٢)

وزعم سيبويه(٣) أن تسكينها ضرورة وليس كذلك بل هو لغة ربيعة فهي عندهم مبنية على السكون ... فإن وليها ساكن فالذي ينصبها على الظرفية يبقي فتحها فيقول " مَعَ ابنك " والذي يبنيها على السكون يكسر لالتقاء الساكنين فيقول " مَعِ ابنك ")(٤).

ونقل السيوطي عن ابن مالك مبيناً علة إعرابها وبنائها أنه كان حق " مع " البناء لشبهه بالحروف في الجمود وهو لزوم وجه واحد من الاستعمال والوضع الناقص(٥) ولكنها أعربت في أكثر اللغات لمشابهتها " عند " في وقوعها خبراً

---

(١) الارتشاف : ٢٦٨/٢ وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٢٧٦/٢ .

(٢) شرح ابن عقيل : ٧٠/٢ والقائل جرير ، من شواهد الكتاب ٢٨٧/٣ ، ونسبه للراعي . والشاهد فيه تسكين " مع " تشبيهاً لها بالحروف ، فقد رأى بعض النحاة أنها إذا سكنت فهي حرف وقيل بل أنها أشبهت هلْ وبلْ من حروف المعاني وهو رأي سيبويه ، وقد رأى التسكين ضرورة وهو لغة ، انظر الجني الداني من حروف المعاني ٣٠٥ ، وأوضح المسالك : ١٤٨/٣-١٤٩

(٣) انظر الكتاب : ٢٨٧/٣ .

(٤) شرح ابن عقيل : ٧٠/٢-٧١ وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٧١/٢ .

(٥) قيل أنها إذا نونت رد إليها لامها فهي في الاضافة ناقصة وفي الافراد تامة. انظر المرجع السابق والصفحة .

وصفة وحالاً وصلة ودالاً على حضور وقرب وأن البناء يكون على السكون وعلى الكسر وهو لغة ربيعة وغنم وهو القياس(١) .

والبناء على الكسر عزي لربيعة فقط وعُلِلَ بأنه للتخلص من التقاء ساكنين ولكنه رُوي بأنه لغة وذلك إذا لقيت " مع " ألف اللام أو ألف الوصل(٢) .

وقيل : أعربت لأنها انفصلت عن الإضافة يقول أبو حيان : (وإذا أفرد نون مفتوحاً وهي ثلاثي الأصل من باب المقصور إذ ذاك لا من باب يد خلافاً ليونس وأكثر استعمال معاً حال نحو جميعاً)(٣).

يقول سيبويه : (سألت الخليل عن مَعَكُمْ ومعَ،لأي شيء نصبتها ؟ فقال،لأنها استُعملت غير مضافة اسماً كجميع،ووقعت نكرة،وذلك قولك : جاءا معاً وذهبا معاً)(٤).

ويستظهر رأي أبي حيان في علة إعرابها من قوله : (وتقع خبراً وصلة وصفة وحالاً دالة على حضور ... وحركته حركة إعراب)(٥). على أنه معرب إذا قطع عن الإضافة فينون وينكر فيقع حال وخبر وصلة . والذي يظهر ليّ أنه يعرب حال الإضافة أيضاً . دل على ذلك قول أبي حيان :(واختلفوا في حركة معاً فذهب الخليل وسيبويه إلى أنها حركة إعراب كحالها في حالة الإضافة)(٦).

وقوله : (وإذا لقيت ألف اللام أو الف الوصل فالفتح لغة عامة العرب

---

(١) انظر الهمع : ٢٢٧/٣، قيل لغة قيس ، انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ٧٠/٢ لمحي الدين عبد الحميد .

(٢) انظر شرح ابن عقيل ٧١/٢ ، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان ٢٧١/٢.

(٣) البحر : ٦٣/١.

(٤) الكتاب : ٢٨٧/٣ .

(٥) الارتشاف : ٢٦٧/٢ .

(٦) الارتشاف : ٢٨٦/٢ .

... والكسر لغة لربيعة).[١]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[٢] بفتح العين والفتح إعراب ففيه ما يدل على ما ظهر ليّ .

فالفتح إذاً هو فتح اعراب باتفاق العلماء في نقولهم عن العرب ، ومن شواهد ذلك قول الخنساء :

وأفني رجالي فَبَادُوا معاً   فأصبح قلبي بهم مستفزا

وقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأني ومالكاً   لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وقول :

يذكرْنَ ذا البثَّ الحزينَ ببثِّهِ   إذا حنَّتِ الأولى سَجعْنَ لها معاً[٣]

وأخلص إلى القول : أنه على اختلاف النحاة في " مع " هل هي حرف أم اسم؟لأن الحرف يقتضي البناء وإذا كانت اسماً فلأنها تفرد فتُنون كما أنها تتأثر بالعوامل فيقال : (من مَعهِ) واختلافهم في تعليل إعرابها وسر بنائها على السكون[٤].

إلى أن البناء والاعراب محفوظ عن العرب فهذا الكسائي يروي أن لغة ربيعة وغَنْم تسكين عين " مع " وهي حينئذ مبنية ووافق ذلك قراءة قوله تعالى : ﴿انا معكم ﴾ بتسكين العين فهو ثابت في كلام العرب وعند النحاة أن الساكنة العين مبنية ، ومن أمثلة الميل إلى التسكين تسكين كثير من العرب الحرف

---

(١) الارتشاف ٢/٢٨٦ .

(٢) الشرح : آية ٦ .

(٣) قائله مجهول لم ينسب .

(٤) انظر شرح الأشموني مع حاشية الصبان ٢/٢٧١ .

المتحرك حرف الإعراب وذلك للتخفيف(١) وهي ظاهرة ملموسة في لغات البادية مثل تميم وأسد وأهل نجد عامة ومن جاورهم ، والتسكين وان كان أثقل من الفتح إلا أنه ينسجم مع طبيعة الأداء عند القبائل البدوية من جنوحها إلى السرعة والخفة في النطق ، فالفتح في " مع " فيه مد وإطالة مما يترتب عليه التأني في النطق وهو ما تميل إليه لغات الحضر وليس ذلك بحتمي ، والفتح كما ذُكر لغة عامة العرب .

وأمثلة التسكين في الشعر العربي والقراءات القرآنية المتواترة لا حصر لها(٢) . وقراءة التسكين مروية كثيراً عن أبي عمرو الثقة الضابط الحافظ من لغات العرب منها على سبيل المثال لا الحصر قراءته لقوله جل جلاله : ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾(٣) بإسكان الهمزة في " بارئكم " ، وقراءته لقوله عز وجل : ﴿ أَنُلْزِمْكُمُوهَا ﴾(٤) بإسكان الميم ، وقراءته لقوله عز وجل : ﴿ يَنصُرْكُم ﴾(٥) بإسكان الراء حرف الإعراب ، وهذه لغة رواها أبو عمرو عن تميم(٦) وهي كثيرة عندهم ، وقد رد أبو حيان على من لحن قراءة أبي عمرو هذه وقيل أنه اختلس فقال : (ما ذهب إليه ليس بشيء لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولغة العرب توافقه على ذلك)(٧).

---

(١) انظر البحر : ٢١٧/٦ روى الكسائي والفراء تسكين الميم الأولى من قوله تعالى " أنلزمكموها " تخفيفاً . انظر شرح الأشموني مع حاشية الصبان ٢٧١/٢ .

(٢) انظر ما استُشهد به في الهمع : ٥٤/١ ، شرح المفصل ٤٨/١ ، والمعاني ٣٧١/٢

(٣) البقرة : ٥٤ . (٤) هود : ٢٨ . (٥) آل عمران : ١٦٠ .

(٦) انظر البحر ٢٠٦/١ ،٢١٧/٦ .

(٧) البحر : ٢٠٦/١ وانظر :٢٨٤/٣ ، ٢٨٩ ذكر أن التسكين لغة قيس وتميم فميلهم لذلك تخفيفاً سواءاً ما كان تسكين الحركة على حرف الإعراب أو في وسط الحرف .

المبحث الثاني – الاسم الموصول المفرد في لغة طيئ

ا " ذو " الطائية بين الإعراب والبناء :

" ذو " من الألفاظ العربية التي أثبتت الشواهد والنصوص النحوية أن الاختلاف في إعرابها وبنائها وإفرادها وتثنيتها وجمعها لغات رويت عن العرب . فعند تفسير أبي حيان قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾(١).

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢) ، نص أبو حيان :(ذو بمعنى صاحب وهو من الأسماء الستة التي ترفع وفيها الواو وتنصب وفيها الألف وتجرّ وفيها الياء وأصلها عند سيبويه ذوي ووزنها عنده فعل ، وعند الخليل ذوّ من باب خوّة وقوّة ووزنها عنده فعل وهو لازم الاضافة وتنقاس إضافته إلى اسم جنس وفي إضافته إلى مضمر خلاف ، وقد يضاف إلى العلم وجوباً إذا اقترنا وضعاً كقولهم : ذو جدن وذو يزن وذو رعين وذو الكلاع ، وإن لم يقترنا وضعاً فقد يجوز كقولهم في عمرو وقطرى ذو عمرو وذو قطرى ، ويعنون به صاحب هذا الاسم واضافته إلى العلم في وجهته مسموع وكذلك أنا ذو بكة واللهم صلّ على محمد وعلى ذويه ، ومما أضيف إلى العلم وأريد به معنى ذي مال . ومما أضيف إلى ضمير العلم وأضيف أيضاً إلى ضمير المخاطب ، قال الشاعر :

وانا لنرجو عاجلاً منك مثل ما رجوناه قُدما من ذويك الأفاضل

وقد أتت ذو في لغة طيىء موصولة ولها أحكام في النحو)(٣).

وفي موضع آخر قال : (ذو تكون بمعنى صاحب وتثنى وتجمع وتؤنث

---

(١) البقرة : ٨٣ .

(٢) البقرة : ١٠٥ .

(٣) البحر : ١/ ٢٨٠ – ٢٨١ .

وتلزم الإضافة لاسم جنس ظاهر وفي إضافتها إلى ضمير الجنس خلاف المشهور المنع ولا خلاف انه مسموع لكن من منع ذلك خصه بالضرورة وإضافته إلى العلم المقرون به في الوضع أوالذي لا يقرن به في أول الوضع مسموع ، فمن الأول قولهم ذو يزن وذو جدن وذو رعين وذو الكلاع فتجب الإضافة إذ ذاك ، ومن الثاني قولهم في تبوك وعمرو وقطرى : ذو تبوك وذو عمرو وذو قطرى ، والأكثر أن لا يعتد بلفظ ذو بل ينطق بالاسم عارياً من ذو ، وما جاء من اضافته لضمير العلم أو لضمير مخاطب لا ينقاس كقولهم : اللهم صلّ على محمد و على ذويه ، وقول الشاعر :

وإنا لنرجو عاجلاً منك مثل ما رجوناه قدماً من ذويك الأفاضل

ومذهب سيبويه ان وزنه " فعَل " بفتح العين . ومذهب الخليل ان وزنه "فعْل" بسكونها واتفقوا على أنه يجمع في التكسير على أفعال . قالوا : اذواء وذو الأسماء الستة التي تكون في الرفع بالواو وفي النصب بالألف ، وفي الجر بالياء ، وإعراب ذو كذا لازم بخلاف غيرها من تلك الأسماء فذلك على جهة الجواز وفيما أعربت به هذه الأسماء عشرة مذاهب ذكرت في النحو وقد جاءت ذو أيضاً موصولة وذلك في لغة طيىء ولها أحكام ولم تقع في القرآن)(١).

من النصين السابقين نلحظ أن أبا حيان فرق بين " ذو " التي بمعنى صاحب اللازمة الإضافة إلى أسماء الأجناس ، وبين " ذو " الموصولة التي تقع هكذا في لغة طيىء ، أعني موصولة مبنية . وأشار إلى أن ذو بمعنى صاحب تعرب وتثنى وتجمع وتؤنث ويكون إعرابها بالحروف حال الرفع الواو وحال النصب الألف والياء حال الكسر ، وفي قوله (وقد أتت ذو في لغة طيىء موصولة)

---

(١) البحر : ٣٣٧/١ وانظر الدر اللقيط ، نفس الصفحة و ص ٣٣٨ على هامش البحر .

و(قد جاءت ذو أيضاً موصولة وذلك في لغة طيىء ولها أحكام ولم تقع في القرآن) ما يشير إلى أنها مبنية إذ الموصول المفرد مبني غالباً(١).

وفي تفسيره ذكر أبو حيان مفصلاً لتصرف لغات العرب في هذا الاسم من حيث الإعراب والبناء ومن حيث الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث يقول :(ومن الموصولات ذُو وذاتُ في لغة طيىء ، فأما ذو فهو هكذا لمفرد مذكر ومثناه وجمعه ، وبعض العرب يعربها إعراب ذي بمعنى صاحب تقول : جاءني ذو قام ، ورأيت ذا قام ، ومررت بذي قام . وبعضهم يثنيها ويجمعها ، تقول : جاءني ذوا قاما ، ورأيت ذوَي قاما ، ومررت بذوي قاما ، وجاءني ذوُو قاموا ، ورأيت ذوي قاموا ومررت بذوي قاموا وحكى الأزهري (٢) : أن ذو في لغة طيِّىء تستعمل بمعنى الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما . وأما (ذات) فالأفصح فيها أن لا تثنى ولا تجمع بل يكون هكذا للمؤنث وتثنيتها وجمعها مبنية على الضم رفعاً ونصباً وجراً، وعن بعضهم إعرابها إعراب ذات بمعنى صاحبه . وحكى بعضهم تثنيتها وجمعها تقول : ذواتا في الرفع وذَوَاتيْ في النصب والجر . ويجوز أن تجمع ذوات على ذَواتُ مبنية على الضم رفعاً ونصباً وجراً . وحكى لي شيخنا الإمام بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي أن بعضهم حكى إعرابها إعراب ذَوَاتُ بمعنى صواحب وهو نقل غريب)(٣) .

---

(١) أشرت بقول (المفرد) لأنه قد جاء إعراب الجمع لغة عزيت لطيىء وعقيل وهذيل كما يبنى ففيه تردد ، أي المفرد والجمع بين الإعراب والبناء . أما ما يثنى من الموصولات فلا خلاف فيه . انظر اعراب الاسم الموصول حال الجمع إعراب جمع المذكر السالم من هذا البحث . وينظر الارتشاف ٥٢٥/١ .

(٢) تهذيب اللغة : ٤٤/١٥.

(٣) الارتشاف ٥٢٧/١ – ٥٢٨ ، وانظر : ٥٢٨/٢ ، وانظر النكت الحسان في شرح غاية الاحسان ص ٤٧ ، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك :٢٧/١ ، والتكميل والتذييل : ٢١٣/١ .

ما ذكره أبو حيان من أن " ذو " تبنى وهي موصولة عند طيىء وتلزم حالة واحدة في الإفراد والتثنيه والجمع والتذكيروالتأنيث وهي " ذو " مفردة ملازمة للواو مبنية على السكون وأنها قد تُعرب اعراب التي بمعنى صاحب وتؤنث وتثنى وتجمع ذكره كثير من النحاة مستدلين بالشواهد الشعرية وما حكاه الرواة عن العرب من أمثال وروايات أمثال أبي زيد الأنصاري والأصمعي والفراء الذين كانوا يشافهون أعراب البادية وغيرهم ويدونون ما سمعوه منهم وهي باتفاق تقع موصولة خاصة بلغة طيىء مبنية غالباً(١) لأنها تُعرب وتُؤنث وتُجمع وتُثنى وكلها لغات طيىء ؛ إذاً " ذو " التي بمعنى الذي في لغة طيىء فيها عدة لغات في إعرابها وبنا ئها وتصريفها :

الأولى : لغة البناء على السكون ، سكون الواو والإفراد أي ملازمة حالة واحدة وهي أشهر لغاتها وأقدمها(٢) . وقد علل النحاة لبنائها وألزامها هذه الصورة فقيل لاتصالها بما بعدها كبعض وافتقارها لما تضاف إليه مثل الحروف بدليل ملازمتها لحالة واحدة(٣).

ووجه بعضهم سبب البناء بأنها بمنزلة الذي توصل بالفعل وتوصف به

---

(١) انظر أوضح المسالك على ألفية ابن مالك ١/١٥٣، والهمع ١/٢٨٨ ، ٢٨٩ وشرح الأشموني مع حاشية الصبان ١/١٦٦ ، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل ١/٢٢٧ ، والشذور ٤٠ ، والتبصرة والتذكرة ١/٥٢٠ ، والمغني ٢/٤٧٠ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ١٠٢ ، والجنى الداني من حروف المعاني للمرادي ١٢٣٩ ، وشرح جمل الزجاجي ١/١٧٧ .

(٢) انظر أوضح المسالك ١/١٣٥ ، وشرح ابن عقيل ١/١٤٩ ، والشفاء :١/٢٢٧ والمغني ٢/٤٧٠ ، والشذوذ ٤٠ . ذكر ابن عقيل أن أشهرها لغة البناء وهي لغة يمنية قديمة قليلة الاستعمال لا تستعمل إلا في لغة طيء وهي قبيلة هاجرت من اليمن إلى المنطقة المعروفة بالجبلين .

(٣) انظرشرح الرضي للاستراباذي على الكافية الشافية :٢/٣٩ ، وشرح المفصل :٣/١٤٧ لابن يعيش .

ولا تجمع ولا تثنى وذلك لأنها منقولة عن " ذو " التي بمعنى صاحب فضعفت بذلك عن التصرف وألزمت وجهاً واحداً(١).

وشواهد هذه اللغة تزخر بها كتب اللغة والنحو ، وهي من الكثرة بحيث تثبت فصاحة هذا الاستعمال مع قلة انتشاره بين عامة العرب ، فجميع الشواهد عُزيت للطائيين منها على سبيل المثال لا الحصر قول حاتم الطائي(٢):

ومنْ حســـــد يجور عليّ قومي وأيُّ الدهر ذُوَ لم يحســـدوني

وقول آخر:(٣)

إذا أنت يممت الركابَ لقصدهم تبيَّنْتُ طعمَ الماءِ ذو أنت شاربه

وقول ثالث:(٤)

فإن الـمـــــاء ماءُ أبيٍّ وجدي وبئر ذو حفرت وذو طـويـــت

وقول قوّال الطائي :

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيـــا هلمّ فإنّ المشرفيِّ الفرائضُ

ومـــن الشـــواهـد النثـرية المنقــولة مـــن كــلام طيىء والمشـهورة عندها قول " أتى عليهم ذو أتى "(٥).

---

(١) انظر التبصرة والتذكرة ٥٢/١ ، وشرح المفصل ١٤٧/٣، والمحتسب ١٤٢/١.

(٢) استشهد به أبو حيان في البحر المحيط : ٤٤٧/٤ على جواز حذف الضميـــر العائد على الموصول وقال أنه مقيس ورواية الديوان " كرم " مكان " حسد " . انظر الديوان : ٢٩ . وانظر الشفاء : ٢٢٧/١.

(٣) لم ينسب لقائل معين .

(٤) قائله سنان بن الفحل الطائي ، انظر الهمع ٢٨٨/١ ، ٢٨٩ ، وشرح الكافيـة الشافية ٢٧٣/١ ، وشرح ابن عقيل ١٢٩/١-١٥٩ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٣٩٧/١ .

(٥) مجمع الأمثال ٦٨/١ ت : محمد محي الدين عبد الحميد .

وما نقل من أن الفراء روى قول بعضهم فقال : (سمعت أعرابياً يقول : بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذاتُ أكرمكم الله بهْ)(١) .

واللغة الثانية : لغة البناء والإفراد تأتي مبنية على الضم وملازمة للتاء وتؤنث فيقال على هذه اللغة جاءت : ذات قامت ، وذات قامتا ، وذات قمن ، ورأيت ذاتُ قامت ، وذاتُ قامتا ، وذاتُ قمن ، وتحدثت مع ذاتُ قامت ، وذات قامتا ، وذاتُ قمن وقد أشار أبو حيان إلى اللغتين بقوله : (ومن الموصولات : ذو وذات في لغة طيىء ، فأما ذو فهو هكذا لمفرد مذكر مثناه وجمعه ... وأما " ذات " فالأفصح فيها أن لا تثنى ولا تجمع بل يكون هكذا للمؤنث وتثنيتها وجمعها مبنية على الضم رفعاً ونصباً وجراً ...(٢) .

واللغة الثالثة : لغة الإعراب وعدم التصرف (الزام الواو أو التاء) وفيها تعرب (ذو) و (ذات) إعراب (ذو) المضافة إلى أسماء الأجناس فتعامل معاملتها في الإعراب . وقد نص على ذلك أبو حيان : (وبعض العرب يعربها إعراب ذي بمعنى صاحب تقول : جاءني ذو قام ، ورأيت ذو قام ، ومررت بذي قام ... وأما (ذات) فالأفصح فيها أن لا تثنى ولا تجمع ..وعن بعضهم إعرابها

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٤٤/١٥ ، ولسان العرب ٣٦٠/١٥ ونوادر أبي زيد ٢٦٥ ط/ دار الشروق . انظر أوضح المسالك ١٥٣/١-١٥٥ ، وشرح ابن عقيل ١٥٠/١ .

(٢) الارتشاف : ٥٢٧/١ ، انظر شرح الكافية الشافية للرضي ، الاستراباذي : ٣٩/٢ ، والنكت الحسان في شرح غاية الاحسان لأبي حيان ص ٤٧، والهمع : ٢٨٨/١ ، وشرح ابن عقيل ١٥١/١ ، وشرح المفصل ١٤٩/٣ وحاشية الصبان على الأشموني ١٩٦/١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٤٤/٥ ، أوضح المسالك ١٥٥/١: ، وعدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، محمد محي الدين عبد الحميد ، نفس الصفحة .

إعراب ذات بمعنى صاحبه ....)(١)

وبعضهم رأى أن اعرابها شاذ منهم ابن هشام يقول (على أن منهم من يجريها مُجْرى التي بمعنى صاحب فيعربها بالواو والألف والياء ... إلا أن ذلك شاذ ، والمشهور ما قدمناه(٢) . وسمع من كلامهم (لا وذو في السماء عرشه) فـ"ذو" موصولة بمعنى الذي ، وما بعدها صلة ، فلو كانت معربة لَجُرَّتْ بواو القسم)(٣). وقد وجه سبب هذا الإعراب بالحروف كالتي بمعنى صاحب أو بالحركات ، فقال ابن يعيش معللاً لسبب إعرابها هذا الإعراب :(وذهب بعضهم أنك تقول في المؤنث ذات قلت ذاك وفي التثنية والجمع ، ويكون مضموماً في كل حال ... وحكى أنه يجوز أن تقول في جماعة المؤنث ذوات قمن وفي ذلك دلالة انه منقول من ذي التي بمعنى صاحب)(٤) فقد نقل أن " ذات " و " ذوات " تعرب إعراب التي بمعنى صاحب وصواحب(٥) .

أما أبو حيان فقال : (وأعربت تشبيهاً لها بذي بمعنى صاحب لمشابهتها في اللفظ ، حتى أن بعضهم حكى أن " ذو " هذه منقولة من ذي بمعنى صاحب لاشتراكهما في التوصل إلى الوصف)(٦) .

وهناك الكثير من النصوص التي تشير إلى ثبوت هذه اللغة عند طيء

---

(١) الارتشاف : ٥٢٧/١ ، وانظر ٥٢٨/٢ ، والنكت الحسان ٤٧ ، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك : ٢٧/١ ، والتكميل والتذييل:٢١٣/١.

(٢) أي البناء . لأنه ذكر قبله حالة البناء على السكون .

(٣) شذور الذهب ٤٠ ،وانظر التبصرة والتذكرة ٥٢٠/١ ، وأوضح المسالك ١٥٥/١ ، وشرح ابن عقيل ١٥١/١ ، ولسان العرب ٣٦٠/١٥ . ٤٥٩ .

(٤) شرح المفصل : ١٤٧/٣.

(٥) انظر الإرتشاف : ٥٢٧/١ .

(٦) التذييل والتكميل ٢٦٣/١ . انظر المحتسب ١٤٢/١.

وهي لغة الإعراب ومعاملة " ذو " و " ذات " معامله التي بمعنى صاحب وصاحبه، وعلى ذلك قول منظور بن سحيم الفقعسي :

فإما كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا

في رواية من رواه " من ذي بالياء "(١).

وقد استنتج أحد الباحثين(٢) من الاستشهاد بقول الفقعسي أن قبيلة فقعس قد سارت اتجاه طيىء في استعمال هذا الاسم موصول مبني في رواية من رواه " فحسبي ذو " بالواو على أنه الموصول المبني الملازم للواو ولكن هذا لم يثبت في نقول العلماء عن العرب أن فقعس تأتي بصيغة الموصول على هذه الصورة ، ولم يشر إلى ذلك أي مصدر . أضف إلى ذلك أنه قد يكون الشاعر نطق على لغة طيء كما روي أن الفرزدق نصب خبر (ما) النافية وهو تميمي على لغة أهل الحجاز . وهذا عادة الشعراء ثم أن الرواية الثانية " بالياء " فبطل ما استنتجه . ولو ثبت سماعها عن هذه القبيلة لما أغفل أبو حيان ذكرها .

اللغة الرابعة : (ذو) فيها تُصرف وتُعرب ، فـ (ذات) للمفرد المؤنثة وذوات للجمع وذوو وذوا للجمع والمثنى في الرفع وذوي وذويّ في النصب والجر للمثنى فتعامل معاملة (ذو) التي بمعنى صاحب ، يقال على هذه اللغة : جاء ذو قام ، وذوو قاموا ، وذوا قاما ، ورأيت ذا قام ، وذوي قاموا ، وذويّ قاما ، ومررت بذي قام،

---

(١) انظر عدة السالك إلى أوضح المسالك ١٥٣/١، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٧٤/٢، وشرح الأشموني على الألفية مع حاشية الصبان : ١٦٦/١، وانظر منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٤٠. من رواه بالياء أبو الفتح في المحتسب . انظر شرح التصريح على التوضيح للأزهري :١٣٧/١.

(٢) لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي ، فتحي الداجني١١١-١١٢.

وبنوي قاموا ، ونويً قاما ، وجاءت ذاتُ قامت ، ونوات قمْن ، وذواتا قامتا ، ورأيت ذاتَ قامت ، وذاتا قامتا ، ونوات ممَن صررت بذاتِ قامت ، وبنواتي قامتا وبنواتِ ، قمنْ . يقول أبو حيان :(وبعض العرب يعربها اعراب " نو " بمعنى صاحب وبعضهم يثنيها ويجمعها ، تقول : جاءني نوا قاما ورأيت نوَي قاما ، ومررت بنوي قاما ، وجاءني نوُ وقاموا ورأيت نوي قاموا ومررت بنوى قاموا ... وأما ذات فالأفصح فيها أن لا تثنى ولا تجمع بل يكون هكذا للمؤنث وتثنيتها وجمعها مبنية على الضم ... وحكى بعضهم تثنيتها وجمعها ، تقول : نواتا في الرفع ، ونَوَاتيْ في النصب والجر ، ويجوز أن تجمع ذات على نواتُ مبنية على الضم رفعاً وجراً ونصباً ، وحكى ليّ شيخنا الامام بهاء الدين(١) ... أن بعضهم حكى إعرابها إعراب نَوَاتُ بمعنى صواحب وهو نقل غريب)(٢) .

وقد ذكر أن هذه اللغات جميعها لطيء(٣) .

وقال الرضي : (الاكثر أن " نو " لا تتصرف نحو : جاءني نو فعل ونو فعلا ، ونو فعلوا ، ونو فعلت ، ونو فعلنا ، ونو فعلن)(٤) . وهي في ذلك أي تصريفاتها محمولة على التي بمعنى صاحب .

ومن شواهدها قول الراجز(٥):

---

(١) بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن أبي نصر الحلبي الشهير بابن النحاس ، استاذ أبي حيان في مصر .

(٢) الارتشاف : ٥٢٧/١ – ٥٢٨ .

(٣) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١٦٦/١ ، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١٧٧/١ .

(٤) شرح الكافية الشافية للرضي الاستراباذي : ٣٩/٢ ، انظر شرح التصريح على التوضيح : ١٣٧/١ ، والهمع : ٢٨٩/١ ، وأوضح المسالك : ١٥٥/١ .

(٥) قبل رؤية وقيل أنه لم يعرف له قائل ، انظر عدة السالك بتحقيق أوضح المسالك : ١٥٦/١ .

جمعتها من أينق موارقٍ نواتُ ينهضن بغير سائق

يقول الشيخ محي الدين عبد الحميد :

(وأما ذات فحكى إعرابها بالحركات أبو حيان في الارتشاف وعليه ترفع بالضمة وتنصب بالفتحة وتجر بالكسرة مع التنوين في الأحوال الثلاثة إذ لا إضافة وأما نوات فحكى إعرابها بالحركات أبو جعفر النحاس الحلبي وعليه ترفع بالضمة وتجر بالكسرة وتنصب بالكسرة نيابة عن الفتحة كجمع المؤنث وتنون في الأحوال الثلاثة أيضاً)(١).

خلاصة القول : أن (ذو) موصولة في لغة طيىء مبنية على السكون مع الزامها الواو ، وهذا الأصل في هذه اللغة للاسم الموصول أما عند غيرها من القبائل فـ " الذي " للمفرد مبني ، وأما المثنى والجمع فتختلف صورته عن المفرد بخلاف ما هو كذلك عند طيىء اذا تجعله للمفرد والمثنى والجمع و قد ضربت الأمثلة فيما سبق . وهذه اللغة هي المشهورة وقد أشار أحد الباحثين المستشرقين إلى أن هذا الاستعمال عند طيىء ، وفي لغة اليمن وهذا ذكرته النقول عن رواة اللغة . وما ذكر في كتب الأنساب أن طيئاً قبيلة يمنية هاجرت من بلادها الأصلية إلى المنطقة التي استقرت بها بين الجبلين ، كما أنه ذكر أن لغة الحجاز كانت تستعمل "ذو" لا "ذي" اسماً موصولاً للمفرد بينما الفصحى تستعمل " الذي "(٢) وهذا يدل على أن قبيلة طيىء حافظت على هذا الأصل الذي يمثل مرحلة أولى ضاربة في القدم للاسم الموصول في العربية وقد ساعدها على ذلك شبه العزلة إن صح التعبير حيث أنها قبيلة بدوية سكنت ما بين الجبلين بعد هجرتها من ديارها من اليمن إلى أن استقرت

---

(١) عدة السالك إلى أوضح المسالك ١٥٧/١ . روي سوابق بدل موارق .

(٢) شايم رابين في بحثه " اللهجات العربية الغربية القديمة "، ترجمة عبد الرحمن أيوب ص ٣٥٩ ، وانظر الخريطة رقم " ٢ " .

في تلك المنطقة يضاف إلى ذلك أنها كانت تعتد بفصاحتها فزاد في محافظتها على أصل لغتها .

ثم بعد احتكاكها بغيرها من القبائل المتوغلة في صحارى نجد والحجاز أخذت لغتها نحو التطور فبعد أن كانت الصيغة للموصول في جميع أحواله ، عندها " ذو " استعملت معها " ذات " للمفرد والمؤنثة يقول أحد شراح ألفية ابن مالك : (وألحق بـ " ذو " تاء التأنيث مع بقاء البناء على الضم)(١) . وعلق الصبان على ذلك بقوله : (أي بعد قلب الواو ألفاً ومفاد عبارته أن ذات ليست صيغة مستقلة ؛ بل أصلها " ذو " ومفاد عبارة غيره كالغزي : أنها صيغة مستقلة)(٢).

وفي كلتا الحالتين سواء أكانت صيغة مستقلة أم أصيلة ففيها دلالة على التغيير الذي طرأ على الأصل عند طيء(٣) . وهذا ما ذكره المستشرق رابين من أن صيغة " ذو " مرحلة متقدمة تغيرت إلى " ذي " وأقف هنا لأشير إلى ما ذكر في بحثه من أن الحجاز كانت تستخدم " ذو " لا " ذي " وأن لغة هذيل استخدمت " الذي " فاختلفت بذلك عن لغة طيء واليمن فأقول : هذا لم يثبت أن أصل (الذي) عند الحجاز خاصة (ذو) ثم تطورت إلى الذي في لغتها الفصحى التي نزل بها القرآن إنما ما روي في كتب اللغة والنحو وما تناقله العلماء من نصوص يثبت أنها لغة طيء وحتى صيغة (الذي) التي رأى أنها متطورة عن (ذو)، قالوا أنها

---

(١) شرح الأشموني : ١٦٦/١ .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٦٦/١ .

(٣) انظر بحث د. عبدالله الحسيني البركاتي : " ذو " الطائية بين الإعراب والبناء ، ص ٩٩ ، في رأي له في ذلك بحوث كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، العدد الرابع ١٤٠٧ ، السنة الرابعة .

لغة طيىء أخذت تعامل الموصولة عندهم معاملة المعربة التي بمعنى صاحب التي تأتي بالواو والألف والياء ، ثم نراه يناقض ما قال أنه للحجاز حيث رأى أن لغة هذيل استعملت " الذي " فاختلفت بذلك عن لغة طيىء ولغة اليمن في استخدامها " ذو " فكأنه أخرج بذلك هذيل من أن تكون من قبائل الحجاز وهي التي معظمها يسكن الحجاز ، وهي قبيلة حجازية وكان الأصح إن لم أكن مخطئة فيما أذهب إليه أن تكون هذيل أو بعضها من الذين كانوا يقطنون على طريق القوافل بين اليمن والحجاز هي التي استخدمت صيغة " ذو " من القبائل الحجازية ، ثم أضف إلى ذلك أنها قبيلة جُلُّها بادية عُرفت مساكنها الجبال وفي لغتها ظواهر تتفق وتنسجم مع هذه الظاهرة التي هي من ظواهر لغات القبائل البدوية من ذلك على سبيل المثال استخدامها صيغة جمع المذكر السالم لاسم الموصول عند جمعه فتقول " اللذون " حال الرفع مخالفة بذلك مع غيرها ممن نسبت لهم هذه الظاهرة قبائل عامة العرب . ثم تلت مرحلة بناء الموصول وملازمته حالة واحدة ، مرحلة الإعراب والتصريف وكل ذلك فيه نقلة وتغيير . فاختلاف طبيعة البيئة وظروفها الاجتماعية من بداوة وحضارة له أثره في اختلاف اللغات ، فاللغة عادة اجتماعية تتعرض لذلك ، فبسبب البيئة الجديدة التي أحاطت بهذه القبيلة وظروفها من اضطرار إلى الاتصال بالقبائل المجاورة لها والذي مما لا شك فيه له تأثير(١) حدث هذا التغيير .

بقي أن أشير إلى أن استعمال هذه القبيلة لصيغة (ذو) بالواو لعله يرجع إلى أنها قبيلة بدوية تميل إلى الخشونة في لغة التخاطب واستعمال الصيغة يمثل مظهر من مظاهر هذه الخشونة التي تلمس في نطق البادية ويكثر ذلك عند

---

(١) انظر في علم اللغة ، د. عبد الصبور شاهين ، ص ٢٠٣-٢٠٨-٢٠٩ ، وانظر المحتسب ١/١١٢ .

القبائل التي تسكن المناطق الجبلية ، وقد لوحظ في كثير من الظواهر عند طيئ وغيرها من القبائل التي تسكن بالقرب من الجبال إبدال الياء واواً من مثل ابدالها ياء "حيث" واواً فتقول : "حوث" ومعاملة الاسم الموصول عند الجمع معاملة جمع المذكر السالم تنطقه مجموع بالواو فتقول : اللذون في الرفع ، يقول ابن سيده في المحكم أن العرب يقلبون الواو ياء من غير علة ، كما أن بعض العرب تقلب الياء واواً(١).

وهناك عوامل عدة تتسبب في جذب الإنسان إلى تغيير نطقه كسهولة صوت الحرف الجديد أو رغبة الإنسان فيه واستحساناً في التغيير كما أن لعوامل الزمن أثر في ذلك من ثقافة وحضارة ولكن هذا الإبدال أو القلب عند علماء اللغة العرب مبني على أساس فقد عرف أن إبدال حرف مكان آخر لعلاقة بين هذه الحروف أم في المخارج أو الصفات ، وقد لاحظ هذه الفروق النطقية في اللغة العربية القائم على اختلاف البيئات والظروف الاجتماعية من حضارة وثقافة علماء اللغة العرب ، وظهر ذلك في متون مصنفاتهم ، إذاً فاختلاف البيئات من صحراوية وجبلية وسهلية له أثر في اتجاه نطق القاطنين بها .

---

(١) انظر : ١/١٤٠ ، وانظر البحر : ١/٢٨٢ ، ٤/١٨٤ .

الخاتمة

الخاتمــــة

أحمـدك اللهـم حمـد الشـاكرين ، وأصلي وأسلم على خـاتم الأنبيـاء والمرسلين سيدنا محمد وعلـى آلـه وصحبه أجمعين ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، وبعـد :

فإنه من فضل الله تعالى عليَّ أن وفقني لإتمام هذا البحث الذي اشتمل على الجانب النحوي من اللغات العربية القديمة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، وفيما يلي إجمال لما اشتمل عليه هذا التفسير :

١ - يزخر تفسير البحر المحيط بذكر لغات العرب على كثرتهاواختلافها فلا يكاد يخلو تفسير آية من إيراد لغة ، فقد دأب أبو حيان عند تفسيره لآيات القرآن الكريم على إيراد لغات القبائل مهما تنوعت وعزوها إلى أصحابها وخاصة ما اشتهر منها بالفصاحة والبيان وأولهما لغة أهل الحجاز ، ولغة بني تميم ، لكونهما تمثلان أغلب اللغات التي اعتد بها النحاة وشهدوا بفصاحتها فعليها قعدوا القواعد وبنوا على ظواهر أقيستهم . وقد اتضحت معالم هاتين اللغتين في كثير من الظواهر اللغوية . وقد كان لعلماء اللغة والنحو النظر الثاقب في ملاحظتهم لأوجه الاختلاف والنسبة بين لغتي الحجاز وتميم فدونوا ما لاحظوه من فروق بين تلك اللغتين ، نجد كل ذلك مبثوثاً في متون مصنفاتهم للغة والنحو والتفسير وكتب إعراب القرآن . وأظهر مثال لذلك ما لاحظوه : الفرق في عمل " ما " والتي عرفت في كتب النحو بـ "ما " الحجازية ، و " ما " التميمية ؛ فقد رأى علماء اللغة اتفاق كل من اللغة التميمية والحجازية في هذه الظاهرة في النفي . فـ " ما " في كلتا اللغتين تفيد النفي واختلافهما في العمل ، فاللغة الحجازية تعملها برفع الاسم ونصب الخبر ، والتميمية تهملها .

فلو نظرنا إلى مصنفات أبي حيان وأولها تفسير البحر ، لوجدنا أنه يكثر

من الاستشهاد بهاتين اللغتين ، فكثيراً ما يعزو إليهما ، فهما موئل الفصاحة عنده حيث يشير إلى ما اتفق عليه من الظواهر اللغوية بين قبائل الحجاز عامة أو بين قبائل تميم عامة ،كإشارته إلى إعمال " ما " في لغة الحجاز ، ولغة تميم ؛ فنراه يعزو الإعمال للحجاز عامة والإهمال لتميم عامة . كما أنه لا يغفل ذكر الاختلاف بين قبائل الحجاز خاصة وكذا الاختلاف بين قبائل تميم فمثلاً يذكر هذيلاً تخالف معظم قبائل الحجاز، أو عقيلاً ، أو كنانة ، أو بني العنبر ، فلا يقل إهتمام بذكر إنفراد قبيلة بظاهرة معينة عن ذكر العزو للحجاز وتميم بصفة عامة ، ومشاركة قبيلة لأخرى في ظاهره بسبب التجاور مثل قبائل قيس وتميم .

٢ – لغات العرب عند أبي حيان كلها مأخوذ بها ، فما ثبت يجب الأخذ به بشرط أن يكون كثيراً فهو في ذلك متأثراً بمذهب الكوفة في الأخذ بالمسموع ولكن لا يتوسع كتوسع الكوفيين إنما يقيس على الكثير المشهور وكان يرى لغة الحجاز وقريش خاصة هي الفصحى فقد نزل القرآن بها فجلّ ما فيه من لغة قريش إلا يسير من لغة غيرهم(١) . ولا يفضل عليها لغة من لغات العرب ويختارها إذا وردت لغات مختلفة وينعتها بالجيدة الفصيحة وغيرها مأخوذ بها لأنه مسموع ، يقول في البحر :(..."الصراط"(٢) بالصاد لغة قريش وهي الجيدة وعامة العرب يجعلونها سيناً والزاي لغة لعذرة وكعب وبني القين ... ولست أدفع أنه من كلام العرب الفصحاء إلا أن الصاد أفصح)(٣)،ويقول :(كل ما كان لغةٌ قيس عليه)(٤) .

فهنا يظهر اهتمامه بذكر الصفات وإن كانت غير لغة قريش ، فهو لا يقيس على اللغة النادرة القليلة ، ولا يبني عليها قاعدة نحوية ، وإنما توضع القواعد

---

(١) انظر البحر : ٣٣٢/٨ .

(٢) من قراءة قوله تعالى ﴿الصراط المستقيم﴾الفاتحة:٥ .

(٣) البحر : ٢٥/١ ، ٢٨٩ ، ٣٣٢/٨ ، ٣٣٣ ، النهر الماد ١٥٠/٢.

(٤) المزهر للسيوطي ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

على الفصحى وما يقاربها من لغات العرب في الفصاحة مع نظرته لجميع لغات العرب أنها تأخذ بها ، ومذهبه ليس كل ما سمع من كلام العرب يقاس عليه ، فليست القبائل على درجة واحدة من الفصاحة ، لذا نجده لا يقيس أو يبني قاعدة على ما ورد فيه من كلام العرب شاهد أو شاهدان ، بل على الكثير المعروف .

٣ - الناظر في تفسيره يرى الأمثلة الكثيرة على القراءات القرآنية السبعة المتواترة والشاذة التي نص عليها أبو حيان في تفسيره لكل آية فلا يدع آية اختلف في قراءتها إلا ذكر أوجه الاختلاف عند القراء مع نسبة القراءة إلى قارئها، فهو يذكر ذلك ويقيس على السبعة المتواترة مما صح سنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونراه لا يفاضل بين القراءات ولا يرد قراءة قارىء لأنها سنة متبعة يلزم تقبلها والاستشهاد بها واعتمادها في إثبات القواعد أو رفضها .

فكل قراءة عنده مقبولة وإن وردت على لغة قبيلة قليلة الفصاحة لم يعتد بها ذلك أن القراء ثقات عدول والقراءة ليست اجتهاداً من القارىء حتى تقبل أو ترفض نقل متواتر عن النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم ، والاختلاف بين القراءات إختلاف تعدد وتنوع لا إختلاف تضاد وتناقض لأن القرآن من عند الله فيبنى القواعد عن المتواترة منها لصحة سندها ، أما غير المتواترة فلا يبنى عليها لكنه لا يردها وينكر على من رد بعض القراءات ، بل دافع دفاعاً يذكر له في الرد على بعض من أنكر قراءات بعض القراء لمخالفتها القواعد النحوية وتفسيره البحر زاخراً بالردود على منكرين قراءة بعض القراء وكثيراً ما كان يوجه القراءات بتوجيهات تدل على فكره النافذ وبراعته في حملها على أفصح الوجوه في العربية ، فالبحر المحيط من كتب التفسير التي تكثر فيها وجوه القراءات المختلفة ، أتي بها للاستدلال والتأييد للقواعد أو للرد على من يخالف قراءة قارىء كما يكثر فيه أسماء القراء على كثرتهم(١) .

---

(١) انظر منهج أبي حيان (موقفه من الاستشهاد بالقراءات) في هذا البحث ، وانظر البحر : ٢١٧/٦ .

٤ - كان يهتم بالاستدلال والاستشهاد على لغات العرب بشعر الشعراء المشهورين ويحتج لتاذي استشهد النحاة البصريون بشعرهم وهم شعراء الطبقات الثلاث الأولى الجاهلية ، وعصر صدر الاسلام ، والعصر الأموي .

٥ - اهتم بإيراد مذاهب النحاة والتعليق والرد عليها بآراء يميل لها من آراء غيره أمثال الخليل وسيبويه مما يعتمد آراءهم أو بآراء منفردة له .

ولقد اتضح من دراستي النتائج التالية :

أولاً - أن الناظر في لغات العرب الواردة في القرآن الكريم يلحظ شمول هذا الكتاب العظيم المعجز لمعظم تلك اللغات ، سواء كان ذلك في ناحية الإعراب ، أو الصيغ والمعاني ، والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ ولعل من أظهرها مجيء "ما" النافية بلغتي الحجاز وتميم كما هو في قوله تعالى ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾(١). فقد وردت بلغة الحجاز فنصبت الاسم الثاني ، كما وردت بلغة تميم في قوله تعالى ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾(٢) في قراءة من قرأ برفع الاسم الثاني . وقوله تعالى ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾(٣) حيث خرجها النحاة على أنها جاءت على لغة " أكلوني البراغيث " ، وهذه لغة معروفة عند أزد شنوءة وعقيل وطيىء .

فالعربية التي نزل بها القرآن والتي نعتت بالفصحى لم تكن لغة قبيلة بينها ، فهي لغة نموذجية مشتركة من لغات العرب المختلفة التي اعتد النحاة بها واعتمدوا عليها أثناء تدوينهم لها ، وقليلاً ما يذكر أبو حيان لفظ قريش يطلقه ويعتني به لغة لعينها ، وهذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك أن لغة القرآن شاملة حوت معظم لغات العرب الحجازية والتميمية .

---

(١) يوسف : ٣١ .

(٢) المجادلة : ٢ .

(٣) الأنبياء : ٣ .

ثانيا - لوحظ ميل اللغات البدوية كتميم وأسد وبعض قيس وبعض هذيل بصفة عامة إلى التفخيم في جميع ظواهر لغاتها واستعمال الحروف المهيئة له الممثلة بما ينسجم مع طبيعة الأداء البدوي مثل الواو، والضمة ، والتشديد، مع ميلها أحياناً إلى التخفيف والحذف وإبدال حرف مكان حرف آخر متجانس معه. ولعل في المثال التالي(١) ما يوضح ذلك ، فتميم - وهي قبيلة بدوية - ترفع الخبر الواقع بعد " ما " النافية ، أما القبائل الحجازية ومعظمها حاضرة نصبت هذا الاسم ، فقبائل الحجاز خالطتها الحضارة نوعاً ما بحكم مجاورتها للبيت الحرام ومرور قاصدي الحج بأراضيها ، وبحكم التجارة ، مما كان له أكبر الأثر على لغات بعض قبائلها . أما القبائل البدوية - كما هو معروف عنها - في طباعهم الميل إلى الشدة والقوة والاعتداد بالنفس ، فميلهم إلى استعمال الحركات والأحرف التي تحقق لها ذلك ، أو بعبارة أدق هناك توافق وانسجام بين طبعهم هذا وبين الرفع وحركاته الدالة عليه ، وهذا في الأغلب ، فالعلاقة بين الحركة الإعرابية والمعنى أو الصيغة علاقة وطيدة ، فالعلامة الإعرابية قرينة تدل على وقوع الكلمة في الجملة إن كانت فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه(٢).

ثالثا - كثيراً ما تتفق لغات القبائل في ظاهرة لغوية والاختلاف قليل، فيدل ذلك على أن اللغات العربية ليس بينها تباين إلا يسير ، بل هو نادر ، وأكثر ما يكون في الأصوات والبنية والدلالة . وهذا الاختلاف أسبابه اختلاف البيئة الجغرافية للغة وظروف الحياة الاجتماعية ، وكان نتيجة لذلك أن أخذت نواحي في اللغة في التطور بشكل أسرع من نواحي أخرى ؛ فناحية الدلالة والأصوات والبنية

---

(١) الأمثلة على ميل التميمية كثيرة ، انظر باب التراكيب ١١١ وفصل الإعراب بالحروف ٢٢٢ من هذا البحث ، وانظر البحر : ٤٠٥/٨ ، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ص ٥٠ ، وانظر الكتاب ١٨٤/٤ - ١٨٦ . .

(٢) انظر ما رآه الدكتور أحمد علم الدين الجندي (اللهجات في التراث) ٤٠٣/١، وانظر المحتسب ١٣٩/٢ .

أسرع إذا ما قُورنت بالنواحي المتعلقة بالإعراب والتراكيب وعامل التطور ، هذا أمر طبيعي مسلم به ، إضافة إلى ذلك أن الرقعة الجغرافية التي عليها سكنى القبائل العربية المتعارف عليها التي انتشروا فيها يحول دون محافظة أصحاب تلك اللغات على وحدة لغاتهم إلا ما ندر ، فنتج الاختلاف بينها ، ثم البطء في تطور الناحية النحوية ، كما لاحظ ذلك كثير من الباحثين ، جعل العربية تحافظ على الإعراب الذي هو ميزة لها دون أخواتها الساميات . وهذه منّة الله وفضله إذ حفظ لهذه اللغة أرقى سماتها والذي به تُميز المعاني . فحاجة العربي إلى الإعراب في كلامه حاجة ماسة جداً ، خاصة بعدما فسدت الطبائع العربية وتفشى اللحن بسبب اختلاط أمة العرب بغيرها من الأمم الأعجمية ، فلا يستقيم معنىً ، ولا يفهم غرض المتكلم إلا بالإعراب الذي تمثله الحركات . وقد فطن لأهميته علماء العربية القدامى أمثال أبي الأسود الدؤلي ، والخليل وسيبويه، والكسائي، وابن فارس، وابن جني، وكانوا يحرصون على السماع من الأعراب الخلص ويمتحنون فصاحة هؤلاء الأعراب بإلقاء الإعراب الغلط عليهم ، فإن قبلوه ، لم يستشهدوا بكلامهم ، وإذا ردوه أخذوا عنهم ؛ والروايات على ذلك كثيرة متناثرة في كتب اللغة ، فالإعراب سمة من سمات الفصحى التي لا يمكن لها التخلي عنه ، فهو أقوى عناصر اللغة وأبرزها ، بل هو سر جمال لغة العرب ، وضوابطه وقواعده ، هي التي تقي من الزلل بعد أن فسدت السليقة العربية باختلاط العرب بالأعاجم .

من هنا يظهر سر تمسك اللغة بالإعراب ، ومن ثم ترتب عليه عدم تقبل التغيير في قواعده وضوابطه ، مما أدى إلى بطء تطور النواحي النحوية ، فالعربية لغة الإبانة والإفصاح ، والإعراب هو المؤدي لذلك .

رابعاً – ظهر كثرة تنوين بعض الألفاظ عند بعض العرب ، وظهر هذا في لغات تميم ، ونجد عامة ، وأسد ، وكنانة ، مثل تنوين لفظ (تترى ، وزكريا ، وقبل ، وبعد ، ويوم) كما لوحظ الميل أحياناً إلى تخفيفه، التنوين. فالأول يناسب لغات

البدو ، والثاني يناسب لغات الحضر ومن جاورهم ، فلجوء العرب إلى التنوين إذاً ضرب من الخفة ، والميل إلى الإسراع في الأداء ، يقول سيبويه :(فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم ، وتركه علامة بما يستثقلون)(١) . وتركه فيه استثقال في النطق وتأني ، فتارة نراهم يمنع الاسم من الصرف وهو منعه من التنوين ، وتارة يصرفونه . كما وجدوا طريق الأداء الأيسر والأسهل أن كانوا مما جبلوا على السرعة في النطق واعتادوا عليها لجئوا لما يسعفهم في ذلك من ترك التنوين أو النطق به . ثم أنه عرف أن التنوين لا يلحق إلا النكرة ، والاسم إذا نكر زالت عنه علة من علل منعه الصرف خاصة إذا كان مع التعريف علة أخرى ، بمعنى أنه لا بد أن تقوم فيه علتان لمنعه الصرف ، أي عدم تنوينه(٢) . والتنوين أخف وأبين وأظهر ، وهذا كما ذكرت أولاً سمة القبائل البدوية تحرص على الأبين والأظهر بما يتفق مع سرعتها في الأداء . فمن هنا يظهر لنا الاختلاف بين لغات : البدو والحاضرة

خامساً - كما لوحظ ميل البادية إلى القصر في الاسماء أحياناً إذا كان يؤدي اللفظ المعنى بجهد ووردت أقل من النطق بالاسم ممدوداً فنجده عندهم أحياناً وعند أهل الحضر أحياناً أخرى . ولا نغفل هنا تأثر لغات العرب ببعضها البعض لتقارب المسكن أحياناً أو الاضطرار للاختلاط ببعضهم البعض أحياناً أخرى .

سادساً - ومما ظهر بكثرة جعل آخر بعض الألفاظ مبني على الضم مثل : " منذ " و " مذ " و " حيث " و " قبل " و " بعد " في قراءة الجمهور بضمها وما أشبهها من أسماء الجهات " تحت " و " أول " ، ومنه " يوم " إذ جاء منوناً أحياناً ، وأحياناً مبني على الضم . فالتنوين دل على الإعراب أو البناء على الواو

---

(١) الكتاب : ٢٢/١ ، ت : عبد السلام هارون .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش : ٣٩٧/٢ .

مثل " ذو " الطائية . فالبناء هو الغالب في الظروف المضافة إلى جمل ، وخاصة البناء على الضم . ولعل ذلك جاء لضرب من الخفة ، يقول ابن فارس :(أن بعض المبنيات قد كانت معربة ثم ألزمها العرب طريقة واحدة لما كثر استعمالها لتكون أخف على اللسان وأسهل في التداول)(١) . والدليل على ذلك أن هذه الألفاظ المبنية وجدت عند بعض العرب معربة ، فالضم أثقل الحركات وأولها(٢) ، فبناء الضم أكثر انسجاماً مع جنوح القبائل المتبدية للتفخيم وليس هذا بحتمي ، فالجنوح إلى ألفاظ التفخيم أو الترقيق إلى الميل إلى الحذف أو التحقيق والتوضيح أو الرفع ، أو النصب ، أو الكسر ، تعمد إليها العرب على اختلاف طبيعتهم في الأداء . فالسرعة وخطف الكلام وحذف بعض الحركات والحروف فحين تتأتى السرعة مع حرف من الحروف ، وإن كان هذا الحرف يمثل التثقيل أو التفخيم تأتي به إذا كان أسهل وأيسر . ولوحظ – وليس بكثير – أن البادية إذا حذفت . فيكون حرفاً أو حركة أو جملة بأكملها كحذف نون المثنى وحذف خبر لا النافية للجنس . أما الحضر ، فلرغبتهم في توضيح النطق والتأني في الأداء لا نجد عندهم – في أحيان كثيرة – حذف حرف .

وبعد ، فاللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، لك الحمد في الأولى والآخرة وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،،،

---

(١) الخصائص ٢/٤١ .

(٢) انظر ابن يعيش ، شرح المفصل : ٣/٨٦ .

الفهـــارس

ا - فهرس الشواهد القرآنية

٢ - فهرس شواهد القراءات القرآنية

الآيـــة	الآيـة	الصفحة
(الفاتحـة)		
(الحمد لله رب العالمين)	١	١٨٩
قرأ بضم الدال وإتباع اللام حركة الدال		
(صراطالذين أنعمت عليهم)	٦	٩٠
قرأ بتخفيف اللام من « الذين »		
(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)	٧	٣٤
قرأ بابدال الإلف في « الضالين » همزة		
(البقـرة)		
(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)	٦	٩٦و٩٧
قـرأ بتـحـقـيق الهـمـزة ، وقـرأ بتـحـقـيق الأولى وتسهيل الثانية وقرأ بإدخال ألف بينهما		
(إذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم)	١٤	٢٨٦
قرأ بتحريك العين وقريء بالتسكين		
(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا)	٣٤	٩٧
قرأ بضم الفاء اتباعاً لحركةالجيم		
(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)	١٧	٢٤٤
قرأ « الذي » على الجمع		
(لمن أراد أن يتم الرضاعة)	٢٣٣	١٤٧و١٤٩
قرأ « أن يتم » برفع الميم		
(قل هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا)	٢٤٦	١٥٢
قرأ بإلحاق الضمائر بعسى وتجردها		

(يونس)		
(هو الذي يسيركم في البر والبحر)	٢٢	١١
قرأ « ينشركم »		
(ما هذا بشراً)	٣١	١١١
قرئ برفع « بشر »		
(النحل)		
(لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون)	٢٣	١٤٢
قرئ بكسر همزة إن على الاستئناف		
(الكهف)		
(كلتا الجنتين آتت أكلها)	٣٣	٢٣١
قرأ « كلا الجنتين » بصيغة التذكير		
(أما الغلام فكان أبواه مؤمنين)	٨	٢٢٥
قرأ مؤمنان بالرفع		
(طه)		
(إن هذان لساحران)	٦٣	٢٢٢
قرئ « هذين » بالياء		
(الأنبياء)		
(هذا ذكر من معي وذكر من قبلي)	٢٤	٢٨٦
قرأ « ذكر » منوناً والميم من « من » مكسورة		
(المؤمنون)		
(ثم أرسلنا رسلنا تترى)	٤٤	٢١٢
قرئ « تترى » منونا وقرئ بغير تنوين		
(الشعراء)		
(وتنزلت به الشياطين)	٢١	٢٦٠
وقرئ « الشياطون »		

(القصص)

(إحدى ابنتي هاتين)	٢٦	٢٣٥
قرئ بالتشديد		
(لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)	٢٩	١٢
قرأ « جِذوة » بالكسر و جَذوة » بالفتح		

(الـروم)

(غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين للّ الأمر من قبل ومن بعد)	٢-٣-٤	٢٧٥
قرئ « من قبلُ ومن بعدُ » بضمهما وقرئ بالكسر والتنوين		
(الذي أنزل إليك من ربك هو الحق)	٦	١٩٣
قرأ « الحق » بالنصب ، وقرئ بالرفع		
(تأكل منسأته)	١٤	٣٤
قرئ بألف بعد السين		

(فصلت)

(ربنا أرنا اللذين أضلانا)	٢٩	٢٣٥
قرئ بتشديد نون « اللذين » وقرئ بتخفيفها		

(الزخرف)

(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)	٧٦	١٩٢
قرأ « ولكن هم الظالمون »		

(الحجرات)

(لا يسخر قوم منْ قوم عسى أن يكونوا خيراً

منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن)	١١	١٥٢و١٥٤
قرئ « عسوا » و « عسين »		
(الرحمن)		
(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)	٣٩	١٠٢
قرئ « ولا جأن » بالهمز		
(المجادلة)		
(ما هنَّ أمهاتهم)	٢	١١٥
قرئ « أمهاتهم » بالرفع وبالنصب		
(نوح)		
(إنَّا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا)	٢٣	٢١٨
قرئ « سلاسلا » بالتنوين وصلاً بالألف وقرئ بدون تنوين وقفاً على الألف		
(لا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق ونسراً)	٢٣	٢٢٠
قرئ « يغوث ويعوق » بغير تنوين وقرئ بالتنوين		
(المزمل)		
(وأقرضوا الله قرضاً حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا)	٢	١٩٢
قرئ « هو خير وأعظم أجرا » بنصبهما		
(القيامة)		
(فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)	٣٩	٢٢٦
قرئ « الزوجان » بالألف		

(الليـل)

(وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى)	١٩	١٧٦
قرئ بنصب الهمزة في قوله « ابتغاء » وقرئ برفعها		

(العلق)

(أن رآه استغنى)	٧	١٦
قرأ بالألف بعدالهمز وبحذف الألف		

(الشرح)

(فإن مع العسريسرا إن مع العسريسرا)	٥–٦	٢٩١
قرئ بفتح العين		

٣ - فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
« أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعةأحرف »	١١
« أنزل القرآن على سبعة أحرف »	١٢
« إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف »	١٤- ٢٢٨-٢٢٩
« أنزل القرآن بسبع لغات كلها شاف »	١١٤
« لا أحد أغير من الله »	١٤٠
« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار »	١٦٣
« لا وتران في ليلة »	٢٣٢
« اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف »	٢٥٨

٤ - فهرس الأشعار

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

أنصاف أبيات

فهرس النثـر - أقوال العرب

٥ - فهرس لغات القبائل العربية وبطونها وفصائلها :

(أ)

(ب)

(ت)

(ح)

٦ - فهرس القبائل والجماعات

(أ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

٧ - فهرس الأماكن والبلدان

٨ - فهرس الأعلام :

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

٩ - فهرس المصادر والمراجع

أولاً - المخطوطات :

- التذييل والتكمل ،
لأبي حيان ، مخطوط مصورة بمركز البحث العلمي بمكة المكرمة .

ثانياً - المطبوعات :

١ - الإبانة عن معاني القراءات القرآنية ،
لمكي بن أبي طالب حموش القيسي ، ت : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي
القاهرة ، مطبعة نهضة مصر .

٢ - الإتقان في علوم القرآن ،
للسيوطي ، جزءان ، مطبعة حجازي .

٣ - إرتشاف الضرب من لسان العرب ،
لأبي حيان الأندلسي ، ت : د. مصطفى أحمد النحاس ، ٣ أجزاء ،
مطبعة النسر الذهبي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤ - الأدب الشعبي في الحجاز ،
عاتق غيث البلادي ، مكتبة دار البيان ، الطبعة الأولى ، دمشق ،
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

٥ - أساس البلاغة ،
لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، جزءان ،الطبعة الثانية ،
مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٢م .

٦ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ،
لابن خالويه ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة .

٧ - إعراب القرآن ،

لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ، ٥ أجزاء ، المدينة المنورة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٨ - الأعلام،

لخير الدين الزركلي ، دار الملايين بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م .

٩ - الأغاني ،

لأبي فرج الزصفهاني ، ت : عبدالستار أحمد فراج ،

دار الثقافة بيروت ١٩٥٥م

١٠ - الأصمعيات ،

اختيار عبدالملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي ، ت : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر، التاريخ (بدون) .

١١ - الاقتراح في علم أصول النحو ،

لجلال الدين السيوطي ، ت : د . أحمد محمود قاسم ، الطبعة الأولى مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

١٢ - الأمالي الشجرية ،

لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزةالعلوي المعروف بابن الشجري جزءان ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، تاريخ (بدون).

١٣ - إنباه الرواة على أنباه النحاة ،

لجمال الدين أبي الحسن بن يوسف القفطي ، ت : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مؤسسة الكتب الثقافية ط : أولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ٤ أجزاء .

١٤ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،

لعبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ،

ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

١٥ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،
لإبن هشام الأنصاري ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، ٥ أجزاء، الطبعة الخامسة ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
١٦ –البرهان في علوم القرآن ،
لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، ت : محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ، ٤ أجزاء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
١٧ – بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ،
لجلال الدين السيوطي ، ت : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية جزءان ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
١٨ – بلاد العرب ،
للحسن بن عبدالله الأصفهاني ، ت : حمد الجاسر ، و د. صالح العلي الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر ، الرياض ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .
١٩ – تاريخ ابن خلدون ،
المسمى (العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، ٧ أجزاء ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
٢٠ – التبصرة في القراءات ،
لأبي محمد بن مكي بن أبي طالب القيسي ، الطبعة الأولى ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، ت : د. محي الدين رمضان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٢١ – التبصرة والتذكرة ،
لأبي محمد بن عبدالله بن علي بن إسحاق الصيمري ، ت : د. فتحي أحمد مصفى عليّ الدين ، الطبعة الأولى ، مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الاسلامي ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٢ - التبيان في تصريف الأسماء ،

د . أحمد حسن كحيل ، مطبعة السعادة ط : ٤ ، ١٣٩٠ هـ .

٢٣ - تهذيب اللغة ،

لأبي منصور الأزهري ، ت : عبدالسلام هارون - محمد النجار ،

المؤسسة العربية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف

١٣٨٤هـ .

٢٤ - جمهرة أنساب العرب ،

لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، الطبعة

الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٥ - جمهرة اللغة ،

لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف

العثمانية بحيدر آباد ، ١٣٥١هـ .

٢٦ - الجنى الداني في حروف المعاني ،

الحسن بن قاسم المُرادي ، ت : د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد

نديم فاضل ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت،

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٢٧ - الحجة في القراءات ،

لأبي عبدالله الحسن بن أحمد المعروف بابن خالويه ، ت : د.عبدالعال

سالم مكرم ، دار الشروق - بيروت ، ١٩٧١م .

٢٨ - الحجة في علل القراءات السبع ،

لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، ت : علي النجدي ناصف ،

و د. عبد الحليم النجار ، و د. عبد الفتاح شلبي ، ٢ أجزاء ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٩ - حاشية الصبان على شرح الأشموني ،
محمد بن علي الصبان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٣٠ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح الكافية للرضي ،
لعبد القادر البغدادي ، دار صادر بيروت .
٣١ - الخصائص ،
لأبي الفتح بن جني ، ت : محمد علي النجار ، طبعة ثانية ،
دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ، لبنان .
٣٢ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ،
لشهاب الدين العسقلاني ، ت : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة .
٣٣ - دلائل الإعجاز في علم المعاني ،
الامام عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،
لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٣٤ - ديوان جميل ،
ت : الصاوي ١٣٥٢هـ ، و ت : نعمان محمد أمين طه ، ط : ثالثة ، دار المعارف .
٣٥ - ديوان جميل بن معمر ،
ت : د . حسين نصار ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة .
٣٦ - ديوان الفرزدق ،
شرح الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٣٧ - سر صناعة الإعراب ،
لأبي الفتح عثمان بن جني ، ت : د. حسن هنداوي ، الطبعة الأولى ،
جزءان ، دار القلم - دمشق ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لأبي الفلاح بن العماد الحنبلي ، دار الفكر .

٣٨ – شذور الذهب في معرفة كلام العرب مع شرح الشذور ،
لإبن هشام ، دار الفكر .
٣٩ – شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي
الهمداني المصري ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، جزءان ،
الطبعة الثانية .
٤٠ – شرح الأشموني لألفية ابن مالك ،
ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة
الثامنة ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٢٦ م .
٤١ – شرح التسهيل لابن مالك ،
ت : د . عبد الرحمن السيد ، مطابع سجل العرب .
٤٢ – شرح التصريح على التوضيح ،
للشيخ خالد الأزهري ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
٤٣ – شرح جمل الزجاجي ،
لابن عصفور الاشبيلي ، ت : د ، صاحب أبو جناح ، جزءان .
٤٤ شرح ديوان امرؤ القيس ،
دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م .
٤٥ – شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ،
لجمال الدين ابن هشام الأنصاري المصري ، ت : محمد محي الدين
عبد الحميد ، دار الفكر .
٤٦ – شرح شواهد المغني للسيوطي ،
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٤٧ – شرح قطر الندى وبل الصدى مع قطر الندى ،
جمال الدين بن هشام الأنصاري ، منشورات المكتبة العصرية –
بيروت .

٤٨ – شرح المفصل ،

لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، ١٠ أجزاء ، عالم الكتاب بيروت ،

٤٩ – شرح الكافية الشافية ،

لابن مالك جمال الدين أبي عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مالك الطائي

ت : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، ٤ أجزاء ،

مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي . كلية الشريعة ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة .

٥٠ – شرح الكافية ،

للرضي الاسترابادي ، اسطنبول ١٢٧٥هـ .

٥١ – شفاء العليل في إيضاح التسهيل ،

لأبي عبدالله محمد بن عيسى السلسيلي ، ت : عبدالله علي الحسيني البركاتي ، الطبعة الأولى ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ،

١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٥٢ – صبح الأعشى في صناعة الانشا ،

للقلقشندي ، دار اللكتب ١٣٤٠هـ – ١٩٩٢ .

٥٣ – الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،

لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : السيد أحمد صقر ،

مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، تاريخ (بدون) .

٥٤ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،

لاسماعيل بن حماد الجوهري ، ت : أحمد عبد الغفور عطار ،

الطبعة الأولى ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ١٣٧٦هـ .

٥٥ – صحيح البخاري ،

دار الفكر ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٥٦ - صفة جزيرة العرب ،
لأبي محمد الهمداني ، ت : محمد بن بليهد النجدي ،
مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٢ هـ .
٥٧ - طبقات الشافعية ،
لأبي بكر أحمد بن محمد تقي الدين الدمشقي ، تعليق د . الحافظ عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ .
٥٨ - طبقات فحول الشعراء ،
لابن سلام الجمحي ، شرح محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة .
٥٩ - الطبقات الكبرى ،
لابن سعد ، ت : محمد عبد القادر عطا ، ط : أولى ، ٩ أجزاء ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ .
٦٠ - طبقات النحويين واللغويين ،
لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ط : ثانية ١٩٨٤م .
٦١ - عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك مع أوضح المسالك إلى
إلى ألفية ابن مالك ، ت : لمحمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الجيل بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
٦٢ - علم اللغة ،
د . علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الخامسة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
٦٣ - غاية النهاية في طبقات القراء ،
لشمس الدين بن أبي الخير بن الجزري ، نشره : ج . برج . شتراس ، الطبعة الأولى ، جزءان ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .

٦٤ – فصول في فقه العربية ،

رمضان عبد التواب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٦٥ – في علم اللغة العام ،

د . عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الرابعة ،

١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م .

٦٦ – في اللهجات العربية ،

د. ابراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٦٧ – الفهرست ،

لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

٦٨ – القراءات واللهجات ،

عبد الوهاب حمودة ، طبعة أولى ، مطبعة السعادة ١٣٦٨ هـ .

٦٩ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ،

للقلقشندي ، ت : ابراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة ، ط : أولى ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

٧٠ – الكامل في اللغة والأدب ،

أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، جزءان ،

مكتبة المنارات – بيروت .

٧١ – كتاب الإقناع في القراءات السبع ،

لأبي جعفر أحمد بن خلف الأنصاري الباذش ، ت : د. عبدالمجيد قطامش ، جزءان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر – دمشق ،١٤٠٣هـ .

٧٢ – الكتاب لسيبويه ،

أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ت : عبد السلام هارون ، عالم الكتب، بيروت .

٧٣ – الكشاف في وجوه التأويل ،

لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ومعه حاشية الجرجاني وكتاب الانتصاف لابن المنير الاسكندري ، ٤ أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت – لبنان .

٧٤ – الكواكب الدرية على شرح متممة الاجرومية ،

للرعيني الشهير بالخطاب للشيخ محمد بن الاهدل ، دار الكتب العلمية بيروت، جزءان .

٧٥ – لسان العرب ،

لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ . طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٧٦ – اللهجات العربية الغربية ،

شايم رابين ، ترجمة عبد الرحمن أيوب . مكتبة ذات السلاسل .

٧٧ – اللهجات في التراث ،

د . أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٨٣م.

٧٨ – اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،

عبده الراجحي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .

٧٩ – لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ،

لغالب فاضل المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالجمهورية العراقية .

٨٠ – ما يجوز للشاعر في الضرورة ،

للقزاز القيرواني ، ت : د . رمضان عبد التواب و د . صلاح الدين الهادي ، دار العروبة بالكويت .

٨١ – مجالس ثعلب ،

لأبي الفضل أحمد بن يحيى بن ثعلب ، ت : عبد السلام هارون ، جزءان ، دار المعارف بمصر

٨٢ – مجمع الأمثال ،

لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ط : الثالثة ، ١٣٧٣هـ – ١٩٧٢م .

٨٣ – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،

لأبي الفتح ابن جني ، ت : علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار ، و د . عبد الفتاح شلبي ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩ م .

٨٤ – المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ،

لابن سيده ، ت : مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط : أولى ١٩٥٨ .

٨٥ – المخصص ،

لأبي الحسن علي بن إسحاق النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، ت : لجنة إحياء التراث العربي ، ط : الأولى ١٣١٦هـ ، ٧ أجزاء ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت

٨٦ – المدارس النحوية ،

د. شوقي ضيف – دار المعرف ، الطبعة الرابعة .

٨٧ – المزهر في علوم اللغة ،

لجلال الدين السيوطي ، ت : محمد أبو الفضل ابراهيم ، وزميله البابي الحلبي ، جزءان ، تاريخ (بدون) . ت : محمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط : ٤ ، ١٣٧٨ هـ .

٨٨ – المساعد على تسهيل الفوائد ،

لابن عقيل، ت : د . محمد كامل بركات ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٠ هـ .

٨٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للفيومي ، المطبعة الأميرية ، الطبعة الثالثة ١٩١٢ م .

٩٠ - معاني القرآن ،

لأبي زكريا الفراء ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٩١ - معجم البلدان ،

لشهاب الدين ياقوت الحموي ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ .

٩٢ - المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ،

للشيخ محمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ٢ أجزاء ، الرياض . بدون تاريخ .

٩٣ - معجم شواهد العربية ،

لعبدالسلام هارون ، ط : أولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، مكتبة الخانجي مصر ، جزءان .

٩٤ - معجم قبائل الحجاز ،

لعاتق غيث البلادي ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

٩٥ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،

لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، خمسة أجزاء ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٩٦ - المعجم الكامل في لهجات الفصحى ،

د : داود سلوم ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م

٩٧ - معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع ،

للبكري ، ت : مصطفى السقا ، الطبعة : الأولى ١٣٦٢هـ ، ٤ أجزاء ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،

٩٨ - معجم مصنفات القرآن الكريم ،

د . علي شواخ إسحاق ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، الرياض طبعة : أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، جزءان .

٩٩ - معجم مقاييس اللغة ،
أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام هارون ، ٦ أجزاء ،
دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
١٠٠ - معجم اليمامة ،
لعبد الله بن خميس ، الطبعة الأولى ، جزءان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٠١ - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ،
لجمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، ط : ثانية ، دار الفكر ٢ جزء .
١٠٢ - المقتضب ،
لأبي العباس محمد بن المبرد ، ت : محمد عبد الخالق عضيمة ،
٤ أجزاء ، عالم الكتب - بيروت .
١٠٣ - المنتخب في ذكر قبائل العرب ،
عبد الرحمن المغيري ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر .
١٠٤ - منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، (على حاشية شرح شذور الذهب) ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
١٠٥ - منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ،
لمحمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة ثانية .
١٠٦ - منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ،
لأبي حيان ، ت : سدني جلبرز نيوهامن ، ١٩٤٧ م .
١٠٧ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،
لأبي البركات عبد الرحمن ابن الأنباري ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة للطباعة والنشر مصر ، الفجالة القاهرة .
١٠٨ - النشر في القراءات العشر،
لابن الجزري ، مكتبة القاهرة .

١٠٩ - نفح الطيب ،

للمقري ، ت : د . إحسان عباس ١٩٦٨م .

١١٠ - النكت الحسان في شرح غاية الإحسان ،

لأبي حيان ، ت : د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ .

١١١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،

للقلقشندي ، ت : ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١١٢ - نوادر اللغة ،

لأبي زيد الأنصاري ، ت : د. محمد عبد القادر أحمد ، طبعة أولى،

دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١١٣ - همع الهوامع وشرح جمع الجوامع ،

لجلال الدين السيوطي ، ت : د . عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث

العلمية ، الكويت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١١٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،

لأبي العباس المشهور بابن خلكان ، ت : د . إحسان عباس ، دار صادر ،

بيروت .

ثالثاً - البحوث والرسائل :

١ - أبرز خصائص لغات هذيل ،

د. عبد الرحمن اسماعيل - مجلة معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى

العدد الثاني ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م

٢ - أبو حيان النحوي ، رسالة دكتوراه

د . خديجة الحديثي - منشورات جامعة بغداد .

٣ - أثر اللهجات في شرح ابن عقيل على الألفية ،

د. رشيد عبدالرحمن العبيدي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٥م .

٤ - ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات ،

د. أحمد علم الدين الجندي ، مجلة مركز البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، العدد السادس ١٤٠٣ هـ .

٥ - خصائص لغة تميم : أصواتاً وبنية ودلالة ،

مخطوطة ، رسالة ماجستير مقدمة من محمد بن أحمد بن سعيد العمري ، إلى كلية الشريعة بمكة المكرمة ، ١٣٩٦ هـ .

٦ - ذو الطائية بين الإعراب والبناء ،

/بحث/ د . عبدالله بن علي الحسيني ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد الرابع ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ .

٧ - الرواية والقياس بين القراء والنحاة ،

د . عبدالفتاح شلبي كلية باللغة العربية جامعة أم القرى .

٨ - ظاهرة التصرف الإعرابي وأهميته في تحديد المعنى وتوضيحه ،

عبدالله الخثران ، مجلة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد السادس ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٩ - علامات الإعراب بين النظر والتطبيق ،

د . أحمد علم الدين الجندي ، مجلة معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى، العدد السادس ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٠ - في اللهجات العربية لغة أكلوني البراغيث ،

د. عدنان محمد سلمان ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد السادس ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١١ - لغات طيء ،

رسالة دكتوراة / محمد يعقوب تركستاني ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٢هـ مخطوط .

١٢ - لغة تميم ،

د. ضاحي عبد الباقي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،

القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٣ - اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية ،

صالحة راشد غنيم ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي .

١٤ - اللهجات في معاني القرآن ،

للفراء ، ت : د . صبحي عبد الحميد عبد الكريم ، الطبعة الأولى ،

دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٥ - لهجات قيس ،

رسالة دكتوراه ، مخطوطة مقدمة من محمد بن سعيد العمري ،

كلية اللغة العربية ، جامعة ، جامعة أم القرى .

١٦ - من لغات العرب لهجة هذيل ،

د . عبدالجواد الطيب ، منشورات جامع الفاتح ، ليبيا .

١٧ - النحو والصرف بين الحجازيين والتميميين ،

د . عبدالله علي الحسيني البركاتي ، المكتبة الفيصلية ، رسالة ماجستير،

١٣٩٦ هـ .

فهرس الموضوعات